

أسست عام ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٥ م
الوعى الإسلامي
مجلة كويتية شهرية جامعة
Al-Wa'ed Al-Islami



وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
قطاع الإعلام والعلاقات الخارجية

مُوسْوَعَةُ شِمَائِلِ الْمُصْطَفَى ﷺ

آدَابُهُ ﷺ

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾

الجزء الخامس

تأليف

أ.د. عبد العزيز بن إبراهيم العمرى

أستاذ السيرة النبوية

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض سابقاً

الإصدار مائة وأربعة وتسعون

١٤٤٤ هـ - ٢٠٢٣ م



مَوْسُوْعَةُ شِمَائِلِ الْمُصْطَفَى ﷺ
آدَابُهُ ﷺ

(٥)



وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
قطاع الأوقاف والعلاقات الخارجية

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوَعْيُ الْإِسْلَامِيُّ

AL-Waei AL-Islami

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
دولة الكويت - في مطلع كل شهر هجري

جَبْنِي الشَّيْطَانَ مَخْضُوطًا

الإصدار مائة وأربعة وتسعون

١٤٤٤ هـ - ٢٠٢٣ م

ISBN:978-99966-69-33-6

العنوان:

ص.ب ٢٣٦٦٧

الرمز البريدي ١٣٠٩٧ الكويت

هاتف: ٢٢٣٤٣٩٩٩ - داخلي: ٤٥٩٧

فاكس: ٢٢٣٤٢٣٨٣

البريد الإلكتروني

alwaeiq8@gmail.com

الموقع الإلكتروني

www.alwaei.gov.kw

الإشراف العام

رئيس التحرير

فهد محمد المخزني

مَوْسُوعَةُ شِمَائِلِ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آدَابُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾

الجزء الخامس

تأليف

أ.د. عبد العزيز بن إبراهيم العمرى

أستاذ السيرة النبوية

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض سابقاً

الإصدار مائة وأربعة وتسعون

١٤٤٤ هـ - ٢٠٢٣ م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لكل من آمن أن الدين وحسن الخلق فطرة الله
التي فطر الناس عليها.

قال - تعالى -: ﴿ فَأَقَمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ
الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدَّ لَهُ لِيَخْلُقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ الْدِّينُ
الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٣٠)
[الروم].

مقدمة:

الحمد لله القائل: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ (٢٨) [الفتح].

والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه
وبعد؛

ففي هذا الجزء الخامس من موسوعة الشمائل المعنونة بـ"آدابه ﷺ"، وأثناء البحث عجت كثيراً لما أورده المحدثون، وعلى رأسهم الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه في (كتاب الأدب)، وكذلك ما أورده مسلم في صحيحه في (كتاب الآداب)، وأبو داود في سننه في (كتاب الأدب)، وما أورده الترمذي في سننه في (كتاب البر والصلة) وفي (كتاب الأدب)، والهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، في (كتاب الأدب)، وغيرهم من أصحاب الصحاح والسنن فيما ذكروه من أبواب وروايات تعد شواهد هامة ورائعة في الشمائل النبوية وما يرتبط بها من أخلاقه وآدابه ﷺ، حيث إن فيها موضوعات كثيرة تخدم شمائل المصطفى ﷺ التي مارسها أو أمر بها، في حياته ﷺ، وإن لم تورد في هذا الموضوع مباشرة، ولم يقدّم بعض ممن كتب في الشمائل النبوية باستقصائها، والاستفادة منها كما يتوقع.

كما أنه أثناء عملي بهذه الموسوعة وجدت شواهد من كتاب الله، تخدم كل موضوع منها على حدة، وكنت أقف عند تلك الشواهد، وكأني أقرأها لأول مرة، حين أربطها بخلق النبي ﷺ وشمائله، وإن كانت في معرض الحديث عن الأمم السابقة، أو حوادث غير مباشرة في الشمائل، مع شواهد من سنته ﷺ وكذلك ما نقل من أصحابه في هذا المقام مما تعلموه

منه ﷺ ، وهم تلاميذه ومقلدوه المتأسون الأوائل به ﷺ الجسر الذي ربطنا به ﷺ .

وقد اجتهدت في هذا القسم في العمل على استحضار الشواهد من كتاب الله ومما روي من سنته ، ﷺ بعد مسح موسع للمصادر الأصلية حول الموضوع ، مع الاستفادة ممن سبقني في الموضوعات المتفردة في هذا الباب ، التي رأيت فيها كتابات متعددة ومتنوعة دون رابط بينها في الغالب .

أسأل الله أن يجعل هذا العمل قرينة لله ، وقريناً من رسوله ﷺ ويجعلنا من المتأسين به والمقتدين ، وأن يوردنا حوضه ولا يفتتنا بعده ، وأن يعز أمته ولا يخذلها . ويربطها بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ .

* * * * *

تمهيد :

تعريف الأدب: الأدب أصله دعوة وتجميع الناس إلى مآدبة الطعام، وسمي أدباً لأنه يوجه الناس إلى المحامد وينهاهم عن المقابح.

والأدب يكون في المحمود من السلوك ويُعدُّ الإنسان الموصوف به من أهل الفضائل والمروءة، ويجمع على آداب، وأدبته أو أدبه تأديباً، ويدخل فيه التربية والتعليم للفضائل والمروءة والخير، وربما اطلق على الكلام الجميل أو الفعل الحسن الذي يترك في نفس سامعه أو شاهده أثراً قوياً يحمله على الاستزادة منه، والميل والثناء عليه ومحاكاته.^(١)

كما يمكن وصف الأدب: بـ (أنه استعمال ما يحمد قولاً وفِعْلاً، ويعني العناية بمكارم الأخلاق وحَسَنِها، أو الوقوف مع المستحسنات).^(٢)

وقد سبق الإمام البخاري رحمه الله غيره فوضع في صحيحه (كتاب الأدب)، ذكر فيه أبواباً متعددة في حُسْن الخلق، وصلة الرحم وبر الوالدين وغيرها من الأبواب ذات الصلة.^(٣)

وقد اشتهر عند الناس ما نسب له ﷺ من قوله: ((أدبني ربي فأحسن تأديبي))، وقد توقف العلماء عند الأثر، وأنكر بعضهم صحة نقله عن النبي ﷺ.^(٤) وإن كان معناه صحيحاً في عناية الله ﷻ بنبيه، أخذاً من قوله -

(١) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ٢/٢٠٧؛

الزبيدي، تاج العروس، ج ١٤٤.

(٢) انظر: صالح بن حميد وآخرون، نضرة النعيم، ج ٢/١٤١.

(٣) انظر: صحيح البخاري، كتاب الأدب، ج ٧/٦٨.

(٤) انظر: موقع الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله <https://binbaz.org.sa> بتاريخ ١٩/٩/١٤٤١م.

تعالى :- ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ۖ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ۖ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ۖ﴾ [الضحى].^(١)

قال ابن القيم: (والأدب ثلاثة أنواع، أدب مع الله ﷻ وأدب مع رسول الله ﷺ وشرعه، وأدب مع خلقه).^(٢)

كان ﷺ مثال الرحمة والعطاء وحسن الخلق، خبرته خديجة ﷺ وهدأت من روعه بعد نزول الوحي عليه، مذكرة بأخلاقه العالية (كلا والله لا يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرئ الضيف وتعين على نوائب الدهر)،^(٣) وفي ذلك تأكيد للأمة جمعاء: (إن مكارم الأخلاق وخصال الخير سبب للسلامة من مصارع السوء).^(٤) كما عرفه بذلك قومه من أحبابه وأعدائه حتى وصل خبر هذا الأدب إلى هرقل الروم أكبر الملوك في زمانه. ونقلت الأمة لنا هذا الخلق العظيم، مصداقاً لقوله - تعالى :- ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم]. فاللهم اجعلنا من المتأسين به المتمثلين خلقه وأدبه ﷺ.

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، سورة الضحى، ج ٢/٢٠٠٦.

(٢) انظر: ابن القيم، مدارج السالكين، ص ٣٠٥.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ج ٣/١؛

انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/١٩٠٤.

(٤) أحمد بن عبد العزيز الحداد، أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة، ج ١/٧٧.

الأدب مع الله ﷻ: (١)

واجب على كل مسلم، ومن ذلك الإيمان والعلم بالله ﷻ ومعرفة أسمائه وصفاته الحسنی. ومعرفة دينه الذي ارتضى وشرعه لخلقه، وما يحب ﷻ وما يكره، وتكون نفس العبد مستعدة قابلة لينة متهيئة لقبول الحق من عند الله ﷻ علماً وعملاً وحالاً. (٢) مع تمثل واستيقان ما علم الله ﷻ عباده من أسمائه الحسنی وصفاته العلی في أدب مع الله، قال - تعالى -: ﴿ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٣٦]. (٣)

وقال - تعالى -: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر: ٦٧]. (٤)

وقد علم الله المسلمين ما له من صفات وأسماء حسنی، كما قال - تعالى -: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [طه: ٨]. (٥)

وكما في قوله - تعالى -: ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ [٢٢] هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ [٢٣] هُوَ

(١) انظر: ابن القيم، مدارج السالكين (منزلة الأدب)، ج ٢/ ٣٠٤.

(٢) انظر: صالح بن حميد وآخرون، نضرة النعيم، ج ١/ ١٤٨.

(٣) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/ ١٢٨٧.

(٤) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/ ١٦٢٧.

(٥) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/ ١٨٥٥.

اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ [الحشر: (١)].

وقال - تعالى -: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: (٢)].

وقال - تعالى -: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾ [الإسراء: (٣)].

ولاشك أنه ﷺ تمثل هذه الآيات جميعاً. وكان يثني على الله ويذكره بأسمائه وصفاته ﷻ.

ومن رحمة الله ﷻ لعباده أنه علمهم الأدب معه، قال - تعالى -: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُوتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [التوبة: (٤)].

كما علمهم شكره وذكره، وطلب منهم ذلك، قال - تعالى -: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾﴾ [النساء: (٥)].

وقال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ مَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الطور: (١)].

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/ ٨٠٣.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/ ١١٤٢، ١١٤٣.

(٣) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/ ٨٨٦.

(٤) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/ ٨٨٦.

(٥) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/ ٥٠٩.

(٦) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/ ١٧٧٢.

وقال - تعالى -: ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْشَرُونَ ﴾

[النحل]. (١)

والأنبياء والصالحون يدركون نعم الله ﷻ ويشكرونه، قال - تعالى -: ﴿ فَتَقْبَلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِئُمُ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران]. (٢)

وقال - تعالى -: ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [النحل]. (٣)

وقال - تعالى -: ﴿ وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [المائدة]. (٤)

وقال - تعالى -: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكْ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنفال]. (٥)

وقال - تعالى -: ﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادَى رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [النحل]. (٦)

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/ ١٠٦٤، ١٠٦٥.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٣٦٣.

(٣) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/ ١٠٥٨، ١٠٥٩.

(٤) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/ ٥٩٤.

(٥) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/ ٨٤٩.

(٦) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/ ١٠٦٩.

وقال - تعالى - : ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَلَهُ نِعْمَةٌ مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٨﴾﴾ [الزمر: (١)].

وقال - تعالى - : ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَنَ ضُرٌّ دَعَاَنَا ثُمَّ إِذَا خَوَلَتْهُ نِعْمَةٌ مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيَتْهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الزمر: (٢)].

وقال - تعالى - : ﴿نِعْمَةٌ مِّنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ﴿٣٥﴾﴾ [القمر: (٣)].

وقال - تعالى - : ﴿وَأَمَّا نِعْمَةَ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضحى: (٤)].

ولاشك أن الأدب مع الله يعني اتباع أوامره والعبودية الحقّة له ﷻ والخضوع الكامل لأوامره، مقروناً بمحبته ﷻ ومحبة من اصطفاهم ﷻ، قال - تعالى - : ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: (٥)].

وأعظم الأدب هو خشية الله وتقواه، واليقين أنه ﷻ يراقب عباده ويراهم، قال - تعالى - : ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [الأنعام: (٦)].

وقد رد الله ﷻ على من أساء الأدب مع الله ﷻ من أتباع الأديان الأخرى من اليهود والنصارى، كما قال ﷻ : ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/ ١٦١٥.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/ ١٦٢٣، ١٦٢٤.

(٣) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/ ١٧٩١.

(٤) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/ ٢٠٠٧.

(٥) انظر: الجزء الثالث من هذه الموسوعة، (عبادته ﷻ).

(٦) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/ ٣٦١.

بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلِيَزِدَّكَ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ [المائدة: (١)]

ففي كل عباداته يستشعر خشية الله ﷻ وحضوره بين يديه ومراقبته له في الغيب والشهادة ولكل عبادة آدابها الخاصة بها فمن كمال أدب الصلاة أن يقف العبد بين يدي ربه مطرقاً خافضاً طرفه إلى الأرض، ولا يرفع بصره إلى فوق. ومن الأدب مع الله في الصلاة: السكون والمحافظة والمداومة عليها. ^(٢) واستشعار خشية الله مع العبادة، فبينما النبي ﷺ يصلي رأى في قبلة المسجد نخامة فحكها بيده فتغيظ ثم قال: ((إن أحدكم إذا كان في الصلاة فإن الله حيال وجهه فلا يتخمن حيال وجهه في الصلاة)). ^(٣)

وقد قال ﷺ مذكراً بحسن الأدب مع الله: ((اسْتَحْيُوا مِنْ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ، احْفَظُوا الرَّأْسَ وَمَا حَوَى، وَالْبَطْنَ وَمَا وَعَى، وَادْكُرُوا الْمَوْتَ وَالْأَلَى)). ^(٤)

وقد كان ﷺ يعلم العباد الحياء من الله وقد قال ﷺ: ((فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ يُسْتَحْيَا مِنْهُ مِنَ النَّاسِ)). ^(٥)

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٦٣٣/١، ٦٣٤.

(٢) صالح العلي، تهذيب مدارج السالكين، ص ٣٩٦، ٤٤٢ - ٤٥٣.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب ما يكون من الغضب والشدة لأمر الله، ج ٩٨/٧.

(٤) الإمام أحمد في مسنده، ج ٣٨٧/١. (وسياتي تفصيل أكثر عن الحياء).

(٥) رواه البخاري في كتاب الغسل، باب من اغتسل عرياناً وحده في الخلوة، ومن تستر فالستر أفضل، ج ٧٣/١.

أَدَبُ الْأَنْبِيَاءِ وَالرَّسُلِ مَعَ اللَّهِ ﷻ:

الأنبياء قدوة لرسول الله ﷺ، قال - تعالى -: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ ﴿٦﴾ [الممتحنة]، ^(١) تلقى ﷺ قصصهم، وعلمها أمته، فألفوا عنهم الكتب المتعددة، ^(٢) وجمعوا ما نقل عنهم، وخصص المحدثون أبواباً في فضائلهم، ^(٣) وتأدبوا معهم، كل ذلك بما تعلموه من رسول الله ﷺ. وكل الأنبياء يشنون على الله بما هو أهل له، ويشكرونه ويرجعون الفضل له ويحمدونه ويذكرونه ويسبحونه، ويتوكلون عليه ويؤدون العبادة له وهذا كله من حسن الأدب مع الله ﷻ والشواهد على ذلك من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية كثيرة يصعب حصرها، ومن أمثلة ذلك قول آدم ﷺ وحواء، قال - تعالى -: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٣٢﴾ [البقرة]. ^(٤)

وفي قوله - تعالى -: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ﴿٢٣﴾ [الأعراف]. ^(٥) وقول نوح ﷺ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمَنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ﴿٤٧﴾ [هود]. ^(٦)

وقول هود ﷺ: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿٥٦﴾ [هود]. ^(٧)

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/ ١٨٥٩.

(٢) انظر: قصص الأنبياء لابن كثير. وله عشرات الطبعات والتحقيقات. وفي كثير من اللغات.

(٣) انظر: صحيح البخاري كتاب الأنبياء، ج ٤/ ١٠١.

(٤) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/ ١١٢ - ١١٤.

(٥) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/ ٦٩٤.

(٦) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/ ٩٥٧.

(٧) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/ ٩٥٩.

كذلك ثناء إبراهيم الخليل ﷺ على الله ونعمه في قوله - تعالى - ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ [الشعراء].^(١)

وقول المسيح عيسى ابن مريم ﷺ: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ (١١٦) [المائدة].^(٢)

وقول موسى ﷺ: ﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ (٢٤) [القصص].^(٣)

وقول أيوب ﷺ: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (٨٣) [الأنبياء].^(٤) وربّه أعلم بحاله.

وقول يوسف لأبيه وإخوته وأدبه مع ربه: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَأْتِبَ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلْتُ رُبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (١٠٠) [يوسف].^(٥)

ولم يقل أدخلني السجن بل قال: وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن، حفظاً للأدب مع الله، كما قال ﷺ: وجاء بكم من البدو ولم يقل فرق

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/١٣٧٥.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/٦٧٢.

(٣) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/١٤١٢.

(٤) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/١٢٤٥، ١٢٤٦.

(٥) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/٩٩٣.

بيني وبينكم، ثم قال من بعد أن نزع الشيطان بيني وبين إخوتي، ونسب الأمر لغير إخوته.^(١) والشواهد كثيرة، وما ذكرناه هنا للتذكير، وليس للمتابعة.

* * * * *

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/ ٩٩٣.

الأدب مع كتاب الله ﷻ:

من الأدب مع الله التأدب مع كتابه القرآن الكريم وتلاوته^(١) وتدبره: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد].^(٢)

وجعل ﷻ تلاوته من العبادة، سواء في الصلاة أم في غيرها، وأمر الله ﷻ بذلك، كما قال - تعالى -: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلَاثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ، وَثُلَاثَهُ، وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّنْ نُحْصِيَهُ فَنَابَ عَلَيْكَ فَاقْرَأْهُ مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقْبِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَأْهُ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاقْرَأُوا اللَّهَ قُرْآنًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المزمل].^(٣)

أحب ﷻ التلاوة امتثالاً لأمر الله ﷻ قال - تعالى -: ﴿وَأَن تَتْلُوا الْقُرْآنَ فَمِنْ أُهُتَدَىٰ فَأَتَمَّا يَهْتَدَىٰ لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ [النمل].^(٤) وقال - تعالى -: ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ [الكهف].^(٥)

وقد وضع البخاري في صحيحه (باب قول الله تعالى: وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ، وقال ﷻ: "كُلُّ مُيسَّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ"، يُقَالُ: مُيسَّرٌ

(١) انظر: الجزء الثالث من هذه الموسوعة (عبادته ﷻ) موضوع تلاوته ﷻ للقرآن.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/١٧٢٢.

(٣) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/١٩٣٣، ١٩٣٤.

(٤) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/١٤٠٨.

(٥) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/١٢٥٢.

مُهِيًا، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: يَسْرُنَا الْقُرْآنَ بِلِسَانِكَ هَوْنًا قِرَاءَتُهُ عَلَيْكَ. وَقِيلَ وَلَقَدْ يَسْرُنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ هَلْ مِنْ طَالِبٍ عِلْمٍ فَيُعَانِ عَلَيْهِ).^(١)

وكان ﷺ مرتلاً للقرآن، منذ أول نزوله عليه ﷺ منفذاً أمر الله ﷻ في قوله: ﴿يَتَأْتِيَهَا الْمُرْمَلُ (١) قُرْ أَلَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (٢) نَصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (٤)﴾ [المزمل].^(٢)

وكان ﷺ يستعيز بالله من الشيطان الرجيم في أول قراءته، متمثلاً قول الله - تعالى -: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٩٨)﴾ [النحل].^(٣)

وكان ﷺ يقرأ القرآن متدبراً مرتلاً منفذاً أمر الله - تعالى - في قوله - سبحانه -: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (٨٢)﴾ [النساء]. وإذا مرت به آية رحمة سأل الله الرحمة، وإذا مرت به آية عذاب استعاذ منها.^(٤)

وكان ﷺ يتدبر عند سماعه للقرآن ويحبُّ أن يسمعه من غيره، منصتاً طالباً الرحمة والثواب، متمثلاً قول الله ﷻ: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٣٤)﴾ [الأعراف].^(٥)

فقد أمر عبد الله بن مسعود ﷺ، فقرأ عليه وهو يسمع، وخشع ﷺ. يقول ابن مسعود: قال لي رسول الله ﷺ اقرأ علي. فقلت: يا رسول الله اقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: إني أحب أن أسمعه من غيري. فقرأت سورة النساء

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب التوحيد، ج ٨/٢١٥. وفيه من الآية ٢٠ من سورة المزمل.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/١٢٢٩.

(٣) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/١٠٧٦.

(٤) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/١٢٥٢.

(٥) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/٨١٣.

حتى بلغت ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ ، قال: فرأيت عيني رسول الله تهملان.^(١)

وإذا مرَّ ﷺ بالقارئ يتلو القرآن يستمع إلى تلاوته ويُقيمها و يعجبه ﷺ الصوت الحسن، عن أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ لأبي موسى: ((لو رأيته وأنا أستمع لقراءتك البارحة، لقد أوتيت زمماراً من مزامير آل داود)).^(٢)

وروي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت عن النبي ﷺ: (استمع قراءة رجل في المسجد لم أسمع قراءة أحسن من قراءته. فقام النبي ﷺ فاستمع قراءته ثم قال: "هذا سالم مولى أبي حذيفة، الحمد لله الذي جعل في أمتي مثل هذا". وقال النبي ﷺ لأبي موسى ﷺ: "إنني مررت بك البارحة وأنت تقرأ، فقد أوتيت زمماراً من مزامير آل داود". فقال أبو موسى ﷺ: لو أعلم أنك تستمع لحبرته لك تحبيراً).^(٣)

وهو القائل ﷺ: ((لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ، وَزَادَ غَيْرُهُ: يَجْهَرُ بِهِ)).^(٤)
ووضع البخاري في صحيحه (بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ الْكِرَامِ الْبُرَرَةِ وَزَيُّوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ)، روى فيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه

(١) انظر: سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة النساء، ج ٥/٢٣٨، ح برقم: ٣٠٢٥؛ انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/٤٨٤، تفسير للآية ٤١ من سورة النساء.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل القرآن وما يتعلق به، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن، ج ٢/١٩٣؛

وانظر: رواية البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب حسن الصوت بالقراءة، ج ٦/١١٢.

(٣) انظر: المغني، ابن قدامة، ج ٢/١٧٥.

(٤) انظر: صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله - تعالى -: ﴿وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]، ج ٨/ ٢٠٨، ٢٠٩.

سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: ((مَا أَذِنَ اللَّهُ لِشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِنَبِيِّ حَسَنِ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ)).^(١)

كان ﷺ يقرأ القرآن محبباً له حريصاً عليه، مستعجلاً في تعلمه، فنزل عليه قوله - تعالى -: ﴿فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾ [١١٤] [طه].^(٢)

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ فِي قَوْلِهِ - تَعَالَى - لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَالِجُ مِنَ التَّنْزِيلِ شِدَّةً وَكَانَ يُحَرِّكُ شَفْتَيْهِ، فَقَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ: فَأَنَا أُحَرِّكُهُمَا لَكَ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحَرِّكُهُمَا، فَقَالَ سَعِيدٌ: أَنَا أُحَرِّكُهُمَا كَمَا كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يُحَرِّكُهُمَا، فَحَرَّكَ شَفْتَيْهِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ. قَالَ: جَمَعُهُ فِي صَدْرِكَ ثُمَّ تَقْرُؤُهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ؛ قَالَ: فَاسْتَمِعْ لَهُ وَأَنْصِتْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا أَنْ تَقْرَأَهُ، قَالَ: فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَتَاهُ جِبْرِيلُ ﷺ اسْتَمَعَ، فَإِذَا انْطَلَقَ جِبْرِيلُ قَرَأَهُ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا أَقْرَأَهُ.^(٣)

وَوَعَدَ اللَّهُ نَبِيَهُ ﷺ أَنْ يَقْرَأَهُ فَلَا يَنْسَى كَمَا فِي قَوْلِهِ - تعالى -: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى﴾ [٦] [الأعلى].^(٤)

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول النبي ﷺ الماهر بالقرآن مع الكرام البررة وزينوا القرآن بأصواتكم، ج ٨/٢١٤.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/١٩٨٦.

(٣) انظر: صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ج ١/٤.

(٤) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/١٩٨٦.

وقال - تعالى -: ﴿وَأَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ وَلَنْ يَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ ﴿٢٧﴾ [الكهف].^(١)

وقال - تعالى -: ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لَتَتْلُوا عَلَيْهِمُ الذِّكْرَ أَوحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ ﴿٣٠﴾ [الرعد].^(٢)

وقال - تعالى -: ﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ابْتَغِ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ ﴿٤٥﴾ [العنكبوت].^(٣)

وقد كانت أمهات المؤمنين مراقبات لتلاوته ﷺ. فقد روي عن عبد الله ابن أبي قيس رضي الله عنه قال: (سألت عائشة رضي الله عنها: كيف كانت قراءة النبي ﷺ أكان يسرُّ بالقراءة أم يجهر؟ فقالت: كلُّ ذلك قد كان يفعل، ربَّما أسرَّ بالقراءة، وربَّما جهرَ، فقلت: الحمد لله الذي جعل في الأمر سعة).^(٤)

ووصفت أم سلمة رضي الله عنها قراءة رسول الله ﷺ بأنها: قراءة مفسرة حرفاً حرفاً.^(٥)

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان النبي ﷺ يقرأ القرآن ورأسه في حجرِي وأنا حائض).^(١)

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/ ١١٥٢.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/ ١٠١٤، ١٠١٥.

(٣) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/ ١٤٣٧، ١٤٣٨.

(٤) انظر: سنن الترمذي كتاب الصلاة، باب ما جاء في قراءة الليل، ح برقم: ٤٤٩، ج ٢/ ٣١١.

(٥) انظر: سنن الترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء كيف كانت قراءة النبي ﷺ، ح برقم: ٢٩٢٣، ج ٥/ ١٨٢.

ووصفت ﷺ ترتيله فقالت: (لو أراد السامع أن يعد حروفه لعدّها لا كسر دكم هذا). وفي حديث حفصة ؓ: (أن النبي ﷺ يقرأ بالسورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها).^(٢)

ففي ذلك تعظيم لله وآياته ﷻ قال - تعالى -: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال].^(٣)

ومن الأدب مع الله دعائه والثناء عليه: ﴿ قُلْ مَا يَعْجُبُكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴾ [الفرقان].^(٤)

وحثنا ﷺ على قراءته في البيوت فقال: ((لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ)).^(٥)

الأدب مع الرسول ﷺ:

الأدب مع رسول الله ﷺ ليس موضوعنا في هذا القسم من شمائله ﷺ.^(٦)

لكن من المهم والمفيد الإشارة والتأكيد ومعرفة ما ينبغي له من حقوق ﷺ، والأدب معه ﷺ يعني محبته،^(٧) وكمال التسليم له، والانقياد

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول النبي ﷺ الماهر بالقرآن مع الكرام البررة وزينوا القرآن بأصواتكم، ج ٨/٢١٥.

(٢) رواه الإمام مالك في الموطأ، كتاب الصلاة، باب ما جاء في صلاة القاعد في النافلة، ص ١٢٠، ح برقم: ١٥٧.

(٣) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/٨١٩.

(٤) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/١٣٦٩.

(٥) رواه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد، ج ٢/١٨٨.

(٦) انظر: الجزء الأول من هذه الموسوعة، موضوع مقام النبوة.

(٧) انظر: ابن القيم، مدارج السالكين، ج ٢/٤٠٣، بتصرف.

لأمره، وتلقي خبره بالقبول والتصديق، والنقل الصحيح عنه ﷺ. وهو الذي أمر ﷺ بذلك وحذر من الكذب عليه قال ﷺ فيما رواه المغيرة بن شعبة وغيره: ((إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبِ عَلَى أَحَدٍ، مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ)).^(١)

ويكون الأدب مع رسول الله بمعرفته ومعرفة حقه وقدره ﷺ. قال - تعالى -
 ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ (٦١) ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَكَثُرَتْ لَهُمُ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ﴾ (٧٠) ﴿وَلَوْ أَتَبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ (٧١) ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَّاجُ رِيَاك خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (٧٢) ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٧٣) ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَيِّبُنَّ﴾ (٧٤) ﴿[المؤمنون].﴾^(٢)

والتأسي به ﷺ هو طريق المؤمنين به المتأدبين بأدبه ﷺ يقول - تعالى - :
 ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (٣١) ﴿[الأحزاب].﴾^(٣)

ومن الأدب مع الرسول الكريم ﷺ أن لا يتقدم بين يديه بأمر ولا نهى ولا إذن ولا تصرف حتى يأمر هو ﷺ وينهى ويأذن، كما قال - تعالى - : ﴿يَا أَيُّهَا

(١) انظر: الجزء الرابع من هذه الموسوعة (عواطفه ﷺ) موضوع الحب لرسول الله ﷺ.

(٢) انظر: ابن القيم، مدارج السالكين، ج ٢ / ٤٠٤ - ٤٠٥، بتصرف.

وليزيد من المعلومات حول الموضوع انظر: الجزء الأول من هذه الموسوعة. موضوع: الرسول ﷺ وأتباعه.

(٣) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢ / ١٤٨٧.

الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَانْفُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾
[الحجرات].^(١)

وهذا الأمر باق إلى يوم القيامة ، فتجاوز سنته وأمره وتفضيل غيره عليه في الحكم بعد وفاته كأنما هو بين يديه في حياته ﷺ ، لا فرق في ذلك .

وهذا سبب لحبوط الأعمال فما الظن برفع الآراء ونتائج الأفكار على سنته وما جاء به ؟

ومن الأدب معه ﷺ أن لا تُرفع الأصوات فوق صوته . كما قال - تعالى - :
﴿ يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ ، بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [الحجرات].^(٢)

ومن الأدب معه أن لا يجعل دعاءه كدعاء غيره قال - تعالى - : ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور].^(٣)

ومن الأدب معه ﷺ : أنهم إذا كانوا معه على أمر جامع - من خطبة ، أو جهاد ، أو رباط - لم يذهب أحد منهم في حاجته حتى يستأذنه ﷺ . كما قال - تعالى - : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ فَإِذَا

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/١٧٤٢.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/١٧٤٣، ١٧٤٤.

(٣) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/١٣٤٨.

أَسْتَذْنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذِنَ لِمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرَ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦٢﴾ [النور].^(١)

ومخاطبة الرسول ﷺ ومناداته تكون بأدب، يقول - تعالى - : ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلُونُ مِنْكُمْ لَوْلَا أَن يُحَذِّرَ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور].^(٢)

والحديث معه ﷺ ينبغي أن يكون واضحاً بيناً لا لبس فيه، يقول - تعالى - : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [البقرة].^(٣)

ورأس الأدب معه ﷺ : كمال التسليم له، والانقياد لأمره، قال - تعالى - : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء].^(٤)

وينبغي أن يراعي من حوله أدبه وحياءه، يقول - تعالى - : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَبِزٍ إِنَّمَا هِيَ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَعْسِفِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولًا

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/ ١٣٤٨.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/ ١٣٤٨.

(٣) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/ ١٨٠.

(٤) انظر: ابن القيم، مدارج السالكين، ج ٢/ ٤٠٣، (بتصرف).

اللَّهُ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ، مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾
[الأحزاب].^(١)

* * * * *

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/١٥١٤، ١٦١٥.

الأدب النبوي مع الخلق:

الأدب مع الخلق يصعب حصره، لتشعبه في أحكام مختلفة متعلقة بالتعامل مع الناس وهو يعني حسن الخلق معهم ومعاملتهم بأدب وإحسان، على اختلاف منازلهم؛ امتثالاً لأمر الله ﷻ لرسوله ﷺ قال - تعالى -: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم].^(١) والرسول ﷺ هو القائل: ((إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق)).^(٢) وفي رواية أخرى ((مكارم الأخلاق)).^(٣)

وكان ﷺ يدعو الله ﷻ ((اللهم كما أحسنت خلقي أحسن خلقي)).^(٤) ووصفت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها خلقه ﷺ بقولها: ((فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن)).^(٥) وقد قال ﷺ: ((إن أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحسنكم أخلاقاً، الموطئون أكنافاً، الذين يألفون ويؤلفون...)) الحديث.^(٦)

وقال ﷺ: ((إن أحسن الناس إسلاماً أحسنهم خلقاً)).^(٧)

وقال ﷺ: ((أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً)).^(٨)

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/ ١٩٠٣.

(٢) رواه أحمد في مسنده، ج ٢/ ٣٨١.

(٣) انظر: البخاري في الأدب المفرد، نقلاً عن رش البرد شرح الأدب المفرد، ص ١٦٢.

(٤) انظر هذه الأحاديث مخرجة في صفة حسن الخلق.

(٥) انظر: الجزء الثالث من هذه الموسوعة (عبادته ﷺ) موضوع: تلاوة القرآن.

(٦) الهيثمي، مجمع الزوائد، ج ٨/ ٢٤؛ حسنه الألباني سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج ٢/ ٣٧٨،

ح برقم: ٧٥١.

الموطئون أكنافاً: هم المتبسطون مع الناس؛ المتفيهقون: المتكبرون.

(٧) رواه أحمد في مسنده، ج ٦/ ٤٤٦؛ ورواه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب الدليل على

زيادة الإيمان ونقصانه، ج ٤/ ٢١٩، ح برقم: ٤٦٨٢ مع اختلاف في اللفظ.

(٨) رواه أحمد في مسنده، ج ٥/ ٨٩ - ٩٩؛

انظر: الألباني. صحيح الجامع الصغير وزياداته، ج ١/ ٢٦٦، ح برقم: ١٢٣٢.

كما روى عبد الله بن عمرو: لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً وإنه كان يقول: ((إن خياركم أحاسنكم أخلاقاً)).^(١)

وقد ألفت الكثير من الكتب عن خلقه ﷺ، التي تدارستها الأمة وتأسست بها، وكلها رحمة للعالمين وإحساناً بين الخلق بعضهم من بعض وتأليفاً لقلوبهم، وحفظاً لحقوقهم. سيأتي تفصيلها بإذن الله ﷻ.

* * * * *

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً، ج ٧/٨٠، ٨١.

أدبه ﷺ في التأليف بين الناس:

كل أخلاقه وسلوكه وسنته مستمدة من القرآن الكريم مع تفصيلاتها الدقيقة في السنة النبوية، وجميعها تؤدي للتأليف والتلاحم والترابط والتآلف بين الخلق.

وأشار الله - سبحانه - إلى التأليف بين قلوب المؤمنين وفضل الله على رسوله في ذلك، قال - تعالى -: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ (٦٢) ﴿وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٦٣) [الأنفال: (١)].

والتأليف بين القلوب لا يكون بالمال بل بالتشريع والنظام والسلوك، كان ﷺ يأمر بالرفق وهو من أسباب الألفة في الأسرة والمجتمع فقال ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ))، (٢) كما قال ﷺ: ((مَا كَانَ الرَّفْقُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ))، (٣) وقد طبق الرسول ﷺ الرفق واللين مع الصحابة كما وصفه ﷺ بقوله - تعالى -: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (١٥٩) [آل عمران: (٤)] ومع الرفق واللين كانت محبة النبي ﷺ للأمة وحرصه عليهم. قال - تعالى -: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/٨٥١، ٨٥٢.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله، ج ٧/٨.

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، ج ٨/٢٢؛

ورواه الإمام أحمد في مسنده، ج ٦/٥٨، ١١٢.

(٤) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/٤١٣، ٤١٤.

بِالْمُؤْمِنِينَ رُءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ [التوبة].^(١)

وقوله - تعالى -: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٨٨﴾ [الحجر].^(٢)

وقوله - تعالى - في موضع آخر: ﴿وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٢١٥﴾ [الشعراء].^(٣)

وكان ﷺ مثال الرحمة والعطاء وحسن الخلق، خبرته خديجة ﷺ وهدأت من روعه بعد نزول الوحي عليه، مذكرة بأخلاقه العالية (فَوَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا وَاللَّهُ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَىٰ نَوَائِبِ الْحَقِّ)،^(٤) وفي ذلك تأكيد للأمة جمعاء: "أَنَّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ وَخِصَالَ الْخَيْرِ سَبَبُ السَّلَامَةِ مِنْ مَصَارِعِ السُّوءِ"^(٥) وسبب لمحبة الخالق والخلق ولما دخل ﷺ مكة فاتحاً كان متواضعاً مطأطأ رأسه بلا فخر ولا خيلاء.^(٦)

يقف ﷺ مع المرأة الضعيفة والصبي يسمع لهم ويحدثهم ويقضي حوائجهم.^(٧) ولعل حديث أنس ﷺ يوضح ذلك في قوله: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/١٠٥١.

(٣) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/١٣٨٧.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ وهو الحديث الثالث عند البخاري في صحيحه، ج ١/٣.

(٥) أحمد بن عبد العزيز الحداد، أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة، ج ١/٧٧.

(٦) انظر: عبد العزيز العُمري، رسول الله ﷺ وخاتم النبيين - دين ودولة، (فتح مكة)، القسم الثالث، ص ٨٠٢.

(٧) انظر: مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب قرب النبي ﷺ من الناس وتبركهم به، ج ٧/٧٩.

يَعُوْدُ الْمَرِيضَ، وَيَشْهَدُ الْجَنَازَةَ، وَيَرْكَبُ الْحِمَارَ، وَيُجِيبُ دَعْوَةَ الْعَبْدِ).^(١)
وكان لا يأنف أن يُردف معه رجلاً آخر أو صبيّاً، فكان كثيراً ما يردف
أسامة بن زيد ؓ ويردّف بعض نسائه أحياناً.^(٢) وقد قال ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى
إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا، حَتَّى لَا يَبْغِيَ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَلَا يَفْخُرَ أَحَدٌ عَلَى
أَحَدٍ)).^(٣)

وكان ﷺ لطيفاً في معاتبته لمن يستحق ذلك، وقد وضع البخاري في
صحيحه باب من لم يواجه الناس بالعتاب.^(٤) ورد فيه عن عائشة ؓ: ((صنع
النبي ﷺ شيئاً فرخص فيه فتنزه عنه قوم، فبلغ ذلك النبي ﷺ فخطب
فحمد الله ثم قال: ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه؟! فوالله إني
لأعلمهم بالله وأشدّهم له خشية)).^(٥)

كان ﷺ يعمل مع أصحابه في السفر، فيحتطب ويقوم بجزء من العمل
كغيره من الناس. وقد شارك ﷺ في بناء مسجده، كما شارك أهله في
أعمالهم المنزلية: (يكون في مهنة أهله)،^(٦) وقد اعتاد ﷺ على الحياء من
الناس ووصفه الله ﷻ بذلك في قوله - تعالى -: ﴿... إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذَى

(١) الترمذي، كتاب الجنائز، باب (٣٢)، ج ٣/٣٣٧، ح برقم: ١٠١٧

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب قول الرجل جعلني الله فداك، ج ٧/١١٦.

(٣) رواه ابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب البراءة من الكبر والتواضع، ح برقم: ٤١٧٩،
ج ٢/١٣٩٩.

(٤) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأدب باب من لم يواجه الناس بالعتاب، ج ٧/٩٦.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب من لم يواجه الناس بالعتاب، ج ٧/٩٦.

(٦) من حديث عائشة ؓ عند البخاري، كتاب الأدب، باب كيف يكون الرجل في أهله،
ج ٧/٨٣. ورد الاستشهاد به في عدة مواضع لمقتضى الموضوع.

الَّتِي فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ﴿٥٣﴾ [الأحزاب: من الآية ٥٣].^(١)

وقد طبق الرسول ﷺ الرفق،^(٢) ولعل منه التيسير على الناس، عن عائشة رضي الله عنها قالت: (ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها).^(٣)

واللين مع أصحابه، ومع أهله، كما قال - تعالى - ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].^(٤)

ومع الرفق واللين كانت محبة النبي ﷺ للأمة وحرصه عليهم قال - تعالى - ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].^(٥)

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/١٥١٤؛

(وانظر حياته في بيته) الجزء السابع من هذا الموسوعة.

(٢) وضع البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله، ج ٨/٧؛

كما وضع مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، ج ٢٢/٨.

(٣) وضع البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله، ج ٨/٧؛

ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب مباحثته ﷺ للأثم، واختياره من المباح أسهله، وانتقامه لله عند انتهاك حرماته، ج ٨٠/٧؛ وانظر: (التيسير) من هذا الكتاب.

(٤) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/٤١٣، ٤١٤.

(٥) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/٩٢٠-٩٢١.

وقوله - تعالى -: ﴿ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: (١)]

وقد وضع البخاري في صحيحه في كتاب الأدب (باب الإخاء والحلف) وقد آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء. وقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه لما قدمنا المدينة آخى النبي ﷺ بيني وبين سعد بن الربيع رضي الله عنه. (٢)

كان الرسول ﷺ حريصاً على إقامة روابط خاصة بين المسلمين يواسي بعضهم بعضاً، ويتفقد بعضهم بعضاً، ويعوض بعضهم بعضاً ما فقد من المال والأهل والأصحاب نتيجة إسلامه أو هجرته، ولذلك ورد أن المؤاخاة (٣) أول ما كانت في مكة قبل الهجرة بين عدد من المسلمين، منهم أبو بكر وعمر وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وعثمان ابن عفان. وأن علياً رضي الله عنه قال للنبي ﷺ حينما كان في مكة: (يا رسول الله إنك آخيت بن أصحابك فمن آخي، قال: "أنا أخوك"). (٤)

ولما استقر المسلمون في المدينة بُعيد الهجرة عقد ﷺ بين المهاجرين والأنصار أخوة. وقد سُمي الرواة كل صحابي ومن آخى رسول الله ﷺ معه. وكانت المؤاخاة في الغالب بين أنصاري ومهاجر. (٥) ووجدت حالات من المؤاخاة بين بعض المهاجرين ومهاجرين آخرين ولعلها جاءت في مراحل

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/ ١٣٨٧.

(٢) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الإخاء والحلف، ج ٧/ ٩٢.

(٣) وضع البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب كيف آخى النبي ﷺ بين أصحابه، ج ٤/ ٢٦٧.

(٤) انظر: محمد أبو شهبة، السيرة النبوية، ج ٢/ ٥٢؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج ١/ ٢٧٠. ولمزيد من التوسع راجع: د. أكرم العُمري السيرة النبوية الصحيحة، ج ١/ ٢٤٠.

(٥) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١/ ٥٠٥.

متأخرة أو لظروف خاصة، وإلا فالراجح أنها كانت بين مهاجر وأنصاري.
ومبدأ التأليف في الإصلاح بين الناس، يكون بين الأقرب فالأقرب ثم
عامة الناس وبين الأزواج، حين الحاجة لذلك.

والإصلاح والتأليف هدف شرعي، أشارت له الآية الكريمة، قال - تعالى -
﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ
بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (١١٤) [النساء].^(١)

وأكد ﷺ على إخوة المؤمنين في قوله - تعالى - : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ
فَصَلِّحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (١٠) [الحجرات].^(٢)
وقد وضع البخاري في صحيحه (باب الانبساط إلى الناس ...) .^(٣)

كما وضع البخاري في صحيحه (باب إكرام الكبير، ويبدأ الأكبر
بالكلام والسؤال).^(٤)

وجعل صلاح المجتمعات والأرض عمومًا هدفًا عامًا للمسلم قال ﷺ : ﴿وَلَا
تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَأَدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ
الْمُحْسِنِينَ﴾ (٥٨) [الأعراف].^(٥)

وجعل التواصي بالحق والصبر عليه أمرًا إنسانيًا واجبًا قال - تعالى - :

(١) انظر: ابن كثير في تفسير، ج ١/ ٥٣٢.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسير، ج ٢/ ١٧٤٦.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الانبساط إلى الناس، ج ٧/ ١٠٢.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب إكرام الكبير ويبدأ الأكبر بالكلام
والسؤال، ج ٧/ ١٠٦.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسير، ج ١/ ٧٦٢.

﴿وَالْعَصْرِ ١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾ [العصر].^(١)

روى أنس بن مالك ؓ قال: قال النبي ﷺ: ((يسروا ولا تعسروا وسكنوا ولا تنفروا)).^(٢)

وعن أبي هريرة ؓ أن أعرابياً بال في المسجد فثار إليه الناس ليقعوا به، فقال لهم رسول الله ﷺ: ((دعوه وأهريقوا على بوله ذنباً من ماء أو سجلاً من ماء فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين)).^(٣)

وكان ﷺ يأمر بأخلاق متعددة تزيد من التآلف بين الناس، عن البراء ؓ قال: ((أمرنا النبي ﷺ بسبع ونهانا عن سبع، أمرنا بعبادة المريض واتباع الجنازة وتشميت العاطس وإجابة الداعي ورد السلام ونصر المظلوم وإبرار المقسم...)) الحديث.^(٤)

وكان ﷺ يثني على أهل الخير، ويكره المدح الذي يضر بصاحبه. عن أبي بكرة ؓ قال أتى رجل على رجل عند النبي ﷺ فقال: ويلك قطعت عنق أخيك ثلاثاً. من كان منكم مادحاً لا محالة فليقل أحسب فلاناً واللّه حسيبه ولا أزكي على الله أحداً، إن كان يعلم.^(٥)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/٢٩٠.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب قول النبي ﷺ يسروا ولا تعسروا وكان يحب التخفيف واليسر على الناس، ج ٧/١٠١.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب قول النبي ﷺ يسروا ولا تعسروا وكان يحب التخفيف واليسر على الناس، ج ٧/١٠٢.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب تشميت العاطس إذا حمد الله، ج ٧/١٢٤.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما جاء في قول الرجل ويلك، ج ٧/١١٠.

وكان ﷺ يأمر بالهدية، ويقبلها ويهدي بنفسه. فقد أهديت له ﷺ أقبية من ديباج مزررة بالذهب فقسمها في ناس من أصحابه وعزل منها واحداً لمخرمة. فلما جاء قال: ((قد خبأت هذا لك)).^(١)

كما أمر الله ﷺ بالدفع بالحسنى لتقليل العداء قال - تعالى -: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت].^(٢)

ولذلك فإن العلاقة داخل الأسرة ينبغي أن يكون أساسها قوياً، وتأتي أحكام النكاح والطلاق لتخدم هذا الأمر، وما يؤدي للتألف وللتلاحم الأسري.^(٣)

وقد وضع البخاري في كتاب الأدب باباً جامعاً بعنوان: باب قول الله - تعالى -: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَنِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل].^(٤) وقوله - تعالى -: ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ [يونس].^(٥)

وقد اعتاد الخطباء التذكير بهذه الآية، وهي مما يحدد الحقوق والواجبات للجميع، ويقلل من العداء، ويساعد على التألف.

وقوله - تعالى -: ﴿ثُمَّ بَغَى عَلَيْهِ لِيَنْصُرَنَّهُ﴾ [الحج].^(٦)

(١) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب المداراة مع الناس، ج ١٠٢/٧.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/٢٩٠٢.

(٣) انظر: كتابي: (بناء المجتمع المدني من خلال السيرة النبوية)، ص ٣٣.

(٤) من الآية ٩٠ من سورة النحل؛ انظر، ابن كثير، تفسيره، ج ٢/١٠٧٣.

(٥) من الآية ٢٣ من سورة يونس؛ انظر، ابن كثير، تفسيره، ج ٢/٩٢٨.

(٦) من الآية ٦٠ من سورة الحج؛ انظر، ابن كثير، تفسيره، ج ١٢٨٤.

كما حرم ﷺ ما يؤدي للفساد والعداء والبغضاء. ومن ذلك تحريم الزنا، حيث كان الإسلام حاسماً في تحريمه وتشديد العقوبة عليه، إذ إنه من أهم أبواب الفساد الاجتماعي والأسري، وضياع الأنساب وظهور الأمراض الجسيمة والنفسية، وضياع المسؤوليات وقطيعة الأرحام.

وجاء التشديد في ذلك يقول الله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ ۖ﴾ (٥) ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ (٦) [المؤمنون].^(١)

كما أن العبادات الإسلامية كلها دافعة للقيم ناهية عن الفحشاء والمنكر، ومنها الصلاة، قال - تعالى -: ﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ (٤٥) [العنكبوت].^(٢)

كما جعل للأزواج حقوقاً محددة فيما بينهم، وأمر بالاحترام وحسن العلاقة والمودة والرحمة والإحسان المتبادل، وطبق ﷺ ذلك في تعامله مع زوجاته، فكان مثلاً حياً في هذا الجانب.^(٣)

كما حرم الله شرب الخمر لما فيه من مشاكل أسرية واجتماعية وإثم مضر بالجميع. وحرم الله ﷻ التكبر والاستعلاء على الآخرين كما في قوله - تعالى -: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (١٨) [القمان].^(٤)

(١) انظر، ابن كثير، تفسيره، ج ٢/ ١٢٩١.

(٢) انظر، ابن كثير، تفسيره، ج ٢/ ١٤٣٧.

(٣) الكمداني: أديب، فن تعامل النبي في الحياة الزوجية، ط ١ - دمشق: دار البشائر الإسلامية ١٤٢٥هـ، ص ١٧.

(٤) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/ ١٤٦٣.

وقد جعل الله ﷺ الناس سواسية كأسنان المشط. كما قال ﷺ وأكد على ذلك في خطبته في حجة الوداع.^(١)

وأعلن القرآن أن أصل البشرية واحد قال ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفُسُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات].^(٢)

وقد نهى الله ﷺ عن السخرية بين الناس، قال - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات].^(٣)

وقد حارب ﷺ العنصرية والتحزب لطائفة على حساب الحق، روى جابر ﷺ قال: (اقتتل غلامان: غلام من المهاجرين وغلام من الأنصار فنادى المهاجر أو المهاجرون: يا للمهاجرين، ونادى الأنصاري: يا للأنصار. فخرج رسول الله ﷺ فقال: "ما هذا؟ دعوى أهل الجاهلية؟" قالوا: لا. يا رسول الله! إلا أن غلامين اقتتلا فكسع^(٤) أحدهما الآخر. قال: "فلا بأس، ولينصر الرجل أخاه ظالماً أو مظلوماً: إن كان ظالماً فلينبهه؛ فإنه له نصر، وإن كان مظلوماً فلينبهه".^(٥))

(١) انظر تفاصيل الخطبة، في كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين)، الجزء الرابع. "حجة الوداع"

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/ ١٧٥١.

(٣) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/ ١٧٤٧.

(٤) الكسع: الضرب باليد، ولا تزال اللفظة تستعمل حتى الآن في نجد والعراق.

(٥) انظر: مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً،

وقد نهى ﷺ عن سباب المسلم، وقد قال ﷺ: ((سباب المسلم فسوق وقتاله كفر)).^(١)

عن أبي ذر ﷺ قال: إني ساببت رجلاً فغيرته بأمه، فقال لي النبي ﷺ: ((يا أبا ذر، أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية. إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم)).^(٢)

عن أبي ذر ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقول: ((لا يرمي رجل رجلاً بالفسوق ولا يرميه بالكفر إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك)).^(٣)

عن أنس ﷺ قال: (لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا لعاناً ولا سباباً. كان يقول عند المعتبة: ما له ترب جبينه).^(٤)

كما حرمت النميمة والغيبة بين المسلمين، وقد وضع البخاري في صحيحه، باب الغيبة وقول الله - تعالى -: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ (١٣) [الحجرات].^(٥) روى فيه عن ابن عباس ﷺ قال: ((مر رسول الله ﷺ على قبرين فقال: إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير أما هذا فكان لا يستتر من

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر، ج ١/ ١٧ - ١٨. وكتاب الأدب، باب ما ينهى من السباب واللعن، ج ٨٤/ ٧؛
رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ سباب المسلم فسوق وقتاله كفر، ج ٥٧/ ١ - ٥٨.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب ما ينهى من السباب واللعن، ج ٨٥/ ٧.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب ما ينهى من السباب واللعن، ج ٨٤/ ٧.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب ما ينهى من السباب واللعن، ج ٨٤/ ٧.

(٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الغيبة وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ ج ٨٥/ ٧.

بوله وأما هذا فكان يمشي بالنميمة ثم دعا بعسيب رطب فشقه باثنين فغرس على هذا واحداً وعلى هذا واحداً ثم قال: لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا)).^(١) وقد وضع البخاري في صحيحه (باب النميمة من الكبائر).^(٢) و(باب ما يكره من النميمة وقوله همارز مشاء بنميم ويل لكل همزة لمزة يهمز ويلمز ويعيب واحد).^(٣) عن حذيفة سمعت النبي ﷺ يقول: ((لا يدخل الجنة قتات)).^(٤)

وقد نهى ﷺ عن التحاسد وقد وضع البخاري في صحيحه، (باب ما ينهى عن التحاسد والتدابير)^(٥) وقوله - تعالى -: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾^(٦) أورد فيه عن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ قال: ((إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله إخواناً)).^(٧)

وقد وضع البخاري في صحيحه باب ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا...﴾^(٨) أورد فيه عن أبي هريرة ؓ أن رسول

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الغيبة وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ ج ٨٥/٧.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب ما ينهى من السباب واللعن، ج ٨٦/٧.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب ما ينهى من السباب واللعن، ج ٨٦/٧.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب من يكره من النميمة وقوله - تعالى -: ﴿هَمَّازٌ مَّشَاءً بَنَمِيمٍ﴾ ، ج ٨٦/٧.

(٥) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد...، ج ٨٨/٧.

(٦) سورة الفلق، آية ٥: وانظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢٠٥٥/٢.

(٧) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد...، ج ٨٨ / ٧.

(٨) سورة الحجرات من الآية ١٢، وانظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١٧٤٧/٢؛

صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا﴾، ج ٨٩/٧.

اللَّهُ ﷻ قال: ((إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تناجشوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً)).^(١)

كما وضع البخاري في صحيحه (باب الهجر وقول رسول الله ﷺ: "لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليالٍ").^(٢)

أورد فيه حديث عن أبي أيوب الأنصاري ﷺ: ((أن رسول الله ﷺ قال: لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليالٍ، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام. فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم)).^(٣)

وقد وضع البخاري في صحيحه في كتاب الاستئذان، (باب إفشاء السلام من الإسلام)،^(٤) كما وضع في صحيحه في كتاب الإيمان (باب السلام من الإسلام) ووضع الترمذي في صحيحه (باب ما ذكر في فضل السلام).^(٥)

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ...﴾، ج ٨٩/٧.

(٢) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الهجرة وقول رسول الله ﷺ لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث، ج ٩١/٧.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، ج ٩١/٧؛ رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الهجر فوق ثلاث بلا عذر شرعي، ج ٩/٨.

(٤) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الاستئذان، باب إفشاء السلام، ج ١٢٨/٧.

(٥) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب السلام من الإسلام، ج ١٢/١؛

رواه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب من حق الجلوس على الطريق رد السلام، ج ٢/٧؛ وانظر: كتاب الآداب، باب الاستئذان، ج ١٧٧/٦ - ١٨٠.

كما حث ﷺ على سلوكيات متعددة تزيد المودة والتآلف بين الناس كما في قوله ﷺ: (عن البراء بن عازب ﷺ) قال: أمرنا رسول الله ﷺ بسبع: بعيادة المريض، واتباع الجنائز، وتشميت العاطس، ونصر الضعيف، وعون المظلوم، وإفشاء السلام) ... الحديث.^(١)

عن أنس بن مالك ﷺ قال: (إن كانت الأمة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ والعبد، ويجيب إذا دعي).^(٢)

(وفي رواية) قال: (كانت الأمة من إماء المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنتلق به حيث شاءت).^(٣)

وإجابة الدعوة من أسباب التآلف ورد عن عبد الله بن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((من استعاذ بالله فأعيذوه، ومن سأل بالله فأعطوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه)).^(٤)

روى عبد الله بن عمرو ﷺ: (أن رجلاً سأل النبي ﷺ: أي الإسلام خير؟ قال: "تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف").^(٥)

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الاستئذان، باب إفشاء السلام، ج ٧ / ١٢٨؛ مسلم، كتاب الإيمان، باب إطعام المملوك مما يأكل والباسه مما يلبس...، ج ٥ / ٩٢، ٩٣. ومرو الحديث - سابقاً - في موضع استشهاد آخر.

(٢) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الكبير، ج ٧ / ٨٩.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب ما ينهى من السباب واللعن، ج ٧ / ٨٥.

(٤) رواه النسائي في سننه، ج ٥ / ٨٢، ح برقم: ٢٥٧٦؛ ورواه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في الرجل يستعيز من الرجل، ج ٤ / ٣٣١، ح برقم: ٥١٠٩ واللفظ له؛ وأخرجه أحمد في مسنده، ج ٢ / ٦٨؛ وصححه الألباني في سنن أبي داود، ج ١ / ٣١٤.

(٥) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب إطعام الطعام من الإسلام، ج ١ / ٩؛

عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)).^(١)

ومن أسباب التآلف بين الناس تنزيل الناس منازلهم، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط)).^(٢)

والتعرض للناس في طرقهم لا يجوز إلا بحقه، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((إياكم والجلوس في الطرقات. فقالوا يا رسول الله، ما لنا بد من مجالسنا. نتحدث فيها فقال: فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه. قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال: غص البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر)).^(٣)

كما أن عدم التدخل في شئون الناس، وبعد الإنسان عن ما لا يعنيه من

رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل، ج ١/٤٧.

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ج ١/ ٩؛ ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه ما يحبه لنفسه من الخير، ج ١/٤٩.

(٢) رواه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في تنزيل الناس منازلهم، ص ٨٧٧، ح برقم: ٤٨٤٣، وحسنه الألباني.

(٣) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الاستئذان، باب قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا﴾ [النور: من آية ٢٧]؛ ج ٧/ ١٢٦ - ١٢٧؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب اللباس والزينة، باب النهي عن الجلوس في الطرقات، وإعطاء الطريق حقه، ج ٦/١٦٥.

أسباب التألف، عن حسين بن علي بن أبي طالب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه)).^(١)

وكان ﷺ يزور دور الصحابة، وقد وضع البخاري في صحيحه (باب الزيارة ومن زار قومًا فطعم عندهم...).

أورد فيه عن أنس بن مالك ﷺ: ((أن رسول الله ﷺ زار أهل بيت من الأنصار، فطعم عندهم طعامًا، فلما أراد أن يخرج أمر بمكان من البيت فنضح له على بساط فصلى عليه ودعا لهم)).^(٢)

كما حث ﷺ على حسن التعامل في البيع والشراء، وهذا يطيب الخواطر، عن جابر بن عبد الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع، وإذا اشترى، وإذا اقتضى)).^(٣)

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ يوماً لأصحابه: ((من يأخذ (عني) هؤلاء الكلمات فيعمل بهن، أو يعلم من يعمل بهن؟ قال أبو هريرة: قلت: أنا يا رسول الله، فأخذ بيدي وعد خمساً، فقال: اتق المحارم تكن أعبد الناس، وأرض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحسن إلى

(١) رواه مالك في الموطأ، كتاب البيوع، باب جامع البيوع، ص ٥٧١؛

ورواه أحمد في مسنده، ج ٢٠١/١؛ والطبراني في الثلاثة؛ ورواه الترمذي في سننه، كتاب الزهد، ج ٥٥٨/٤، ح برقم: ٢٣١٧، ٢٣١٨.

(٢) انظر: البخاري، صحيحه، كتاب الأدب، باب الزيارة ومن زار قومًا فطعم عندهم، ج ٩١/٧.

(٣) البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع، ومن طلب حقاً فليطلبه في عفاف، ج ٩/٣.

جارك تكن مؤمناً، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً، ولا تكثر الضحك؛ فإن كثرة الضحك تميت القلب)).^(١)

واحترام الناس في المجالس مما يؤلف بينهم، عن جابر رضي الله عنه قال: ((نهى رسول الله ﷺ أن يرفع الرجل إحدى رجليه على الأخرى، وهو مستلق على ظهره)).^(٢)

ويأتي ترتيب الأولويات في التفاضل بين الناس، رفعا للحرص ولإيضاح الحقوق الأدبية، بعيداً عن الجفوة والعنصرية، بمواقف يتساوى فيها الناس. عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((يسلم الصغير على الكبير، والمار على القاعد، والقليل على الكثير)). وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((يسلم الراكب على الماشي، والماشي على القاعد، والقليل على الكثير)).^(٣)

كما علم ﷺ الناس تقدير الأولى بالفضل، ومن ذلك كبار السن.

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: ((أراني أتسوك بسواك، فجاءني رجلان أحدهما أكبر من الآخر، فناولت السواك الأصغر منهما، فقليل لي: كبر، فدفعته إلى الأكبر منهما)).^(٤)

(١) انظر: الترمذي في سننه، كتاب الزهد، باب من اتقى المحارم فهو أعبد الناس، ج٤/٥٥١، ح برقم: ٢٣٠٥، وأحمد في مسنده، ج٢/٣١٠؛ ورواه ابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب الورع والتقوى، ج٢/١٤١٠، ح برقم: ٤٢١٧.

(٢) رواه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في الرجل يضع إحدى رجليه على الأخرى، ص ٨٨١، ح برقم: ٤٨٦٥؛ وحسنه الألباني.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الاستئذان، باب يسلم الراكب على الماشي، ج٧/١٢٧.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء، باب دفع السواك إلى الأكبر، ج١/٦٦ - ٦٧؛ ومسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب مناولة الأكبر، ج٨/٢٢٩.

عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((يَوْمَ الْقَوْمِ أَقْرُوهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ. فَإِنْ كَانُوا فِي الْقِرَاءَةِ سَوَاءً، فَأَعْلَمَهُمْ بِالسَّنَةِ، فَإِنْ كَانُوا فِي السَّنَةِ سَوَاءً، فَأَقْدَمَهُمْ هَجْرَةً، فَإِنْ كَانُوا فِي الْهَجْرَةِ سَوَاءً، فَأَقْدَمَهُمْ سَلَمًا^(١) وَلَا يُؤْمِنُ الرَّجُلُ الرَّجُلَ فِي سُلْطَانِهِ، وَلَا يَقْعُدُ فِي بَيْتِهِ عَلَى تَكْرِمَتِهِ^(٢) إِلَّا بِإِذْنِهِ)).^(٣)

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((خَرَجْتُ مَعَ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ فِي سَفَرٍ فَكَانَ يَخْدُمُنِي، فَقُلْتُ لَهُ: لَا تَفْعَلْ. فَقَالَ: إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ الْأَنْصَارَ تَصْنَعُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا آلَيْتُ أَنْ لَا أَصْحَبَ أَحَدًا مِنْهُمْ إِلَّا خَدَمْتَهُ)).^(٤)

والتحية لها مكانته في الشريعة وفي إشاعة المحبة والتآلف بين الناس، ويكون الرد عليها بأحسن منها، أو مثلها، كما أمر الله ﷻ في قوله - تعالى -: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِحَيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ٨٦﴾ [النساء].^(٥)

(١) سلمًا: أي إسلامًا. كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ أي الإسلام.

(٢) مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب من أحق بالإمامة، ج ١٣٢/٢؛ تكرمته: قال العلماء: التكرمة الفراش ونحوه.

(٣) صحيح البخاري، صحيح البخاري كتاب الجهاد والسير، باب فضل الخدمة في الغزو حديث ج ٢٢٣ / ٣؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب من أحق بالإمامة، ج ١٣٣/٢.

(٤) رواه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب في حسن صحبة الأنصار رضي الله عنهم، ج ١٧٦/٧.

(٥) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٥١١/١.

وقد وضع البخاري في صحيحه (باب التبسم والضحك)، وقالت فاطمة عليها السلام: "أسر إلي النبي ﷺ فضحكت" وقال ابن عباس: (إن الله هو أضحك وأبكى).^(١)

والتبسم قد يصحبه أحياناً ضحك، كما أشار القرآن الكريم لسليمان عليه السلام في قوله - تعالى -: ﴿فَتَبَسَّ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدِيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل].^(٢)

وهنا تجدر الإشارة إلى ما ورد في القرآن الكريم عن الضحك، منه قوله - تعالى -: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِّنْهَا يَضْحَكُونَ﴾ [الزخرف].^(٣)

وقال - تعالى -: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ [النجم].^(٤)

وقال تعالى -: ﴿وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ﴾ [النجم].^(٥)

وقال - تعالى -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ [المطففين].^(٦)

وقال - تعالى -: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ [المطففين].^(٧)

(١) البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب التبسم والضحك، ج ٩٢/٧.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١٣٩٢/٢.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١٦٨١/٢.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١٧٨٥/٢.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١٧٨٦/٢.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١٩٧٣/٢.

(٧) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١٩٧٣/٢.

وقد وضع البخاري في صحيحه، كتاب الأدب (باب التبسم والضحك....) أورد فيه روايات متعددة لتبسمه ﷺ. وقد أورد عن جرير بن عبد الله قال: ما حجبني النبي ﷺ منذ أسلمت ولا رأيته إلا تبسم في وجهي ولقد شكوت إليه أنني لا أثبت على الخيل، فضرب بيده في صدري وقال اللهم ثبته واجعله هادياً مهدياً.^(١)

وقد حرم الله السخرية والازدراء بين الناس، قال - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ١١﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَحَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ١٢﴾ [الحجرات].^(٢)

كما حُرمت القطيعة بين المسلمين، عن أبي أيوب الأنصاري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام)).^(٣)

هذه بعض القيم الاجتماعية التي قامت عليها الشريعة وطبقها ﷺ فكانت سبباً لقيام التآلف بين الناس.

(١) البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب التبسم والضحك...، ج ٧/٩٤.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٧٤٧.

(٣) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الهجرة وقول رسول الله ﷺ: لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث، ج ٧/٩٠ - ٩١؛ رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الهجر فوق ثلاث...، ج ٨/٩، ١٠.

أدب المجلس:

الرسول ﷺ يجلس مع أهله ومع أصحابه مجالس يومية، في حله وفي ترحاله. وكثيراً ماورد في السنة النبوية: كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ أو مع نبي الله ﷺ، أو مع رسول الله ﷺ. وقد تعرضنا لشيء من جلوسه مع أهله في الحديث عن أدب البيوت.^(١)

وكان غالب جلوس رسول الله ﷺ لأصحابه في المسجد حيث كانت حجراته ﷺ ملاصقة له. وفي كثير من الروايات لم يحدد بدقة ذلك المجلس، ومن الأرجح أنه غير ثابت في مكان معين، كما يكون الجلوس لسبب معين، كزيارة مريض أو شهود ميت، أو مناسبة زواج، أو استقبال وفد، أو غير ذلك.^(٢)

كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا قدموا للجلوس معه ﷺ قبل خروجه إليهم ينتظرونه، حتى إذا خرج ﷺ يقومون له، فنهاهم عن ذلك، روى أبو أمامة ﷺ. قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقمنا له، فقال: ((لا تقوموا كما يقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضاً)).^(٣)

(١) انظر: أدب البيوت من هذا الجزء من الموسوعة.

(٢) انظر: الجزء السابع من هذه الموسوعة.

(٣) رواه أحمد في مسنده، ج ٥/٢٥٣؛ رواه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب الرجل يقوم للجل يعظمه بذلك، ص ٩٤٥، ح برقم: ٥٢٣٠؛ رواه ابن ماجه في سننه، كتاب الدعاء، باب دعاء رسول الله ﷺ، ج ٢/١٢٦١، ح برقم: ٣٨٣٦.

ومن آداب مجلسه ﷺ أن أصحابه ﷺ في مجلسه على غاية التؤدة والسكينة؛ فقد روى أبو داود في سننه عن أسامة بن شريك قال: ((أتيت النبي وأصحابه كأنما على رؤوسهم الطير)).^(١)

وورد أنه ﷺ كان يجلس حيث انتهى به المجلس، ويجلس بين أصحابه مختلطاً بهم.^(٢)

وكانت مجالس العظماء والملوك فيها كبر وفخامة وتعالٍ على الناس، أما مجلسه ﷺ فهو مجلس عبد متواضع لله ﷻ ومع خلقه. وصف مجلسه كما في رواية الترمذي أن قبلة بنت خزيمة جاءت رسول الله ﷺ وهو في المسجد قاعداً القرفصاء قالت: فلما رأيت رسول الله المتخضع في الجلسة أرعدت من الفرق.^(٣)

وكان ﷺ إذا استقبل في مجلسه أحداً أقبل بوجهه باشاً كله بشر وسرور، فإذا صافحه لم ينزع يده الشريفة من يده حتى ينزع القادم يده أولاً، ولا يصرف وجهه الكريم عنه حتى يكون هو أول صارف لوجهه، فإذا استقر في مكانه بالمجلس وحده ﷺ أقبل بوجهه وحديثه إليه، فيتألفه بذلك.^(٤)

(١) رواه أبو داود في سننه، كتاب الطب، باب في الرجل يتداوى، ص ٦٩٣، ح برقم: ٣٨٥٥؛ انظر: الترمذي في سننه، كتاب الطب، باب ما جاء في الدواء والحث عليه، ج ٤/٣٨٣، ح برقم: ٢٠٣٨.

(٢) تعرضنا لمواقفهم من النبي ﷺ حين الحديث عن الأدب مع رسول الله ﷺ من هذا الكتاب. (٣) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب من قعد حيث ينتهي به المجلس، ج ١/٢٤؛ القاضي عياض، الشفاء في تعريف حقوق المصطفى، ج ١/١٣١.

(٣) انظر: أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في جلوس الرجل، ج ٤/٢٦٤، ح برقم: ٤٨٤٧.

(٤) انظر: رابط الموضوع: <https://www.alukah.net> بتاريخ ٢٠/١/١٤٤٢هـ

وتدل الآثار أن مجلس رسول الله ﷺ كان على صورة الحلقة الواحدة، كما في حديث أبي واقد الليثي؛ إذ قال فيه: (فأما أحدهما فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها، وأما الآخر فجلس خلفهم).^(١)

وطريقة مجالسه ﷺ شبه دائرية يتساوى فيها الجلوس، مع أن رسول الله ﷺ هو محور المجلس. وأحق بأفضل المجلس ولذلك كثيراً ما كان القادمون من الخارج يعجبهم عدم تميزه ﷺ.^(٢)

كانت هيئة جلوس رسول الله ﷺ في مجلسه غالباً الاحتباء، عن أبي سعيد الخدري: ((كان رسول الله إذا جلس في المجلس احتبى بيديه)).^(٣)

وكان الاحتباء من طرق جلوس العرب، وربما جلس رسول الله ﷺ القُرُفُصَاء وهي الاحتباء باليدين، وربما جعلت اليدان تحت الإبطين، وهي جلسة الأعراب والمتواضعين.^(٤)

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب من قعد حيث ينتهي به المجلس، ج١/٢٤؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب من أتى مجلساً فوجد فرجة فجلس فيها، ج٩/٧.

(٢) انظر: <http://mercyprophet.org/mul/ar/node/١٤٤٢١٢٠>.

(٣) انظر: الترمذي، الشمائل النبوية، باب ما جاء في جلسة رسول الله ﷺ، ص ٥١، ح رقم ١٢٣؛

والاحتباء: هو الجلوس وإيقاف الساقين، فتجعل الفخذان تجاه البطن بإلصاق، ويلف الثوب على الساقين والظهر، أو أن يجعل المُحْتَبِي يديه يشد بهما رجله عوضاً عن الثوب فإذا أراد المحتبى أن يقوم أزال الثوب أو أطلق يديه.. فإذا قام قالوا حلَّ حَبوته بكسر الحاء وضمها.

(٤) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١٤/١٦٠؛ المعجم الوسيط، ص ١٥٤.

وقد وُصِفَ جلوس رسول الله "القرفصاء" في حديث قيلة بنت مخزومة رضي الله عنها، وربما اتكأ رسول الله في مجلسه في المسجد.^(١)

وكانت تفد عليه الوفود وهو في مجلسه، ويأتيه سفراء المشركين من أهل مكة.^(٢)

وحين استقباله للوفود ﷺ يكون للصحابة وضع خاص، من خطباء وشعراء وغيرهم، "وكان أبو بكر إذا قدم على رسول الله ﷺ الوفود أرسل من يعلمهم كيف يسلمون، ويأمرهم بالسكينة والوقار عند رسول الله".^(٣)

وكان ﷺ يتكئ أحياناً، عن أبي بكرة أن رسول الله ﷺ قال: ((ألا أحدثكم بأكبر الكبائر؟ الإشراف بالله، وعقوق الوالدين، وكان متكئاً فجلس، وقال: ألا وقول الزور...)) إلخ.^(٤)

ولم يكن ﷺ يتميز عن غيره، جاء من حديث ضمام بن ثعلبة الذي رواه أنس بن مالك رضي الله عنه: (بينما نحن جلوس مع النبي ﷺ في المسجد دخل عليه رجل على جمل فأناخه في المسجد، ثم عقله، ثم قال لهم: أيكم محمد؟ والنبي متكئ بين ظهرانيهم، فقلنا: هذا الرجل الأبيض... الحديث).^(٥)

(١) انظر: أبو داود في سنن، كتاب الأدب، باب في جلوس الرجل، ص ٩٤٥، ح برقم: ٥٢٣٠. جلوس القرفصاء أن تجلس مرتكزاً على قدميك دون مقعد مع خفض الوركين وملامستهما الأرض بحيث يكون وزنك موزعاً بالتساوي بين المقعد والقدمين، ولا تزال هذه الطريقة مستعملة في القرى، في عموم الشعوب الآسيوية.

(٢) وضع صحيح البخاري في صحيحه، في كتاب المغازي عشرة أبواب في الوفود، ج ١١٥/٥ - ١٢٣؛ وانظر الوفود، من كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين)، القسم الرابع، ص ٨٤٧.

(٣) انظر: عبد الحي الكتاني، التراتيب الإدارية، ج ٢٢/١.

(٤) انظر: رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين من الكبائر، ج ٧٠/٧ و ٧١؛ ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، ج ٦٤/١.

(٥) انظر: وفادة ضمام بن ثعلبة، ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٥٧٤/٤؛

وكتابي: (رسول الله وخاتم النبيين)، الجزء الرابع (الوفود).

ولعل معظم جلوس رسول الله ﷺ للناس كان في أوقات يتفرغ فيها بعض الصحابة من العمل، مع أن بعضهم من ذوي العمل كانوا يتناوبون مجلسه ﷺ كما كان يفعل عمر رضي الله عنه^(١).

كان يجلس ﷺ لهم بعد صلاة الصبح، ويشهد لذلك حديث توبة كعب ابن مالك رضي الله عنه، قال كعب: (ثم صليت صلاة الفجر صباح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا؛ فبينما أنا جالس على الحال التي ذكر الله ﷻ منا سمعت صوت صارخ أَوْفَى على سلع، يقول بأعلى صوته: يا كعب بن مالك أبشر، قال: فخررت ساجداً، وعرفت أن قد جاء الفرج....) الحديث.

إلى أن قال كعب رضي الله عنه: (حتى دخلت المسجد، فإذا رسول الله ﷺ جالس في المسجد وحوله الناس...) الحديث^(٢).

وكان ﷺ يؤتى بشيء من الطعام في مجلسه أحياناً كالتمر والأقط وغيره، وقد جاء من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: (بيننا نحن عند النبي جلوس إذا أُتِيَ بِجُمَارِ نخلة... إلخ، أي أُتِيَ به ليؤكل في مجلسه ﷺ....) الحديث^(٣).

ولكل وضع أحكامه الخاصة الواردة في المجلس.

(١) انظر: رواية البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، سورة الأحزاب.

(٢) انظر: رواية البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك وقول الله ﷻ ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا﴾، ج ٥/١٣٠؛ ورواه ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٣٩٨؛ وانظر: كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين)، ج ٣/٨١٧.

(٣) رواه البخاري، كتاب الأطعمة، باب أكل الجُمَار، ج ٦/٢١١؛ ومسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب مثل المؤمن مثل النخلة، ج ٨/١٣٧.

وقد جاءت الآيات القرآنية لتعلم المسلم أدب المجالس، ومنها الفسح للآخرين وعدم التضيق عليهم.

ومن آداب المجلس ما ورد في قوله - تعالى -: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانْشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (١١) [المجادلة].^(١)

وكانت مجالسه ﷺ علمية وأدبية، حديث وفعل مفيد، نقلها لنا أصحابه ﷺ، ويكاد يكون معظم ما نقل عنه ﷺ من سنة جاء من خلال تلك الجلسات، وإن لم يصرح بذلك الرواة من الصحابة ﷺ. والمطلع على أطراف الحديث التي ورد فيها: (كنا جلوساً عند الرسول أو النبي ﷺ أو مع النبي ﷺ) يجد عدداً لا يحصى من تلك الروايات، ومن أمثلة ذلك ما ورد عن مجلس النبي ﷺ في ثلاثة أيام متتالية.

عن أنس بن مالك ﷺ قال: ((كُنَّا جُلُوسًا مَعَ الرَّسُولِ ﷺ فَقَالَ: يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، تَنْطِفُ لِحِيتهُ مِنْ وَضُوئِهِ، قَدْ تَعَلَّقَ نَعْلَيْهِ فِي يَدِهِ الشِّمَالُ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِثْلَ ذَلِكَ، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مِثْلَ الْمَرَّةِ الْأُولَى، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الثَّلَاثَ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِثْلَ مَقَالَتِهِ أَيْضًا، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ الْأُولَى، فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ ﷺ تَبِعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنُ الْعَاصِ ﷺ، فَقَالَ: إِنِّي لَأَحْيَتُ^(٢) أَبِي فَأَقْسَمْتُ أَنْ لَا أَدْخُلَ عَلَيْهِ ثَلَاثًا، فَإِنْ رَأَيْتُ أَنْ تُؤْوِيَنِي إِلَيْكَ حَتَّى تَمْضِيَ، فَعَلْتُ. فَقَالَ: نَعَمْ. قَالَ أَنَسٌ: وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يُحَدِّثُ أَنَّهُ بَاتَ مَعَهُ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثَ، فَلَمْ يَرَهُ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ شَيْئًا، غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا تَعَارَّ وَتَقَلَّبَ عَلَى فِرَاشِهِ،

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/ ١٨٤٠.

(٢) انظر: الإمام أحمد في مسنده، ج ٣/ ١٦٣.

ذَكَرَ اللَّهُ ﷻ وَكَبَّرَ حَتَّى يَقُومَ لَصَلَاةِ الْفَجْرِ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَسْمِعْهُ يَقُولُ إِلَّا خَيْرًا. فَلَمَّا مَضَتِ الثَّلَاثُ لَيْالٍ، وَكَدَّتْ أَنْ أَحْتَقِرَ عَمَلُهُ، قُلْتُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، إِنِّي لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي غَضَبٌ وَلَا هَجْرٌ، وَلَكِنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ ثَلَاثَ مَرَّارٍ: يُطْلَعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَطُلِعْتَ أَنْتِ الثَّلَاثَ مَرَّارٍ، فَأُرِدْتُ أَنْ آوِي إِلَيْكَ لِأَنْظُرَ مَا عَمَلُكَ، فَأَقْتَدِي بِهِ، فَلَمْ أَرَكَ تَعْمَلُ كَثِيرَ عَمَلٍ، فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ، غَيْرَ أَنِّي لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِشًّا، وَلَا أَحْسَدُ أَحَدًا عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ. فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: هَذِهِ الَّتِي بَلَغْتَ بِكَ، وَهِيَ الَّتِي لَا نَطِيقُ^(١).

وَفِي هَذِهِ الرِّوَايَةِ وَغَيْرِهَا اسْتِغْلَالُ الرَّسُولِ ﷺ لِلْمَوَاقِفِ فِي تِلْكَ الْجُلُوسَاتِ لِتَعْلِيمٍ مِنْ حَوْلِهِ.

عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ﷺ قَالَ: (كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَحْتَ شَجَرَةٍ فَهَاجَتِ الرِّيحُ فَوَقَعَ مَا كَانَ فِيهَا مِنْ وَرَقٍ نَخْرٍ، وَبَقِيَ مَا كَانَ فِيهَا مِنْ وَرَقٍ أَحْضَرَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَا مِثْلُ هَذِهِ الشَّجَرَةِ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: مِثْلُهَا مِثْلُ الْمُؤْمِنِ إِذَا اقْشَعَرَ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَقَعَتْ عَنْهُ ذُنُوبُهُ وَبَقِيَتْ لَهُ حَسَنَاتُهُ" وَفِي رِوَايَةٍ: "تَحَاثَّتْ عَنْهُ خَطَايَاهُ كَمَا يَتَحَاثُّ عَنْ الشَّجَرَةِ الْيَابِسَةِ وَرَقُهَا..."^(٢).

(١) رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ، ج ١٦٦/٣.

(٢) رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى فِي مُسْنَدِهِ، ج ٩٤/٩، ح ٦٧٠٣؛ وَانْظُرْ: الْبَيْهَقِيُّ فِي شُعْبِ الْإِيمَانِ ج ٤٩٠/١، ح ٨٠٣؛ وَالْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ، فِي تَارِيخِ بَغْدَادٍ، ج ٥٦/٤؛

عن عمر رضي الله عنه قال: (بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام؟ فقال رسول الله ﷺ: "الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً"، قال: صدقت. فعجبنا له يسأله ويصدقه. قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: "أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره"، قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان؟ قال: "أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك". قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال: "ما المسؤول عنها بأعلم من السائل". قال: فأخبرني عن أماراتها؟ قال: "أن تلد الأمة رببتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاة الشاة يتطاولون في البنيان"، ثم انطلق. فلبثت ملياً، ثم قال: "يا عمر أتدري من السائل؟" قلت: الله ورسوله أعلم، قال: "فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم".^(١)

لقد كانت زيارة من الملك يعلم فيها الرسول ﷺ وأصحابه معه، وهذا الحديث يبين مكانة وعظمة المجلس النبوي، على صاحبه أفضل الصلاة والسلام. حيث حضره جبريل عليه السلام بمشهد من الصحابة رضي الله عنهم.

ويكون في مجلسه رضي الله عنه سؤال عن الغائبين من أصحابه، ومنهم المرضى، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه، قال: (كنا جلوساً مع رسول الله ﷺ إذ جاء رجل من الأنصار، فسلم عليه، ثم أدبر الأنصاري، فقال رضي الله عنه: يا أبا الأنصار كيف أخي سعد بن عباد؟ فقال: صالح، فقال رسول الله ﷺ: من يعود منكم؟ فقام، وقمنا معه، ونحن بضعة عشر، ما علينا نعال، ولا خفاف،

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الإيمان ما هو وبيان خصاله، ج ١/ ٣٠.

ولا قلائس، ولا قمص، نمشي في تلك السباخ حتى جئناه، فاستأخر قومه من حوله، حتى دنا رسول الله ﷺ وأصحابه الذين معه.^(١)

وهذا دليل على الاستفادة من ذلك المجلس، والانطلاق منه للزيارة، ومعرفة عدد المرافقين له ﷺ الذين انطلقوا من مجلسه ﷺ.

والمناجاة الخاصة التي تؤدي لشك وحيرة بقية من في المجلس منهي عنها، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما، فإن ذلك يحزنه)).^(٢)

وقد أمر الله - تعالى - بحفظ المودة بين الجلوس، ومن ذلك التناجي بغير الخير، يقول - تعالى -: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَنَجَّوْا بِالْأَيْمِ وَالْعُدْوَنِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَجَّوْا بِالْبِرِّ وَالنَّقْوَىٰ وَأَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [المجادلة].^(٣)

ومن آداب المجلس التي أرشد لها ﷺ ذكر الله تعالى. قال ﷺ: ((ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمار)).^(٤)

وقال: ((من قعد مقعداً لم يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة)).^(٥)

(١) انظر: رواه مسلم في كتاب الجنائز، باب في عناية المرضى، ج ٤٠/٣.

(٢) انظر البخاري في صحيحه، كتاب الاستئذان، باب لا يتناجى اثنان دون الثالث ... ، ج ١٤٢/٧؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب تحريم مناجاة الاثنين دون الثالث بغير رضاه، ج ١٢/٧، ١٣.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١٨٣٨/٢.

(٤) انظر: رواه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب كراهية أن يقوم الرجل من مجلسه ولا يذكر الله، ج ٢٦٥/٤، ح برقم: ٤٨٥٥؛

(٥) رواه الترمذي في سننه، كتاب الدعاء، باب في القوم يجلسون ولا يذكرون الله، ج ٤٦١/٥، ح برقم: ٣٣٨٠. الترة: هي الحسرة.

وأرشد ﷺ لختام المجلس كما قال ﷺ: ((مَنْ جلس في مجلس فكثر فيه لغطه، فقال قبل أن يقوم من مجلسه: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك. إلا غُفِرَ له ما كان في مجلسه ذلك)).^(١)

وروى أبو داود أنه ﷺ كان يقول ذلك إذا أراد أن يقوم من المجلس، فقال له رجل: يا رسول الله، إنك لتقول قولاً ما كنت تقولهُ فيما مضى. قال: ((ذلك كفارة لما يكون في المجلس)).^(٢)

(١) رواه الترمذي في سننه، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا قام من المجلس، ج٤/٥٤٤، ح برقم: ٣٤٣٣.

(٢) انظر: رواية أبي داود في سننه، كتاب الأدب، باب في كفارة المجلس، ج٤/٢٦٦، ٢٦٧، ح برقم: ٤٨٥٧، ٤٨٥٨، ٤٨٥٩؛ ورواه في، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا قام من المجلس، ج٥/٤٩٤، ح برقم: ٣٤٣٣؛ وخرجه أحمد، ج٢/٤٩٤؛ وللتوسع انظر: <https://www.alukah.net> بتاريخ ٢٣/٩/١٤٤١هـ.

أدب البيوت:

البيوت هي سكن الإنسان ومقر راحته وإن اختلفت بين البادية والحاضرة، قال - تعالى -: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمِثْعًا إِلَى حِينٍ﴾ ﴿٨٠﴾ [النحل].^(١)

وأشار الله ﷻ لأهمية البيوت واضطرار الناس لتركها أحياناً.

قال - تعالى -: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَمِجْ فِي الْأَرْضِ مُرْغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يُخْرِجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ ﴿١٠٠﴾ [النساء].^(٢)

وبيوت الأنبياء ورد ذكرها في كتاب الله ﷻ يقول - تعالى - عن نوح ﷺ: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا نَبَارًا﴾ ﴿٢٨﴾ [نوح].^(٣)

وعن بيت إبراهيم ﷺ قال - تعالى -: ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهَ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ ﴿٧٣﴾ [هود].^(٤)

وعن لوط ﷺ وأهل بيته، قال - تعالى -: ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿٣٦﴾ [الذاريات].^(٥)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٠٧١.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٥٢٢، ٥٢٣.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٩٢٤.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٩٦١.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٧٦٦.

وعما ما تعرض له يوسف ﷺ في بيت العزيز قال - تعالى - : ﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٢٣) [يوسف].^(١)

وقد تحدى كفار قريش رسول الله ﷺ أن يكون له بيت مميز من زخرف قال - تعالى - : ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرَفِيقِكَ حَتَّىٰ تُنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرؤهٗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴾ (٩٣) [الإسراء].^(٢)

وعن حفظ الله لموسى ﷺ وهو رضيع في بيت عدوه فرعون قال - تعالى - : ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴾ (١٢) [القصص].^(٣)

وعن امرأة فرعون المؤمنة وما كانت تتمناه من بيت في الجنة بعيداً عن بيت فرعون الظالم، قال - تعالى - : ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنِ الْفَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (١١) [التحریم].^(٤)

والنبي ﷺ كانت له بيوت متعددة بحكم تعدد زوجاته، وهي ما عرفت بحجرات أمهات المؤمنين، وقد سميت بها سورة الحجرات، وألفت عدد من الكتب عن تلك الحجرات الطاهرة.^(٥)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٩٨٠.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١١٣٩.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٤١١.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٨٩٦، ١٨٩٧.

(٥) ألفت الكثير من البحوث عن حجرات النبي ﷺ وأمهات المؤمنين منها: د محمد فارس =

وكانت مقراً لأمهات المؤمنين في حياته ﷺ وبعد وفاته، وورد الحديث عن تلك البيوت وعن أمهات المؤمنين في قوله - تعالى -: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ (٣٣) وَأَذْكُرَنَّ مَا يَتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا (٣٤) [الأحزاب: (١)].

و كان الصحابة يأتون لبیت النبی ﷺ زائرين أو سائلين أو حاضرين لطعام في مناسبة، وقد ورد الحديث عن ذلك في القرآن الكريم مع الأدب المفروض معه ﷺ حين يدخلها أصحابه، وما كان يتأذي منه ﷺ ويستحي من تبليغه لأصحابه فبلغه الله ﷻ عنه في قوله - تعالى -: ﴿يَتَأَيُّمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَبِزٍ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَعْسِنِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ (٥٣) [الأحزاب: (٢)].

=الجميل، بيوت النبي ﷺ وحجراتها (وصفة معيشية)، ط ١ - بيروت: جداول للنشر والتوزيع ٢٠١٦م؛ محمد بن سليمان النفيسي، (الحجرة النبوية عبر التاريخ)، مجلة الفرقان، العدد: ٤١ - ٤٥، الكويت: ١٤١٤هـ؛ الياس عبد الغني، الصحابة حول المسجد النبوي، ط ٢ - بيروت: مركز طيبة للطباعة، المدينة المنورة؛ صفوان داوودي، الحجرات الشريفة، سيرة وتاريخ، ط ٢ - المدينة المنورة: وقف البركة الخيري ١٤٢٢هـ؛ عبد الرحمن ابن سعد الشثري، حجرة النبي ﷺ تاريخها وأحكامها.

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٤٩٥ - ١٤٩٩.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٥١٣، ١٥١٤.

كما ورد الحديث عنها بصيغة الحجرات، في السورة التي سميت باسمها الحجرات، كما في قوله - تعالى -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحجرات].^(١)

وقال - تعالى -: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ﴾ [الأنفال]. وإن كان بعض العلماء أنها تعني المدينة المنورة عموماً.^(٢)

وقد كان لرسول الله ﷺ سنن في بيته وبين أهله. سيأتي الحديث عنها في موضع آخر من هذه الموسوعة بإذن الله.^(٣)

وحديثنا هنا عن تعامله ﷺ مع بيوت الناس، فبيوت الناس سترهم ولها خصوصيتها، ولكل احترام خصوصيته، سواء في بيته عموماً، أو داخل بيته فيما بين الأسرة الواحدة، وقد وردت الكثير من الأدلة في القرآن الكريم والسنة النبوية، على الأدب في البيوت الخاصة وداخلها ومع الناس في بيوتهم ومنها تصرفاته ﷺ التي كانت تبعاً لما جاء في كتاب الله.

فالبيوت لا تؤتى إلا من أبوابها كما قال - تعالى -: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [البقرة].^(٤)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٧٤٤.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٨٢٠.

(٣) انظر: الجزء السابع من هذه الموسوعة.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٢٤٧، ٢٤٨.

وكان ﷺ يزور الصحابة في بيوتهم، ويصلي لهم فيها ويأكل عندهم، ويرتاح وقت القيلولة أحياناً عند بعضهم، ويتفقد مرضاهم، ومن يطالع تراجم الصحابة عند ابن حجر في الإصابة^(١) أو غيره، يجد الكثير من الروايات عن هذه الزيارات، ولذلك فإن دواعي الزيارة كثيرة، تجمعها المحبة لمن يزور ﷺ من أهل البيوت من المهاجرين والأنصار أو ذوي الأرحام وكان ﷺ يدعو لهم، ويأكل عندهم.

ومن أدبه ﷺ في الزيارة تأكيد حرمة البيوت. ومما جاء في ذلك عن عبدالله بن بسر قال: ((كان رسول الله ﷺ إذا جاء الباب يستأذن، لم يستقبله يقول: يمشي مع الحائط حتى يستأذن فيؤذن له، أو ينصرف)).^(٢)

وفي رواية أخرى عن عبد الله بن موسى ﷺ عنه قال: ((كان النبي ﷺ إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر، ويقول السلام عليكم السلام عليكم)). وذلك لأن الدور لم يكن يومئذ عليها ستور.^(٣)

وحين قرع الباب كان يراعى عدم الإزعاج وأن يكون القرع خفيفاً بحيث يسمع، ولا يُعنف في ذلك، روى أنس بن مالك ﷺ قال: (كانت أبواب النبي ﷺ تقرع بالأظافر)).^(٤)

(١) انظر: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة. ترجمة (أم سليم)، ج ٤/٤٦١.

(٢) رواه أحمد في مسنده مع اختلاف يسير في اللفظ، ج ٤/١٨٩.

(٣) رواه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب كم مرة يسلم الرجل في الاستئذان، ج ٤/٣٤٩، ح برقم: ٥١٨٦.

(٤) رواه أحمد وأبو داود في السنن والبخاري في الأدب وصححه الألباني.

وعند طرق الباب يتم التعريف بالنفس، عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: أتيت النبي ﷺ فدعوت. فقال النبي ﷺ: ((من هذا؟)). قلت: أنا. قال: فخرج وهو يقول: ((أنا، أنا)). وفي بعض الروايات: (كأنه كره ذلك).^(١)

ويحرم التجسس على البيوت والنظر إلى عورات أهلها، فقد روى أبو هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: ((من اطلع في بيت قوم بغير إذن ففقئوا عينه فلا دية له ولا قصاص)).^(٢)

ومن الأدب عدم الاطلاع على داخل البيوت والتجسس عليها، ورد عن سهل بن سعد الساعدي ﷺ: اطلع رجل من حجر في حجر النبي ومع النبي ﷺ مدرى - أي: مشط - يحك به رأسه، فقال النبي: ((لو أعلم أنك تنظر؛ لطعنت به في عينك، إنما جعل الاستئذان من أجل البصر)).^(٣)

والبيت لا يدخل إلا بإذن أهله، ولا يدخل إلا بسلام يؤنس أهل البيت، بنص القرآن الكريم كما أمر ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٢٧﴾ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا ۚ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ [النور].^(٤)

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الاستئذان، باب إذا قال من ذا قال أنا، ج ١٣١/٧؛

ورواه مسلم كتاب الأدب، باب كراهة قول المستأذن أنا إذا قيل من هذا، ج ١٨٠/١.

(٢) رواه أحمد في مسنده، ج ٤١٤/٢.

(٣) صحيح، البخاري، كتاب: الاستئذان، باب الاستئذان من أجل البصر، ج ١٢٩/٧ - ١٣٠؛

ومسلم في صحيحه، كتاب الآداب، باب تحريم النظر في بيت غيره، ج ١٨٠/٦، ١٨١.

(٤) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١٣٢٦/٢.

وجاء الأمر واضحاً بعد هذه الآية بغض البصر عموماً، ومن ذلك يتأكد غرض البصر في بيوت الناس فهو أمر شرعي تحدثت عنه الآية بعد الحديث عن دخول البيوت، كما في قوله - تعالى -: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا بُدُّونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ (٣١) ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّونَ مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُونَ فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (٣٠) [النور].^(١) وبين الله ﷻ كما في الآية حكم البيوت غير المسكونة، فقال: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَعٌ لَكُمْ﴾ [النور] أي لا إثم ولا حرج عليكم من الدخول إلى بيوت لا تستعمل للسكنى الخاصة، ولعله يدخل في ذلك الفنادق وحوانيت التجار والحمامات العامة ونحوها من الأماكن العامة، إذا كان لكم فيها مصلحة أو انتفاع كالمبيت فيها، وإيواء الأمتعة، والمعاملة بيعاً وشراءً، وغيرهما، والاغتسال والراحة، ونحو ذلك.

وتأتي بعض الأحكام الشرعية داخل البيت لتحفظ الخصوصية، وتحمي العورات من الخدم والموالي ومن صغار السن الذين لم يبلغوا الحلم، والذين هم في الغالب من أولاد أصحاب البيت، وفي ذلك تربية لهم.

وقال - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَعِذَّكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهْرِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوَرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَفُوتٌ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٥٨) وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَعِذُوا كَمَا أَسْتَعِذْنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٥٩) [النور].^(٢)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٣٢٧، ١٣٢٨.

(٢) ابن كثير، تفسيره، ج ٢/ ١٣٤٤، ١٣٤٥.

ومن هذه الآية تؤخذ أحكام الاستئذان في داخل البيوت وبين سكانه ويتأكد الاستئذان في الأوقات الثلاثة، قبل صلاة الفجر؛ لأنه وقت النوم، وقت الظهيرة: أي وقت القيلولة والراحة، وبعد صلاة العشاء: ابتداء وقت النوم وسماها - سبحانه - "عورات"؛ لما يكون فيها من قلة التحفظ في اللباس.

ورد أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: أأستأذن على أمي؟ فقال له ((نعم أحب أن تراها عريانة؟)) فقال لا، قال: ((فأستأذن عليها)).^(١)

روى أبو مالك الأشعري رحمه الله أن النبي ﷺ قال: ((إذا ولج الرجل بيته فليقل: اللهم إني أسألك خير المولج وخير المخرج باسم الله ولجنا وباسم الله خرجنا وعلى الله ربنا توكلنا ثم يسلم على أهله)).^(٢)

وعن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا خرج من بيته قال: ((بسم الله توكلت على الله، اللهم إنا نعوذ بك من أن نزل أو نضل أو نُظلم أو نُظلم أو نجهل أو يجهل علينا)).^(٣)

وحفظ أهل المنزل من الأخطار والأوبئة جزء من السلوك المنزلي، عَنْ جَابِرِ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: ((غَطُّوا الْإِنَاءَ، وَأَوْكُوا السِّقَاءَ، فَإِنَّ فِي السَّنَةِ لَيْلَةً يَنْزِلُ فِيهَا وَبَاءٌ، لَا يَمُرُّ بِإِنَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ غِطَاءٌ، أَوْ سِقَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ وَكَاءٌ، إِلَّا نَزَلَ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ الْوَبَاءِ)).^(٤)

(١) الإمام مالك الموطأ، كتاب الجامع، باب الاستئذان، ص ٨٢٤.

(٢) رواه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب ما يقول الرجل إذا دخل بيته، ص ٩٢٢، ح برقم: ٥٠٩٦.

(٣) رواه الترمذي في سننه، كتاب الدعوات، باب ما يقول الرجل إذا خرج من بيته، ج ٤٩٠/٥، مع اختلاف في اللفظ.

(٤) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الأشربة، باب الأمر بتغطية وإيكاء السقاء، ج ١٠٧/٦.

وقد ورد الحديث عن الإذن بالأكل في البيوت واعتبار بيوت الآباء والأمهات والأقارب والأصدقاء في هذا الأمر سواء كما قال - تعالى - ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبْرَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ [النور].^(١)

ومن الآية فالمسلم في بيته لا يحتاج الإذن في الدخول، وقد أمر إذا دخل بالسلام على نفسه وعلى أهله، فإن كان فيه مع الأهل أمك أو أختك، فقال العلماء: (تتحنن واضرب برجلك، وأشعرهم بقدمك لكيلا تقع على ما تكره ويكرهون).^(٢)

وحثنا ﷺ على قراءة القرآن في البيوت - كما مر بنا سابقاً - في قوله ﷺ: ((لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ)).^(٣)

وقد ورد أن هناك استئذاناً آخر عند انصراف الإنسان من اجتماع مع من له مكانة بين المسلمين، كإمام المسلمين أو القاضي، فإنه لا ينصرف إلا

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٣٤٦، ١٣٤٧.

(٢) انظر: <https://almoslim.net/node/١٤٤١/٩/١٩> بتاريخ ١٩/٩/١٤٤١م.

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب صلاة النافلة في

بيته وجوازها في المسجد، ج ٢/ ١٨٨؛

وانظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/ ٧٧ - ٨٠.

باستئذان، وقد نزلت آيات خاصة بالرسول ﷺ والاستئذان منه، وقاس العلماء عليها بعد ذلك الاجتماعات الأخرى الخاصة بمصلحة المسلمين. لقوله ﷺ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنَ لِمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرُ لَهُمْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور].^(١)

فهذا نوع من الأدب أرشد إليه ربنا ﷺ عباده، وقد رأى بعض العلماء إن استئذان الزائر بالانصراف بعد الزيارة يكون من هذا الباب.^(٢) وأرشدنا ﷺ إلى أدعية خاصة بدخول البيوت والخروج منها.

ورد عن أبي مسعود الأنصاري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((يَوْمَ الْقَوْمِ أَقْرَأَهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ. فَإِنْ كَانُوا فِي الْقِرَاءَةِ سَوَاءً، فَأَعْلَمَهُمْ بِالسَّنَةِ، فَإِنْ كَانُوا فِي السَّنَةِ سَوَاءً، فَأَقْدَمَهُمْ هَجْرَةً، فَإِنْ كَانُوا فِي الْهَجْرَةِ سَوَاءً، فَأَقْدَمَهُمْ سَلَامًا^(٣) وَلَا يَوْمَنَ الرَّجُلُ الرَّجُلَ فِي سُلْطَانِهِ، وَلَا يَقْعُدُ فِي بَيْتِهِ عَلَى تَكْرِمَتِهِ^(٤) إِلَّا بِإِذْنِهِ)).^(٥)

ولصاحب البيت أن يخص بعض زواره بمجلسه أو تكريمته من وسادة وغيرها، كما فعل ﷺ مع عدي بن حاتم ﷺ، حيث تناول ﷺ وسادة من آدم محشوة ليف فقذفها إليه ليجلس عليها.^(٦)

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/٦٢.

(٢) انظر: www.alukah.net/sharia.

(٣) سَلَامًا: أي إسلامًا. كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ أي الإسلام.

(٤) تكريمته: قال العلماء: التكرمة الفراش ونحوه.

(٥) مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب من أحق بالإمامة، ج ٢/١٣٣.

(٦) انظر: رواية ابن أبي شيبه في المغازي، ص ١٤٢، وابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤/٥٨١.

ورد عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء، وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله، قال الشيطان: أدركتم المبيت، وإذا لم يذكر الله عند طعامه قال: أدركتم المبيت والعشاء)).^(١)

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: (كنت في مجلس من مجالس الأنصار إذ جاء أبو موسى كأنه مذعور فقال: استأذنت على عمر ثلاثاً فلم يؤذن لي فرجعت، فقال: ما منعك؟ قلت: استأذنت ثلاثاً فلم يؤذن لي فرجعت، وقال رسول الله ﷺ: "إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع".

فقال: والله لتقيمن عليه بيعة. أمنكم أحد سمعه من النبي ﷺ؟ فقال أبي ابن كعب: والله لا يقوم معك إلا أصغر القوم، فكنت أصغر القوم فقامت معه، فأخبرت عمر أن النبي ﷺ قال ذلك).^(٢)

شكر الناس:

يقول - تعالى -: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (١٢) وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ، وَهُوَ يُعْطِيهِ، يَبْنِي لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣) وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَى وَهْنٍ وَفَضَّلَهُ، فِي عَمَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَلَدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ (١٤) وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَى تَمَّ إِلَى مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٥) [لقمان].^(٣)

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامها، ج ١٠٨/٦.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الاستئذان، باب التسليم والاستئذان ثلاثاً، ج ١٣٠/٧؛ ومسلم في صحيحه، كتاب الآداب، باب الاستئذان، ج ١٧٧/٦، ١٧٨.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١٤٦١/٢ - ١٤٦٦.

هذه الآيات واضحة في شكر الله ﷻ ثم شكر الوالدين، وهما أولى البشر بالشكر بعد الله ﷻ. وهما من أحسن للإنسان قبل ولادته ومع الولادة وما تلاها، وليس أكثر من الوالدين إحساناً على الإنسان.

وقد أكد ﷺ في عدة روايات على شكر المحسن من الناس، وطبق ذلك بنفسه ﷺ، عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: ((لَا يَشْكُرُ اللَّهُ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ)).^(١)

وورد في رواية الترمذي عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ)).^(٢)

وورد في رواية الإمام أحمد ﷺ عن الأشعث بن قيس ﷺ قال: قال ﷺ: ((إِنْ أَشْكَرَ النَّاسَ لِلَّهِ ﷻ أَشْكُرُهُمُ لِلنَّاسِ)).^(٣)

الحديث فيه ذم لمن لم يشكر الناس على إحسانهم. مع الحث على شكر الناس على إحسانهم. وشكر الناس على إحسانهم يكون بالثناء والكلمة الطيبة والدعاء لهم ومن أحسن الشكر أن تقول لمن أحسن إليك: "جزاك الله خيراً" فعن أسامة بن زيد ﷺ أن النبي ﷺ قال: ((مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ فَقَالَ لِفَاعِلِهِ: جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا، فَقَدْ بَالِغٌ فِي الثَّنَاءِ)).^(٤)

(١) رواه أحمد في مسنده، ج ٥/٢١١ - ٢١٢؛ ورواه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في شكر المعروف، ج ٤/٢٥٦، ح برقم: ٤٨١١.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف والبيهقي في السنن الكبرى، وصححه العلامة الألباني. (٣) رواه الإمام أحمد في مسنده، ج ٥/٢١٢؛ والترمذي في كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ في باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، ج ٤/٣٣٩، ح برقم: ١٩٥٤، ١٩٥٥.

(٤) رواه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في يستعيز مني الرجل، ج ٤/٣٣١؛ ورواه الترمذي في سننه، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في المتشعب بما لم يعطه، ج ٤/٣٨٠، ح برقم: ٢٠٣٥، ورواه النسائي في سننه، ج ٢/٢٥٦٧؛ ورواه أحمد في مسنده، ج ٢/٦٨، وابن حبان وصححه العلامة الألباني.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((من صنع إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه)).^(١)

وقد علق الإمام ابن باز رحمه الله على هذه الروايات بقوله: ((ولهذا يشرع للمؤمن أن يدعو لمن دعا له وأن يقابل من أحسن إليه بالإحسان وأن يثني عليه خيراً في مقابل إحسانه إليه وبذل المعروف له، هذا من مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال)).^(٢)

وكان ﷺ يثني على المحسنين من الصحابة أمام الآخرين، فقد أثنى على أبي بكر رضي الله عنه في أكثر من موضع وعلى عمر رضي الله عنه وعلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وعلى سعد بن معاذ رضي الله عنه وعلى بلال رضي الله عنه وعلى عثمان رضي الله عنه وعلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعلى غيرهم ممن بذل جهداً متميزاً ﷺ.^(٣)

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال المهاجرون: (يا رسول الله، ذهب الأنصار بالأجر كله، ما رأينا قوماً أحسن بذلاً لكثير ولا أحسن مؤاساة في قليل منهم، ولقد كفونا المؤنة، قال ﷺ: "أليس تُثْنُونَ عليهم به، وتدعون لهم"، قالوا: بلى، قال: "فذاك بذاك").^(٤)

(١) رواه أحمد في مسنده، ج ٢/٦٨؛ وأبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في الرجل يستعيز من الرجل، ج ٤/٣٣١، ح برقم: ٥١٠٩.

(٢) انظر: موقع ابن باز <https://binbaz.org.sa/fatwas> بتاريخ: ١٢/١٢/١٤٤١هـ.

(٣) انظر: صحيح مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم.

(٤) انظر: أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في شكر المعروف، ج ٤/٢٥٦، ح برقم: ٤٨١٢؛ وأخرجه أحمد في مسنده، ج ٣/٢٠٠ - ٢٠٤.

الأدب مع الوالدين وبرهما:

إن أولى الناس بالأدب معهم وحسن الخلق والصحبة هم الوالدان، وهو ما يعبر عنه برقي، ب (بر الوالدين)، ويعني الإحسان إليهما وفعل الجميل معهما وفعل ما يسرهما ويدخل فيه الإحسان إلى صديقتهما.^(١)

قال - تعالى -: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصْلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَلَدِكَ إِلَى الْمَصِيرِ ۝١٤ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝١٥﴾ [لقمان].^(٢)

وقال - تعالى -: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ ۝٨٣﴾ [البقرة].^(٣)

وقال - تعالى -: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ۝٣٦﴾ [النساء].^(٤)

(١) انظر: تعريفات البر في موقع: <https://ust.edu/usty/images/hss/Study> بتاريخ: ١٤٤١/٩/١٩هـ.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٤٦٢.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ١٥٤، ١٥٥.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٤٧٩ - ٤٨١.

وقال - تعالى - : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطُنَ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾ [الأنعام].^(١)

وقال - تعالى - : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أٰفٍ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَآخِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الإسراء].^(٢)

وقال - تعالى - : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [العنكبوت].^(٣)

وقال - تعالى - : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ، وَهَنَا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفَصَلَّهُ فِي عَمَامِينَ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَايَكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ ﴿١٤﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [القمان].^(٤)

وقال - تعالى - : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ، كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ، وَفَصَلَّهُ، ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ، وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٧٣١ - ٧٣٣.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١١١٣، ١١١٣.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٤٢٩، ١٤٣٠.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٤٦٢.

وَنَجَاوِزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ وَالَّذِي قَالَ لِوَلَدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَكْبِرَانِ اللَّهُ وَتِلْكَ ءَامِنٌ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمْرِ قَدْ خَلَتِ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ ﴿١٨﴾

[الأنعام: (١)]

وقال - تعالى -: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِللَّوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾﴾

[البقرة: (٢)]

وقال - تعالى -: ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْنِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء: (٣)]

وقال - تعالى -: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [الأنعام: (٤)]

وقال - تعالى -: ﴿يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾﴾ [مريم: (٥)]

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٧٠٤ - ١٧٠٦.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٢٧٠.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١١١٣، ١١١٤.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ٧٣١ - ٧٣٣.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١١٨٠، ١١٨١.

وقال - تعالى -: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۖ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۖ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ۖ ۝٣٢ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ۖ ۝٣٣ ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ۖ ۝٣٤ ﴾ [مريم].^(١)

وقال - تعالى -: ﴿ مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ۖ ۝١١٣ ﴾ [التوبة].^(٢)

سأل رجل رسول الله ﷺ ، فقال: ((يا رسول الله إني كنت أردت الجهاد معك أبتغي بذلك وجه الله والدَّارَ الآخرةَ، قال: ويحك أحيّة أمك؟ قلت: نعم، قال: ارجع فبرّها، ثم آتيتُهُ من الجانب الآخر، فقلت: يا رسول الله إني كنت أردت الجهاد معك أبتغي بذلك وجه الله والدَّارَ الآخرةَ، قال: ويحك أحيّة أمك؟ قلت: نعم يا رسول الله، قال: فارجع إليها فبرّها، ثم آتيتُهُ من أمامه، فقلت: يا رسول الله، إني كنت أردت الجهاد معك أبتغي بذلك وجه الله والدَّارَ الآخرةَ، قال: ويحك أحيّة أمك؟ قلت: نعم يا رسول الله، قال: ويحك الزم رجلها فثم الجنة)).^(٣)

سأل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه رسول الله ﷺ ، فقال: ((أي الأعمال أحبُّ إلى الله تعالى؟ قال: الصَّلَاةُ لوقتها. فقلت: ثم أي؟ قال: ثم برُّ الوالدين، ثم قلت: ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيلِ الله ﷻ ولو استزددته لزادني)).^(٤)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١١٨٦، ١١٨٧.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٩١١، ٩١٢.

(٣) رواه ابن ماجه، في صحيحه، كتاب الجهاد، باب الرجل يغزو وله أبوان، ص ٩٢٩، ح برقم: ٢٧٨١.

(٤) رواه شعيب الأرنؤوط، في تخريج مشكل الآثار، عن عبد الله بن مسعود، الصفحة أو الرقم: ٢١٢٥، إسناده صحيح على شرط البخاري.

سَأَلَ رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: ((يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: أُمُّكَ قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ أُمُّكَ قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ أُمُّكَ قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ أَبُوكَ)).^(١)

وَقَالَ ﷺ: ((رَغِمَ أَنْفُهُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ قِيلَ: مَنْ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ، أَحَدَهُمَا، أَوْ كِلَيْهِمَا، ثُمَّ لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ)).^(٢)

جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَاسْتَأْذَنَهُ فِي الْجِهَادِ، فَقَالَ لَهُ ﷺ: ((أَحْيِ وَالِدَاكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: ففِيهِمَا فَجَاهِدْ)).^(٣)

قَالَ ﷺ: ((رِضَا الرَّبِّ فِي رِضَا الْوَالِدَيْنِ، وَسَخَطُهُ فِي سَخَطِهِمَا)).^(٤)

قَالَ ﷺ: ((لَنْ يَجْزِيَ وَلَدٌ وَالِدَهُ إِلَّا أَنْ يَجِدَهُ مَمْلُوكًا فَيَشْتَرِيَهُ فَيُعْتِقَهُ)).^(٥)

وَقَدْ أَجَازَتِ الشَّرِيعَةُ صَلَاةَ الْوَالِدَيْنِ حَتَّى لَوْ كَانَا عَلَى الشَّرْكِ. وَقَدْ وَضَعَ الْبُخَارِيُّ ﷺ فِي صَحِيحِهِ فِي كِتَابِ الْأَدَبِ (بَابُ صَلَاةِ الْوَالِدِ الْمَشْرُكِ) رَوَى فِيهِ عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ ﷺ قَالَتْ أَتَتْنِي أُمِّي رَاغِبَةً فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ فَسَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَصْلَهَا؟

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٩٧٣.

(٢) رواه مسلم في صحيحه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب رغم أنف من أدرك أبويه أو أحدهما عند الكبر ولم يدخله الجنة، ج ٥/ ٨، ٦.

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند، عن عبد الله بن عمرو، ج ٢/ ٢٢١.

(٤) رواه الترمذي، في سننه، ج ٤/ ٣١٠، ح برقم: ١٨٩٩؛ وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج ٢/ ٤٢، ح برقم: ٥١٦.

(٥) أخرجه مسلم، كتاب العتق، باب فضل عتق الوالد، ج ٤/ ٢١٨.

قال: نعم. قال ابن عيينة فأنزل الله - تعالى - فيها: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ...﴾ [الممتحنة: (١)]

عن أبي بكرة رضي الله عنه قال، قال ﷺ: ((ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا بلى يا رسول الله. قال: الإشراف بالله وعقوق الوالدين)).^(١) وفي صحيح البخاري في كتاب الأدب (باب عقوق الوالدين من الكبائر...).^(٢) وفيه عن المغيرة بن شعبه عن النبي ﷺ قال: ((إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات ومنعاً وهات وواد البنات وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال)).^(٣)

كما ورد عن أبي بكرة رضي الله عنه قال ﷺ: ((ألا أنبئكم بأكبر الكبائر قلنا بلى يا رسول الله، قال الإشراف بالله وعقوق الوالدين. وكان متكئاً فجلس فقال: ألا وقول الزور وشهادة الزور ألا وقول الزور وشهادة الزور، فما زال يقولها حتى قلت لا يسكت)).^(٤)

وقد أجمع العلماء على وجوب بر الوالدين وتقديم رضاهما على المال، قال أحد العلماء: (لا تعفن والديك وإن أمراك أن تخرج من أهلِكَ ومالك).^(٥)

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب صلة الوالد المشرك، ج ٧/٧١.

وفيه من الآية ٨ من سورة الممتحنة: انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٨٦٠.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين من الكبائر، ج ٧/٧٠.

(٣) البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين من الكبائر، ج ٧/٧٠.

(٤) البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين من الكبائر، ج ٧/٧٠.

وانظر: مسلم في صحيحه، كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل...، ج ٥/١٣٠.

(٥) متفق عليه، البخاري، كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين من الكبائر، ج ٧/٧٠؛ ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، ج ١/٦٤.

(٦) رواه البيهقي في مجمع الزوائد، ج ٤/٢١٨؛ وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب،

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال ﷺ: ((إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه قيل: يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه)).^(١)

وقد نشأ ﷺ يتيم الأبوين، وهذا ما اختاره الله لنبيه ﷺ، حيث آواه الله ﷻ فكان هادياً له ومغنياً. وكان يرى أن أم أيمن رضي الله عنها بمثابة أمه فيبرها، ويرى أن عمه أبا طالب بمثابة الأب فيعينه ويبره، ويحرص على هدايته، وكذلك كان يرى عمه العباس رضي الله عنه بمثابة أبيه فيبره ويأمر بالإحسان إليه.^(٢)

* * * * *

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب لا يسب الرجل والديه، ج ٧/٦٩؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، ج ١/٦٤، ٦٥.
(٢) انظر: القسم الخامس من كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين).

الأدب مع (مع الزوجات) والأولاد:

البيوت، بما فيها من الزوجات، ^(١) والأولاد والذرية نعمة من الله ﷻ، وورد الحديث عنهم مع أبي البشر آدم ﷺ. قال - تعالى -: ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَأَحْتَنِكَ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (١٢) [الإسراء]. ^(٢)

قال - تعالى -: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ۖ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴾ (٥٠) [الكهف]. ^(٣)

وقال - تعالى -: ﴿ يَبْنِيْ عَادَمَ لَا يَفْنَىٰ كُفُّ الشَّيْطَانِ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكَ مِنْ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰهُمَا ۖ إِنَّهُ يَبْرِكُكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٢٧) [الأعراف]. ^(٤)

وقال - تعالى -: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ (١٧٢) [الأعراف]. ^(٥)

وقال - تعالى -: ﴿ يَبْنِيْ عَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي ۖ فَمَنْ أَتَقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٣٥) [الأعراف]. ^(٦)

(١) سيأتي الحديث عن الأدب مع الزوجات في القسم الخاص بأخلاقه ﷻ في بيته.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١١٢٦.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١١٥٩، ١١٦٠.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٧٥٠، ٧٥١.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٧٩٧ - ٨٠٠.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٧٥٤.

وقال - تعالى -: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [المائدة: (١)]

وقال - تعالى -: ﴿وَأَيُّهُمْ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِكِ الْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾﴾ [يس: (٢)]

وقد تحدث القرآن الكريم عن السعي والدعاء الصالح لهم مع عدد من الأنبياء، منذ آدم ﷺ مروراً ببقية الأنبياء.

قال - تعالى -: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِعَمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [النحل: (٣)] وقال - تعالى -: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [آل عمران: (٤)]

وقد وعد الله بإلحاق الذرية الصالحة بالآباء الصالحين، قال - تعالى -: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٣١﴾﴾ [الطور: (٥)]

ومسؤولية الآباء تأديب وتربية الأبناء، لينالوا سعادة الدارين برضا الله وتقواه، والبعد عما يغضبه، قال - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٦٠٤ - ٦٠٦.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٥٧٠، ١٥٧١.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٠٦٩.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٣٦١.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٧٧١.

وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ [التحریم]^(١) والبحث عن الذرية الطيبة ودعاء الله لطلبها فعله الأنبياء ﷺ ، قال - تعالى - : ﴿ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرُدَهَا وَمُرْسَهآ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَبْنَىٰ أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَاوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ [هود].^(٢)

وقال - تعالى - : ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ [الصافات].^(٣)

وقال - تعالى - : ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ [آل عمران].^(٤)

وقال - تعالى - : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٦﴾ [الحديد].^(٥)

وقال - تعالى - : ﴿ وَإِذْ أَبْلَىٰ إِبرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّتْهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾ [البقرة].^(٦)

وقال - تعالى - : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَءَاتَيْنَاهُ أُجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ [العنكبوت].^(٧)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ١٨٩٤.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٩٥٦.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٥٨٧، ١٥٨٨.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٣٦٣.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٨٣٢.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ١٩٤ - ١٩٧.

(٧) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٤٣٣ - ١٤٣٥.

وقال - تعالى -: ﴿ وَبَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴾ [الصافات].

وقال - تعالى -: ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة].^(١)

وقال - تعالى -: ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفَصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأحقاف].^(٢)

وقال - تعالى -: ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِمِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَّمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ؕ أَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ ؕ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء].^(٣)

وإن كان الحديث في هذه الآية عن الموارث التي نظمها الله ﷻ بين الأبناء، وهم الأولى بتركة الميت في تشريعه ﷺ للموارث التي وردت في آيات متعددة من القرآن الكريم، إلا أنها بدأت بالحديث عن الأولاد، وهم الأبناء والبنات من الذكور والإناث، الذين لكل منهم حق مشروع أوضحتها الآية الكريمة. والخوف على الذرية أمر طبيعي قال - تعالى -: ﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٢١١.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٧٠٣ - ١٧٠٥.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٤٤٦ - ٤٤٩.

تَرْكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿١﴾ [النساء: ١]

وقد رزق ﷺ بعدد من الأولاد والبنات، وتوفي أولاده الذكور، وهم صغار السن، ولذلك لم يبق له من الأبناء الذكور أحد وصدق الله في قوله ﷺ: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ﴾ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ [الأحزاب: ٣]

وعاشت بناته ﷺ في حياته ﷺ. وأشارت لهن الآيات القرآنية في معرض التوجيه، قال - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلِيبِيهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣]

وكان ﷺ مدرسة في التعامل معهن وتعليمهن وتربيتهن على الدين والأدب، وقد تحدثنا عن شيء من ذلك في الجزء الخاص عن رحمته ﷺ، كما تحدثنا عنهن ﷺ في عواطفه ومحبه ﷺ، وهنا نشير إلى شيء من أدبه ﷺ مع الأولاد ويقصد بذلك البنات والأبناء، والشواهد تستمد من تعامله مع بناته ﷺ، وما نقل من سنته ﷺ في ذلك.

كان ﷺ يحتفي بهن ويرحب. وقد وضع البخاري في صحيحه (باب قول الرجل مرحباً) وقالت عائشة ؓ: قال النبي ﷺ لفاطمة ؓ: ((مرحباً بابنتي))، وقالت أم هانئ: جئت إلى النبي ﷺ فقال: ((مرحباً بأم هانئ)).^(٤)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٤٤٤.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٥٠٤ - ١٥٠٦.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٥٢٦.

(٤) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب قول الرجل مرحباً، ج ٧/ ١١٤.

والأولاد كما أشار الله ﷻ فتنة، قال - تعالى - : ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا آمَوْلَكُمُ وَأَوْلَدُكُمْ فَتَنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (٢٨) ﴿[الأنفال].^(١)

وقال - تعالى - : ﴿إِنَّمَا آمَوْلَكُمُ وَأَوْلَدُكُمْ فَتَنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (١٥) ﴿[التغابن].^(٢)

وقال - تعالى - : ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّنْ قَلْبَيْنِ فِيْ جَوْفِهِ ۖ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ النَّسَى تَظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ۖ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ ۖ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ (٤) ﴿[الأحزاب].^(٣)

وقال - تعالى - : ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِيْ أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِ مِثْلَ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ۚ إِن كَانَ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۚ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ ۚ فَإِنْ لَّمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ ۚ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ ۚ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۚ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (١١) ﴿[النساء].^(٤)

وقال - تعالى - : ﴿لَا تَحِدْ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ ۚ وَيَدْخُلُهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٢٢) ﴿[المجادلة].^(٥)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٨٣٢، ٨٣٣.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٨٨٢.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٤٨٠، ١٤٨١.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٤٤٦ - ٤٤٩.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٨٤٣، ١٨٤٤.

وقال - تعالى -: ﴿وَيُمَدِّدْكُمْ بِأَمْوَالٍ غَيْرِهَا وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ ﴿١٢﴾ [نوح].^(١)

وقال - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ ﴿٩﴾ [المنافقون].^(٢)

وقال - تعالى -: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوٌّ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَأُهُ، ثُمَّ يَهِيْجُ فَنَرُّهُ مُمْصَفًا ثُمَّ يَكُونُ حُطْلَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ الْغُرُورِ﴾ ﴿٢٠﴾ [الحديد].^(٣)

وقال - تعالى -: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾ ﴿٣٧﴾ [سبأ].^(٤)

كان ﷺ حريصاً على التسمية الصحيحة لأولاده، وهذا جزء من الأدب معهم والتربية لهم. والمتمعن في أسماء أبناء الرسول ﷺ وأسباطه يجدها أفضل الأسماء. وحين ولد الحسن بن علي ﷺ سماه النبي ﷺ، وأذن في أذنه.^(٥)

وكان النبي ﷺ يحبه حباً شديداً ويأنس به. قال عنه وعن الحسين ﷺ:

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٩٢٢.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٨٧٩.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٨٣٠، ١٨٣١.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٥٤٤.

(٥) رواه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، أبواب النوم، باب في الصبي يولد فيؤذن في أذنه،

ص ٩٢، ح برقم: ٥١٠٥؛ وانظر: الصلابي، الحسن بن علي، ص ٢٠؛ (انظر: القسم الرابع

من هذه الموسوعة، محبته ﷺ للصغار).

((اللهم إني أحبهما فأحبهما)).^(١) وقال عنه وعن الحسين ﷺ: ((هما رِيحَانَتَايَ مِنَ الدُّنْيَا)).^(٢) كان يصعد على ظهر رسول الله ﷺ وهو يصلي فيرفع النبيُّ رفْعاً رَفِيقاً لئلا يقع. وقد قال عنه ﷺ: ((إن ابني هذا سيد وعسى الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين)).^(٣)

وكان ﷺ يدعو لأبناء بنته فاطمة ﷺ الحسن والحسين ﷺ بقوله: ((أُعِيدُكُمَا بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَةٍ وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَةٍ، يَقُولُ ﷺ هَكَذَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَعُودُ ابْنَيْهِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ)).^(٤)

وكان ﷺ عطوفاً شديد المحبة لهما، يؤنسهما، ويصحبهما ويلعب معهما، ويحملهما على ظهره، ويركبهما معه على الدابة، ولا شك أنه يتخلل ذلك مداعبة وأحاديث تناسب سنهما.

عن سلمة بن الأكوع ﷺ قال: (لقد قُدتُ بنبي الله ﷺ والحسن والحسين بغلته الشهباء حتى أدخلتهم حجرة النبي ﷺ، هذا قُدَّامُهُ، وهذا خلفه).^(٥)

عن ابن عباس ﷺ قال: (كان النبي ﷺ حاملاً الحسن بن علي ﷺ على

(١) انظر: رواية البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب الحسن والحسين ﷺ، ج ٤/٢١٦؛ رواه الإمام أحمد في مسنده، ج ٢/٢٤٩، ٣٣١.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب الحسن والحسين ﷺ، ج ٤/٢١٧.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب الحسن والحسين ﷺ، ج ٤/٢١٦.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾، ج ٤/١١٩.

(٥) رواه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب فضائل الحسن والحسين ﷺ، ج ٧/١٣٠.

عائقه، فقال رجل: نَعَمْ المركب ركبت يا غلام، فقال النبي ﷺ: "نَعَمْ الراكب هو".^(١)

وعن أبي هريرة ؓ قال: (كُنَّا نَصْلِي مع النبي ﷺ، فإذا سجد وثب الحسن والحسين ؓ على ظهره، فإذا رفع رأسه أخذهما فوضعهما على الأرض، فإذا عاد عادا حتى يقضي صلاته).^(٢)

وقد ربي ﷺ صغارا آخرين ليسوا من أبنائه، منهم عبد الله وزينب أبنا أبي سلمة ؓ. وكانت أمهم أم المؤمنين أم سلمة ؓ وبالتالي فكانا ربيي رسول الله ﷺ وله مواقف خاصة منهما تدل على رحمتها ومحبتها.

كما نقل من سنته بعض أفعاله مع أبناء الصحابة، وفيها شيء من التربية، من ذلك عن أنس بن مالك ؓ قال: (ذهبت بعبد الله بن أبي طلحة الأنصاري ؓ إلى رسول الله ﷺ حين ولد، ورسول الله ﷺ في عباءة يهنأ بغيراً له، فقال: "هل معك تمر؟" فقلت: نعم، فناولته تمرات، فألقاهن في فيه، فلاكهن، ثم فغر فاء الصبي، فمجّه في فيه، فجعل الصبي يتلمظه. فقال رسول الله ﷺ: "حب الأنصار التمر، وسماه عبد الله").^(٣)

عن أبي قتادة ؓ قال: (خرج علينا النبي ﷺ وأمامه بنت أبي العاص على عائقه، فصلى، فإذا ركع وضعها وإذا رفع رفعها).^(٤)

(١) الصلابي، أمير المؤمنين الحسن بن علي، ص ٦٣، وضعفه.

(٢) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٣/٢٥٦.

(٣) انظر: رواه مسلم في صحيحه، كتاب الآداب، باب (استحباب تحنيك المولود عند ولادته وحمله إلى صالح يحنكه وجواز تسميته يوم ولادته)، ج ٦/١٧٤؛ وانظر: رواية البخاري في صحيحه، كتاب الذبائح والصيد، باب (الوسم والعلم في الصورة)، ج ٦/٢٣٢. انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٩٧٣.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، ج ٧/٧٤،

وقد وضع البخاري في صحيحه، باب الرفق في الأمر كله.^(١)

روى فيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (قبل رسول ﷺ الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالساً فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحداً، فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: "من لا يرحم لا يرحم").^(٢)

عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: تقبلون الصبيان فما قبلهم فقال النبي ﷺ: ((وأملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة)).^(٣) كما شارك ﷺ صغار السن من أبناء الصحابة ما يسرهم.

فحين خرجت جوارى بني النجار يرحبن برسول الله ﷺ عند وصوله للمدينة مرددات:

نحن جوار من بني النجار يا حبذا محمد من جار

روي أنه قال أتحبينني؟ فقلن: أي والله قال ﷺ: ((وأنا والله أحبكن)).^(٤)

هذا الحوار كله يدل على الحب المتبادل والحوار الراقي المربي بين جوار من صغار بنات الأنصار رضي الله عنهم، وبين رسول الله ﷺ.

عن أم خالد بنت خالد بن سعيد رضي الله عنه قالت: أتيت رسول الله ﷺ مع أبي وعلي قميص أصفر، قال رسول الله ﷺ: ("سنة سنة" قال عبد الله: وهي بالحبشية حسنة قالت: فذهبت ألعب بخاتم النبوة فزبرني أبي. قال ﷺ:

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب الأدب باب الرفق في الأمر كله، ج ٧/٨٠.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باباب رحمة الولد وتقيله، ج ٧/٧٥.

ورواه مسلم في صحيحه، باب رحمته ﷺ بالصبيان وتواضعه وفضل ذلك، ج ٧/٧٦ - ٧٧.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باباب رحمة الولد وتقيله، ج ٧/٧٥.

ورواه مسلم في صحيحه، باب رحمته ﷺ بالصبيان وتواضعه وفضل ذلك، ج ٧/٧٧.

(٤) ابن حجر، فتح الباري، ج ١٥/١٢٥؛ وانظر: مهدي رزق الله، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص ٢٨٦.

"دعها" ثم قال رسول الله ﷺ: "أبلي وأخلقني ثم أبلي وأخلقني ثم أبلي وأخلقني" قال عبد الله: فبقيت حتى ذكر يعني من بقائها^(١).

وقد أتى بالمنذر بن أبي أسيد إلى النبي ﷺ حين ولد فوضعه على فخذيه، وأبو أسيد جالس فلها النبي ﷺ بشيء بين يديه فأمر أبو أسيد بآبانه فاحتمل من فخذ النبي ﷺ فاستفاق النبي ﷺ فقال: "أين الصبي" فقال أبو أسيد: قلبناه يا رسول الله، قال: "ما اسمه"، قال: فلان، قال: "ولكن اسمه المنذر" فسماه يومئذ المنذر^(٢).

عن أبي موسى ﷺ قال ولد لي غلام فأتيت به النبي ﷺ فسماه إبراهيم فحنكه بتمر ودعا له بالبركة ودفعه إلي وكان أكبر ولد أبي موسى^(٣).

وقد وضع البخاري في صحيحه (باب الكنية للصبي وقبل أن يولد للرجل)^(٤) وذلك من باب التقدير للصغير، روى فيه عن أنس: (كان النبي ﷺ أحسن الناس خلقاً وكان لي أخ يقال له أبو عمير قال أحسبه فطيماً وكان إذا جاء قال: "يا أبا عمير ما فعل النغير"، نغر كان يلعب به، فربما حضر الصلاة وهو في بيتنا فيأمر بالبساط الذي تحته فيكنس وينضح ثم يقوم ونقوم خلفه فيصل بنا)^(٥).

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب من ترك صبية غيره حتى تلعب به أو قبلها أو مازحها، ج ٧/٧٤.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب تحويل الاسم إلى اسم أحسن منه، ج ٧/١١٧.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب من سمى بأسماء الأنبياء، ج ٧/١١٨.

(٤) البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الكنية للصبي وقبل أن يولد للرجل، ج ٧/١١٩.

(٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الكنية للصبي وقبل أن يولد للرجل، ج ٧/١١٩.

وكان ﷺ يعلم الصغار التقوى، والصدق والأمانة. وقد وضع البخاري في صحيحه، في كتاب الأدب، باب قول - الله تعالى -: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (١١٩) [التوبة]. وما ينهى عن الكذب. (١)

روي عن عبد الله بن عامر ﷺ أنه قال: (دعني أُمِّي يوماً ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا، فقالت: ها تعال أعطيك، فقال لها رسول الله ﷺ: "وما أردت أن تعطيه؟" قالت: أعطيه تمرًا، فقال لها رسول الله ﷺ: "أما إنك لو لم تعطه شيئاً كتبت عليك كذبة".) (٢)

وتأتي إقامة الصلاة من أهم ما يربى عليه الأبناء، قال ﷺ: ((مُرُوا صِبْيَانَكُمْ بِالصَّلَاةِ لِسَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا لِعَشْرِ سِنِينَ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ)). (٣)

وكان الأنبياء قبله حريصين على صلاة أبنائهم، فهذا إبراهيم يدعو الله بذلك قال - تعالى -: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ ءَامِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ (٣٥) رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلَلَن كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّيْ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣٦) رَبَّنَا إِنِّيْ أَتَّكْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِيْ بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (٣٧)﴾ [إبراهيم]. (٤)

(١) البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، ج ٩٥/٧؛ وفيه الآية ١١٩ سورة التوبة؛ وانظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٩١٥، ٩١٦.

(٢) رواه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في التشديد في الكذب، ج ٢٩٩/٤، ح برقم: ٤٩٩١.

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده، ج ١٨٧/٢؛ وأبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة، ج ١/١٣١، ح برقم: ٤٩٤، ٤٩٥.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٠٣٧، ١٠٣٨.

والأبناء في الصغر يدرّبون على الصلاة، وإن كانت غير واجبة عليهم في الصغر.^(١) وينبغي أن يتلطف الأب في أمر أولاده الصغار بالصلاة، وأن يشجعهم على أدائها، حتى يعتادوا عليها ويحبوها.

وكذلك أشار الحديث إلى فصلهم عن بعض في المضاجع حين بلوغهم سن سبع سنوات، ولا شك أن هذا جزء من تأديب الصغار في هذه المرحلة، فلكل خصوصية، ولكل عورته، كما أشرنا في موضع آخر إلى الآيات التي تأمر الصغار الذين لم يبلغوا الحلم بالاستئذان في أوقات محددة من اليوم وقت الراحة، بحيث لا يطلعوا على عورات الكبار من آبائهم وغيرهم، وهذا فيه تأديب عظيم لهم.

وكذلك يتربى الأبناء على طاعة الوالدين وبرهما، كما في قصة إسماعيل مع أبيه إبراهيم ﷺ، وقال - تعالى -: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ قَالَ يَبْنَئِي إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ قَالَ يَتَأَبَّتِ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ [الصافات].^(٢)

وقد كان فرعون يعذب بني إسرائيل بقتل آبائهم، قال - تعالى -: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدْبِحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص].^(٣)

ولعل مما يؤدّب الأولاد على الطاعة والبر، رؤيتهم العملية لوالديهم يبرون آباءهم إن كانوا أحياء، كما ورد ((بروا آباءكم تبركم أبناؤكم)).^(٤)

(١) انظر: موقع الشيخ عبد العزيز بن باز، <https://binbaz.org.sa/audios> بتاريخ ١٤٤١/٩/٢٠هـ.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٥٩٠.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٤٠٩.

(٤) انظر: الطبراني في المعجم الأوسط، ج ١/ ٢٩٩، ح رقم ١٠٠٢.

كما أن على الأب أن لا يشق على أبنائه، فمع أن الابن وماله لأبيه، كما ورد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رجلاً قال: (يا رسول الله إن لي مالاً وولداً وإن أبي يحتاج مالي . فقال ﷺ: "أنت ومالك لأبيك").^(١)

ومع ذلك فقد أمر الآباء بعدم المشقة على الأبناء، وأن يكونوا عوناً لهم على برهم، ولا يكلفوهم مالا يطيقون، وأن يربوهم على العدل والإنصاف ويكونوا عادلين معهم، فحينما جاء أحد الصحابة قد نحل ابناً له شيئاً مميزاً له عن بقية أبنائه رفض الرسول ﷺ الشهادة على ذلك.

عن النعمان بن بشير رضي الله عنه: ((أن أمه بنت رواحة سألت أباه بعض الموهوبة من ماله لابنها فالتوى بها سنة، ثم بدا له، فقالت: لا أرضى حتى تُشهد رسول الله ﷺ على ما وهبت لابني، فأخذ أبي بيدي، وأنا غلام فأتى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله إن أم هذا بنت رواحة أعجبها أن أشهدك على الذي وهبت لابنها، فقال رسول الله ﷺ: يا بشير ألك ولد سوى هذا؟ قال: نعم، فقال: أكلهم وهبت له مثل هذا؟ قال: لا، قال: فلا تشهدني إذاً، فإني لا أشهد على جور)).^(٢) وفي رواية: قال ﷺ: ((فكل بنيك نحلتم مثل الذي نحلتم النعمان؟ قال: لا، قال: فأشهد على هذا غيري، قال: أليس يسرك أن يكونوا لك في البر سواء؟ قال: بلى، قال فلا إذا)).^(٣)

(١) انظر: رواه ابن ماجه في سننه، كتاب التجارات، باب ما للرجل من مال ولده، ج ٢/٧٦٩، ح برقم: ٢٢٩١.

(٢) رواه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الهبات، باب كراهية تفضيل بعض الأولاد في الهبة، ج ٥/٦٦.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب الهبة للولد وإذا أعطى بعض ولده شيئاً لم يجز له حتى يعدل بينهم ويعطي الآخرين مثله، ج ٣/١٣٤؛ ورواه النسائي في سننه، كتاب النحل، ذكر اختلاف ألفاظ الناقلين لخبر النعمان بن بشير في النحل، ج ٦/٢٥٨.

وفي رواية: ((أعطيت سائر ولدك مثل هذا؟ قال: لا، قال: فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم. قال: فرجع فرد عطيته)).^(١)

وقد أمر ﷺ بالعباية بالبنات. ولا شك أن تأديبهن يدخل في هذا الأمر، فقال ﷺ: ((من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين وضم أصابعه)).^(٢)

عن عائشة رضي الله عنها قالت جاءتني امرأة معها ابنتان تسألني فلم تجد عندي غير تمر واحدة فأعطيتها، فقسمتها بين ابنتيها، ثم قامت فخرجت فدخل النبي ﷺ فحدثه فقال: ((من يلي من هذه البنات شيئاً فأحسن إليهن كن له ستراً من النار)).^(٣)

وكان ﷺ لطيفاً مع البنات صغيرات السن. ممن يتصل بآل بيته وأصحابه.

عن عائشة رضي الله عنها قالت كنت ألعب بالبنات عند النبي ﷺ، وكان لي صواحب يلعبن معي فكان رسول الله ﷺ إذا دخل يتقمعن منه فيسربهن إلي فيلعبن معي.^(٤)

ولا شك أن النصيح للأبناء والبحث عن الخير لهم مطلب شرعي. ويمكن الاستئناس بقوله ﷺ: ((ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو

(١) من رواية البخاري في صحيحه، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب الهبة للولد وإذا أعطى بعض ولده شيئاً لم يجز له حتى يعدل بينهم ويعطي الآخرين مثله، ج ٣/١٣٤.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والآداب والصلة، باب فضل الإحسان إلى البنات، ج ٣٨/٨.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، ج ٧/٧٤.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الانبساط إلى الناس، ج ٧/١٠٢.

غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة))^(١) ولعل هذا من باب التأديب لهم، وقال ﷺ: ((من ابتلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كن له ستراً من النار)).^(٢)

وفي حادثة المباهلة جمع رسول الله ﷺ من بقي من ذريته وطبق قوله - تعالى -: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١]^(٣).

ولكن نصارى نجران تراجعوا عن المباهلة فسلموا من العقوبة.^(٤)

وكانت عناية جميع الأنبياء بأبنائهم تمتد حتى ساعة موتهم، قال - تعالى -: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يٰبَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢]^(٥).

قال - تعالى -: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَاللَّهُ ءَابَاؤُكُمْ وَإِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهُهَا وَجِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣].

ولذلك تأتي قصة فاطمة ؓ وحديثها معه ﷺ في مرضه الذي مات فيه،

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب من استرعى رعية فلم ينصح، ج ١٠٧/٨؛ رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم، ج ٩/٦.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقيله ومعانقته، ج ٧٤/٧؛ رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الإحسان إلى البنات، ج ٣٨/٨.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٣٦٩/١ - ٣٧٢.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٣٦٩/١ - ٣٧٢.

(٥) انظر: كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين) القسم الرابع. "وفد نصارى نجران".

كما ورد في الرواية التي نقلتها لنا أم المؤمنين عائشة ؓ بكل صدق وأمانة وتبين موقفاً يبين مكانة فاطمة ؓ من رسول الله ﷺ وما خصها به من علم لم يعطه أحداً آخر عند وفاته وهي الوحيدة الباقية من بناته حينها، فقد روى البخاري عن عائشة ؓ قالت: ((دعا النبي ﷺ فاطمة ابنته في شكواه الذي قبض فيه، فسارها بشيء فبكت، ثم دعاها فسارها، فضحكت. فسألنا عن ذلك؟ فقالت: سارني النبي ﷺ أنه يُقبض في وجعه الذي توفي فيه، فبكيت، ثم سارني فأخبرني أني أول أهل بيته يتبعه، فضحكت)).^(١)

وقد أورد البخاري تفصيلات أكثر عن هذه الحادثة برواية عائشة ؓ قالت: ((أقبلت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشي النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: مرحباً بابنتي ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم أسر إليها حديثاً فبكت. فقلت لها: لم تبكين؟ ثم أسر إليها حديثاً فضحكت. فقلت: ما رأيت كالיום فرحاً أقرب من حزن. فسألتهما عما قال؟ فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ، حتى قبض النبي ﷺ فسألتهما. فقالت: أسر إلي أن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة، وإنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي، وإنك أول أهل بيتي لحاقاً بي فبكيت. فقال: أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة أو نساء المؤمنين؟ فضحكت لذلك)).^(٢)

ويرتبط صالحو الذرية بابائهم وأجدادهم، قال - تعالى - ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ۖ قَالَ يَبْنَئُ لَا نَقْصَصُ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ۖ وَكَذَلِكَ يَجْنِبُكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ج ١٣٨/٥.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ج ١٣٨/٥.

يَعْقُوبَ كَمَا أَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَاتٍ لِّلسَّالِينَ ﴿٧﴾ [يوسف].^(١)

وقال - تعالى - : ﴿ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَتَأْتُنِي بِهِ ءِلاَآءٌ يُحَاطُ بِكُمْ فَلَمَّا ءَاتَاهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦﴾ وَقَالَ يَبْنَئِي لَا تَدْخُلُوا مِن بَابِ وَحْدٍ وَادْخُلُوا مِن أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِّنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ؕ إِنِ الْحُكْمُ ؕ لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٧﴾ [يوسف].^(٢)

وقال - تعالى - : ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ [آل عمران].^(٣)

وقال - تعالى - : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ [الأنعام].^(٤)

وقال - تعالى - : ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِبْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ [لقمان].^(٥)

وقال - تعالى - : ﴿ يَبْنَئِي إِنِّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ [لقمان].^(٦)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٢١٣.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٩٧٥ - ٩٧٧.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٩٨٨، ٩٨٩.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٣٦٢.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٤٦٢.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٤٦٣.

وقال - تعالى -: ﴿يَبْنِيْ اِقِمِ الصَّلَاةَ وَاْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَاَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاَصْبِرْ عَلَى مَا اَصَابَكَ اِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ ﴿١٧﴾ [لقمان: (١)].

وقد تكبر الكفار لوجود أولاد عندهم ظانين أنها تقرب من الله، قال - تعالى -: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ ﴿٥٥﴾ [التوبة: (٢)].

وقال - تعالى -: ﴿لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿١٧﴾ [المجادلة: (٣)].

وهذا وإن كان في مقام ذكر فضل الله عليهم وجحودهم وكفرهم، إلا أن فيه لفظة عجيبة إلى أن حضور الأبناء وشهودهم أمام والديهم وبين أيديهم، نعمة ومنة من الله: ﴿وَبَيْنَ شُهُودًا﴾ ﴿١٣﴾ [المدثر: (١)].

قال - تعالى -: ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ ﴿٨٥﴾ [التوبة: (٤)].

وقال - تعالى -: ﴿وَأَسْتَفْزِرُ مِنْ أَسْطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِمْ بِخَلْقِكَ وَرَجَلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ ﴿٦٤﴾ [الإسراء: (٥)].

وقال - تعالى -: ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾ ﴿٣٥﴾ [سبأ: (١)].

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٤٦٣.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٨٨٦.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٨٤٢، ١٨٤٣.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٩٣٦.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٩٠١.

وقال - تعالى - : ﴿لَنْ تَفْعَلَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (٢) [الممتحنة].^(٢)

وقال - تعالى - : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾ (١٠) [آل عمران].^(٣)

وقال - تعالى - : ﴿عُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَيْمٌ﴾ (١٣) ﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ (١٤) إِذَا تَتَلَّى عَلَيْهِ ءَايُنَا قَالِكَ أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٥) [القلم].^(٤)

وقال - تعالى - : ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٥٦) ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (١١٦) [آل عمران].^(٥)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١١٢٦، ١١٢٧.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٥٤٤.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٨٥٧ - ١٨٥٩.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٨٩٩، ١٩٠٠.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٣٩٣، ٣٩٤. ج ٢/ ١٢٩٧، ١٢٩٨.

الأدب مع الأقارب:

جعلت الشريعة للأقارب وذوي الأرحام مكانة خاصة، وعُرِّفت صلة الرحم عند المحدثين والفقهاء، بالإحسان إلى ذوي القرابة بكل أنواع الإحسان المادي والمعنوي، وبرهم، وعدم قطيعتهم، مع تفاوت في الأولوية بينهم، وذوو القربى أشارت لهم الآيات الكريمة في عدد من المواضع، قال - تعالى -: ﴿وَإِذَا خَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ [البقرة: (٨٣)]^(١)

وقال - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ۚ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: (١)]^(٢)

وقال - تعالى -: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۗ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: (١٧٧)]^(٣)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ١٥٤، ١٥٥

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٤٣٩.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٢٣٠ - ٢٣٢.

وجاءت الإشارة إلى قرابته ﷺ كما في قوله - تعالى - : ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [الشورى: (١)]

وقال - تعالى - : ﴿مَا آفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا ءَانِسُكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: (٧)]

وقال - تعالى - : ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [النساء: (٨)]

وقال - تعالى - : ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: (٣٦)]

وقال - تعالى - : ﴿وَعَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَلَا بُدْرَ تَبْذِيرًا﴾ [الإسراء: (٦٦)]

وقال - تعالى - : ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: (٦١)]

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٦٦٧ - ١٦٦٩.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٨٤٩، ١٨٥٠.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٤٤٤، ٤٤٦.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٤٧٩ - ٤٨٢.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١١١٥.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٣٢٢.

وقال - تعالى - : ﴿ فَآتَ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [٣٨] ﴿١﴾ [الروم].

وقال - تعالى - : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَّهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ وَأُولَٰئِكَ الْأَرْحَامُ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [٧٥] ﴿٢﴾ [الأنفال].

وقال - تعالى - : ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولَٰئِكَ الْأَرْحَامُ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴾ [٦] ﴿٣﴾ [الأحزاب].

روي عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن رجلاً قال للنبي ﷺ : أخبرني بعمل يدخلني الجنة. فقال ﷺ : ((تعبد الله، ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم)).^(٤)

وقد حث ﷺ على صلة الرحم حتى مع جحودهم أحياناً عن أبي ذر رضي الله عنه قال : ((أوصاني خليلي أن لا تأخذني في الله لومة لائم، وأوصاني بصلة الرحم وإن أدبرت)).^(٥)

وصلة الرحم من أسباب الرزق. وقد وضع البخاري في صحيحه (باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم)، روى فيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٤٥٤.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٨٥٨، ٨٥٩.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٤٨٢، ١٤٨٣.

(٤) رواه البخاري، في صحيحه، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، ج ٢/ ١٠٩؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الإيمان الذي يدخل به الجنة، ج ١/ ٣٣.

(٥) رواه الطبراني في الصغير، ص ٣٩١، ح برقم: ٧٥٨.

رسول الله ﷺ يقول: ((من سره أن يبسط له في رزقه. وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه)).^(١) عن عائشة رضي الله عنها. قالت: قال رسول الله ﷺ: ((الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله)).^(٢) كما روي عن عبدا لله بن سلام رضي الله عنه قال: (لما قدم النبي ﷺ المدينة، انجفل الناس قبلة. وقيل: قد قدم رسول الله ﷺ، قد قدم رسول الله ﷺ، قد قدم ﷺ ثلاثاً، فجئت في الناس لأنظر، فلما تبينت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب، فكان أول شيء سمعته تكلم به أن قال: "يا أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام)".^(٣)

وكان أبو سفيان أجاب هرقل حينما سأله ماذا يأمركم؟ قال أبو سفيان: قلت يقول: ((اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً واتركوا ما يقول آبائكم، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة)).^(٤)

وصلة الرحم تعجل الثواب، وقطيعتها تعجل العقاب، عن أبي هريرة رضي الله عنه

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم، ج ٧/٧٢.

(٢) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب من وصل وصله الله، ج ٢/٧٢ - ٧٣؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحمة وتحريم قطيعتها، ج ٨/٧.

(٣) انظر: الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، ج ٤/٦٥٢، ح برقم: ٢٤٨٥؛ ورواه ابن ماجه في سننه، كتاب الأدب، باب إفشاء السلام، ج ٢/١٢١٧، ح برقم: ٣٦٩٢؛ ورواه أحمد في سننه، ج ٥/٤٥١.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ج ١/٤ - ٧؛ رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعو إلى الإسلام، ج ٥/١٦٣ - ١٦٦.

قال: قال رسول الله ﷺ: ((ليس شيء أطيع الله فيه أعجل ثواباً من صلة الرحم وليس شيء أعجل عقاباً من البغي وقطيعة الرحم)).^(١)

ما من ذنب أجدر أن يعجل الله - تعالى - لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخره له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم.^(٢)

من قطع رحماً أو حلف على يمين فاجرة رأى وباله قبل أن يموت.^(٣)

عن أبي هريرة ؓ أنه قال: قال ﷺ: ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت)).^(٤)

وكان ﷺ يَحْرَصُ على صلة الرحم، عن عمرو بن العاص ؓ قال سمعت النبي ﷺ يقول: ((ولكن لهم رحم أبلاها ببلاها يعني أصلها بصلتها)).^(٥)

قال الله - تعالى -: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَنِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (١٠) [النحل].^(٦)

(١) انظر: البيهقي في السنن الكبرى، ج ١٠/٦٢؛ وصححه الألباني في صحيح الجامع، ج ٢/٩٥٠.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده، ج ٨٠/٤ - ٨٤.

(٣) انظر: الإمام أحمد في مسنده، ج ١٩١/١ - ١٩٤، وصححه أحمد شاكر؛ ورواه أبو داود في سننه، كتاب الزكاة، باب في صلة الرحمة، ج ١٣٦/٢ - ١٣٧، ح برقم: ١٦٩٤.

(٤) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ج ٧٨/٧ - ٧٩؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام

الجار والضيف ولزوم الصمت إلا من الخير وكون ذلك كله من الإيمان، ج ٤٩/١ - ٥٠.

(٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب يُلُّ الرحم ببلاها، ج ٧٣/٧.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١٠٧٣/٢، ١٠٧٤.

قال الله - تعالى - : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ [محمد].^(١)

عن أبي هريرة ؓ أن رجلاً قال: (يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني وأحسن إليهم ويسيئون إلي وأحلم عنهم ويجهلون علي، فقال: "لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المل ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك").^(٢) وقد ثبت أن قاطع الرحم لا يدخل الجنة، ففي الحديث عن جبير بن مطعم ؓ أن النبي ﷺ قال: ((لا يدخل الجنة قاطع)).^(٣) وفي الحديث: ((ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها)).^(٤)

كما ورد عنه ﷺ: ((إن أعمال بني آدم تعرض كل خميس ليلة الجمعة فلا يقبل عمل قاطع رحم)).^(٥)

وفي الحديث القدسي. قال الله - تعالى - : ((أنا خلقت الرحم، وشققت لها اسماً من اسمي، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته، ومن بتها بتته)).^(٦)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٧٢١، ١٧٢٢.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحمة وتحريم قطيعتها، ج ٨/ ٨.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، متاب الأدب، باب إثم القاطع، ج ٧/ ٧٢: رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، ج ٧/ ٧ - ٨. ورواه أحمد في مسنده، ج ٤/ ٨٠ - ٨٣.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب ليس الواصل بالمكافئ، ج ٧/ ٧٣.

(٥) انظر: الإمام أحمد في سننه ج ٢/ ٤٨٣، ٤٨٤.

(٦) انظر: الإمام أحمد مسنده، ج ١/ ١٩١ - ١٩٤؛

وأبو داود في سننه، كتاب الزكاة، باب في صلة الرحمة، ج ٢/ ١٣٦، ح برقم: ١٦٩٤.

أمانته ﷺ:

الْأَمَانَةُ مَصْدَرُ قَوْلِهِمْ: أَمْنٌ يَأْمَنُ أَمَانَةً، مِنْ مَادَّةٍ (أَمَنَ) وتعني سُكُونُ الْقَلْبِ، وهي من الأمان ضد الخوف، حيث لا خوف من المؤتمن على الأمانة.^(١)

وَالْأَمَانَةُ: ضِدُّ الْخِيَانَةِ وَيُقَالُ: أَمِنْتُهُ عَلَى كَذَا، وَاسْتَمَنْتُهُ بِمَعْنَى وَثَقْتُ بِهِ.

وَالْأَمَانَةُ: اسْمٌ لِمَا يُؤْمَنُ عَلَيْهِ الْإِنْسَانُ. وتعني الْعَدَالَةُ وَالْقِيَامُ بِالمَسْئُولِيَّةِ.

وَأداء الواجبات الَّتِي افْتَرَضَهَا اللَّهُ عَلَى الْعَبْدِ، وَالطَّاعَةُ لِلَّهِ. وَالْقِيَامُ بِدِينِهِ.

وجاء الحديث عنها في أكثر من سبع وأربعين آية في كتاب الله.^(٢)

أداء أمانات الناس كودائع الأموالِ وَغَيْرِهَا من الحقوق.

وَيُقَالُ: رَجُلٌ أَمِينٌ أَوْ مَأْمُونٌ ثِقَةٌ يُوْدِي مَا عَلَيْهِ مِنْ حَقٍّ لِعَیْرِهِ. وَالْأَمِينُ هُوَ

مَوْضِعُ الثِّقَةِ وَالْإِنْصَافِ يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيُحِبُّهُ النَّاسُ، وَالْأَمَانَةُ مِنْ أَعْلَى مَرَاتِبِ الْأَدَبِ.

وَالْأَمَانَةُ خُلُقٌ ثَابِتٌ فِي الْبَعْدِ عَمَّا لَيْسَ لَهُ بِهِ حَقٌّ، وَإِنْ تَهَيَّأَتْ لَهُ ظُرُوفُ

أَخْذِهِ، وَالْأَمِينُ هُوَ مَنْ يُوْدِي مَا عَلَيْهِ أَوْ لَدَيْهِ مِنْ حَقٍّ لِّلْغَیْرِ وَهِيَ جُزْءٌ مِنْ

الاستقامة للمسلم على طاعة الله ورضاه. وهي ضِدُّ الْخِيَانَةِ.^(٣)

وَعُرِفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأَنَّهُ أَكْثَرُ الْخَلْقِ أَمَانَةً قَبْلَ مَبْعَثِهِ ﷺ وَبَعْدَهُ، وَلَمَّا

بَلَغَ ﷺ مَبْلَغَ الرِّجَالِ كَانَ مَحَلَّ ثِقَةِ النَّاسِ وَاحْتِرَامِهِمْ، فَلَمْ يُعْرِفْ مِنْ هُوَ

(١) انظر: القاموس المحيط، ص ٢٨.

ابن منظور، لسان العرب، ج ١٣/٢٢.

(٢) انظر: أحمد بن عبد العزيز قاسم الحداد، أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة، ج ٢/٥٣٢.

(٣) انظر: صالح بن حميد وآخرون، نضرة النعيم، ج ٣/٥٠٧.

أصدق منه بمكة، ولا أكثر أمانة منه حتى أنه عرف بالصادق الأمين^(١).

وهناك مواقف متعددة كشفت عن ذلك، فقبل مبعثه ﷺ حينما أعادت قريش بناء الكعبة بعد تهدمها تقاسموا الأركان بينهم. فلما أتموا البناء اختلفوا في وضع الحجر الأسود مكانه، فكل فريق من قريش يريد أن يذهب بفخر وضع الحجر الأسود في مكانه حتى كادوا أن يقتتلوا.

ثم اتفقوا أن يحكموا أول داخل للحرم، فكان أول داخل للحرم هو المصطفى ﷺ، فلما رأوه صاحوا جميعاً: "هذا الأمين هذا محمد رضينا بالأمين"، وهذه شهادة مباشرة من قومه له قبل مبعثه ﷺ حتى من عاداه بعد ذلك^(٢).

فما كان منه ﷺ إلا أن تصرف بحكمة وأمانة، فوضع رداءه، وحمل الحجر الأسود ووضعه على الرداء، وأمر كل قبيلة أن تأخذ بطرف من أطرافه وحملوه، حتى إذا وازى موضعه في الكعبة وضعه الرسول ﷺ بيده الشريفة، فرضي القوم وطابت نفوسهم^(٣).

كانت أمانته ﷺ لافتة للنظر. وفي قريش من يرغب في تشغيل أمواله ومن يعمل في التجارة بُجّل له نصيب معين، وكانت خديجة بنت خويلد ﷺ من ثريات قريش، لا تأمن كل أحد أن يتاجر بمالها، حيث يرغب كثير من الرجال في ذلك. فكانت تسأل وتتحسس وتبحث عن أكثر الرجال أمانة ليعمل في مالها، مع وجود الخبرة في هذا المجال. فسمعت بمحمد ﷺ وصدقته وأمانته، فحرصت على أن تستأجره ليعمل في مالها بشيء تجعله له من

(١) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١/ ١٩٧.

(٢) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١/ ١٩٧.

(٣) مسند الإمام أحمد، ج ٣/ ٤٢٥؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١/ ١٩٧.

الربح، فوافق ﷺ على العمل في مالها.^(١)

فسافر ﷺ في تجارتها إلى عدد من الأسواق المجاورة لمكة في بلاد العرب.^(٢)

وأرسلت معه ﷺ مولاها ميسرة، وسمعت خديجة ﷺ من مولاها ميسرة ما يؤكد لها صدق الرسول ﷺ وأمانته وجربته وخبرته، فقد كان متسامحاً حسن المعاملة، محافظاً على حقوق الآخرين، فأعجبت خديجة ﷺ بأخلاق النبي ﷺ وأمانته وتقديمه الأدب والأخلاق على المال، وتؤكد الأخبار نمو مال خديجة ببركة النبي ﷺ وعمله لها بأمانة.

ولا شك أن أسفار النبي ﷺ في تجارة خديجة ودخوله أسواق العرب واحتكاكه بالناس وزعماء العرب وأشراف القبائل قد أفاده كثيراً، وأثبت عملياً أمانته، ونمى خبرته ومعرفته بالناس والقبائل والبلدان وأخبارها.^(٣)

كما أكد أعداؤه أمانته ﷺ وأمره بها والثقة فيه، وفي حديث أبي سفيان أن هِرْقَلَ قَالَ لَهُ: (سَأَلْتُكَ مَاذَا يَأْمُرُكُمْ فَرَعَمْتَ أَنَّهُ يَأْمُرُ بِالصَّلَاةِ وَالصَّدَقِ وَالْعَفَافِ وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ قَالَ: وَهَذِهِ صِفَةُ نَبِيِّ).^(٤)

وفي رواية أم سلمة ﷺ مِنْ كَلَامِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فِي مُخَاطَبَةِ النَّجَاشِيِّ فَقَالَ لَهُ: (أَيُّهَا الْمَلِكُ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ، نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ،

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها ﷺ، ج ٤/ ٢٣٠.

(٢) ابن حجر، الإصابة، ج ٤/ ٢٨٢.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١/ ١٨٧؛ ابن سعد، السيرة النبوية من الطبقات، ج ١/ ١٣١.

(٤) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ج ١/ ٤ - ٧.

وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسيءُ الْجَوَارَ، يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا، نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ. لِنُوحِدَهُ وَنَعْبُدَهُ وَنَحْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ. وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجَوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالِدِمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ. وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ. قَالَ: فَعَدَّدَ عَلَيْهِ أُمُورَ الْإِسْلَامِ. فَصَدَّقْتَاهُ وَآمَنَّا، وَاتَّبَعْنَاهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ ... الْحَدِيثُ.^(١)

وحفظ أسرار الناس أمانة، تربي عليها أصحاب النبي ﷺ. عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (مَرَّ بِي النَّبِيُّ ﷺ وَأَنَا أَلْعَبُ مَعَ الصَّبْيَانِ فَسَلَّمَ عَلَيْنَا ثُمَّ دَعَانِي فَبَعَثَنِي إِلَى حَاجَةٍ لَهُ، فَجِئْتُ وَقَدْ أَبْطَأْتُ عَنْ أُمِّي، فَقَالَتْ: مَا حَبَسَكَ؟ أَيْنَ كُنْتُ؟ فَقُلْتُ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى حَاجَةٍ فَقَالَتْ أَيُّ بَنِي وَمَا هِيَ؟ فَقُلْتُ: إِنَّهَا سِرٌّ، قَالَتْ: لَا تُحَدِّثْ بِسِرِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحَدًا، ثُمَّ قَالَ: يَا ثَابِتُ لَوْ كُنْتُ حَدَّثْتُ بِهِ أَحَدًا لَحَدَّثْتُكَ يَا ثَابِتُ).^(٢)

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: ((إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ بِالْحَدِيثِ ثُمَّ التَّقَتَ فَهِيَ أَمَانَةٌ)).^(٣)

(١) انظر: أحمد في مسنده، ج ١/ ٢١٠١ - ٢٠٢.

(٢) انظر: أحمد في مسنده، ج ٣/ ٢٥٣، وأصل الحديث في الصحيحين. وفيه من رواية البخاري في صحيحه، كتاب الاستئذان، باب حفظ السر، ج ٧/ ١٤٢؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، باب من فضائل أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ج ٧/ ١٦٠.

(٣) أخرجه أحمد، ج ٣/ ٣٢٤؛ رواه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في نقل الحديث، ج ٤/ ٢٦٩، ح برقم: ٤٨٦٨؛ رواه الترمذي في سننه، كتاب البر والصلة، باب ما جاء أن المجالس أمانة، ج ٤/ ٣٤١، ح برقم: ١٩٥٩.

ولعل الأسرار الزوجية بين الزوجين من أهم الأمانات التي نص عليها ﷺ ،
فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ((إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْأَمَانَةِ
عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ وَتُفْضِي إِلَيْهِ ثُمَّ يَنْشُرُ
سِرَّهَا)) ، وَفِي رِوَايَةٍ: ((مَنْ أَسَرَّ النَّاسَ))^(١).

وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (لَا تَسْتَقِيمُ أَمَانَةُ رَجُلٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ، وَلَا
يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ)^(٢).

وَالْأَمَانَةُ مِنْ أَبْرَزِ أَخْلَاقِ الرُّسُلِ - عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - وَهِيَ الْأَمَانَةُ
العظمى ، حيث حملوا رسالة الله لخلقه وأشارت الآيات القرآنية لذلك .

والأمانة صفة مميزة لأنبياء الله من أصحاب الرسالات ، فقد كان كل
منهم يقول لقومه: إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ.. قالها نبيُّ الله نوح ﷺ ، قال - تعالى -
:- ﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا نُنْقِوْنَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾﴾ [الشعراء].^(٣)

وقالها نبيُّ الله هود ﷺ ، قال - تعالى -:- ﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا نُنْقِوْنَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي
لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾﴾ [الشعراء].^(٤)

ونبيُّ الله صالح ﷺ ، قال - تعالى -:- ﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا نُنْقِوْنَ
﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [الشعراء].^(٥)

(١) انظر: مسلم في صحيحه ، كتاب النكاح ، باب تحريم إفشاء سر المرأة ، ج ٤/ ١٥٧: رواه

أبو داود في سننه ، كتاب الأدب ، باب في نقل الحديث ، ج ٤/ ٢٦٩ ، ح برقم: ٤٨٧٠ .

(٢) رواه أحمد في مسنده ، ج ٣/ ١٩٨ . بلفظ مختلف وقد خرجه الألباني مرفوعاً في سلسلة

الأحاديث الصحيحة ، ج ٦ ق ٢ ، ص ٨٢٢ ، ح برقم: ٢٨٤١

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره ، ج ٢/ ١٣٧٧ .

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره ، ج ٢/ ١٣٧٧ .

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره ، ج ٢/ ١٣٧٩ .

ونبيُّ الله لوط ؑ، قال - تعالى -: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ (١٦١) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ [الشعراء].^(١)

ونبيُّ الله شعيب ؑ، قال - تعالى -: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ (١٧٧) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ [الشعراء].^(٢)

و جبريل ؑ، من أسمائه: (الروح الأمين). كما قال - تعالى -: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ [الشعراء].^(٣)

ومن أعظم الأمانات التي تحملها ؑ وأداها أحسن الأداء وأكمله أمانة الوحي والرسالة التي كلفه الله - تعالى - بتليغها للناس، فبلغ ؑ الرسالة وأحسن البلاغ، وأدى الأمانة فشرح لدعوته صدور المؤمنين، فآمنوا به وصدقوه ونصروه وآزروه، حتى علت كلمة التوحيد لله ﷻ، وانتشر الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها.

وفي حجة الوداع قال ؑ للناس: ((إن الله سألكم عني فماذا أنتم قائلون)) ففرح ؑ لسماع الله لشهادة الناس بأن رسوله قد بلغ وأدى الأمانة ونصح الأمة، قائلاً ؑ: ((اللهم فاشهد)). ثم تأتي الآيات لتؤكد كمال الدين وتمام نعمة الله بأداء محمد ؑ لمهمته وتأديته لرسالته، وتوديعة للناس، وقرب رحيله بعد أدائه للأمانة، وصدق قول الصحابة (كنا نتحدث بحجة الوداع والنبي ﷺ بين أظهرنا ولا ندرى ما حجة الوداع).^(٤)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٣٨٠.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٣٨٠.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٣٨٢.

(٤) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب حجة الوداع، ج ٥/ ١٢٥، ١٢٦.

وما تزال الأمة تشهد له بأداء الأمانة ﷺ ، فعند زيارة قبره ﷺ يردد الزائرون فيما تناقلته الأمة بعضها عن بعض: نشهد أنك أديت الرسالة وبلغت الأمانة ونصحت الأمة فجزاك الله عن الإسلام والمسلمين خير ما جزى نبياً عن أمته.^(١)

ومع حفظ الأنبياء لأمانة الوحي والرسالة، فقد أكدوا على الأمانة في حقوق الناس، قال - تعالى -: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَنْقُومِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَمْثَلُ أَنْفُسِهِمْ وَلَا تَقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (٨٥) [الأعراف].^(٢)

وقال - تعالى - عن شعيب ﷺ: ﴿وَيَنْقُومِ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بَالْقِسْطِ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَمْثَلُ أَنْفُسِهِمْ وَلَا تَعَثُّوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ (٨٥) [هود].^(٣)

وأكد على المؤمنين رعاية الأمانة، قال - تعالى -: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾ (٨) [المؤمنون].^(٤)

وعن عموم الأمانات الدينية والدنيوية قال - تعالى -: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (٧٢) [الأحزاب].^(٥)

(١) انظر: كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين)، القسم الرابع (حجة الوداع).

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٧٧١.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٩٦٤.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٢٨٩.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٥٢٩.

وقال - تعالى - : ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [المعارج: (١)]

وقال - تعالى - : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: (٢)]

وقال - تعالى - : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: (٣)]

وقد قال ﷺ : ((أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنِ اتَّمَنَكَ، وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ)).^(٤)

والإيمان مقرون بالأمانة وقد ورد عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ ، قال: مَا خَطَبَنَا نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ إِلَّا قَالَ: ((لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ)).^(٥)

وقد حث القرآن الكريم على أداء أمانة المال والحكم، حيث الأمانة تعم جميع وظائف الدين والدنيا حسب ما شرع الله.^(٦)

ومن الأمانة أن يؤدي المرء ما عليه على خير وجه، فالعامل يتقن عمله ويؤديه بإجادة وأمانة وإتقان، والمعلم كذلك، والخازن وسائر الوظائف، والطالب يؤدي ما عليه من واجبات، ويجتهد في تحصيل علومه ودراسته، ويخفف عن والديه الأعباء، وهكذا يؤدي كل امرئ واجبه بجد وأمانة

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٩١٩.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٨٣٢.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٤٩٩.

(٤) انظر: أبو داود في سننه، كتاب البيوع، باب في الرجل يأخذ حقه من تحت يده، ج ٣/ ٢٨٨، ح برقم: ٣٥٣٤.

(٥) انظر: أحمد في مسنده، ج ٣/ ١٣٥، وصححه الألباني في صحيح الجامع وزياداته، ج ٢/ ١٢٠٥، ح برقم: ٧١٧٩.

(٦) تفسير القرطبي، ج ١٤/ ٢٥٥.

واجتهاد. عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: ((إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ)).^(١)

وابنة شعيب قالت عن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَأْتِيَنَّكِ أَسْتَجِرُّهُ إِنِّي خَيْرٌ مَنِ اسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص].^(٢)

وقد أعجب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بأمانة عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين اختبره وهو يرمى الغنم، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: ((كُنْتُ أُرْعَى غَنَمًا لِعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ فَمَرَّ بِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: يَا غُلَامُ، هَلْ مِنْ لَبَنٍ؟ قَالَ قُلْتُ: نَعَمْ. وَلَكِنِّي مُؤْتَمَنٌ. قَالَ: فَهَلْ مِنْ شَاةٍ لَمْ يَنْزُ عَلَيْهَا الْفَحْلُ؟ فَأَتَيْتُهُ بِشَاةٍ، فَمَسَحَ ضَرْعَهَا، فَنَزَلَ لَبَنٌ، فَحَلَبَهُ فِي إِنَاءٍ، فَشَرِبَ وَسَقَى أَبَا بَكْرٍ. ثُمَّ قَالَ لِلضَّرْعِ: اقْلِصْ فَقَلَصَ. قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُهُ بَعْدَ هَذَا. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلَّمَنِي مِنْ هَذَا الْقَوْلِ، قَالَ: فَمَسَحَ رَأْسِي، وَقَالَ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَإِنَّكَ غُلِيمٌ مُعَلَّمٌ)).^(٣)

وكل إنسان مسئول عن كل شيء يعتبر أمانة في عنقه، سواء أكان حاكماً أم حارساً، أم والدًا أم ابنًا، وسواء أكان رجلاً أم امرأة، فهو راعٍ ومسئول عن رعيته، عَنْ نَافِعٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ((كُلُّكُمْ رَاعٍ فَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، ج ٤/٣٣٤، ح برقم: ٥٣١٢؛ وانظر: الألباني، صحيح

الجامع الصغير وزيادته، ج ١/٢٨٣، ح برقم: ١٨٨٠.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٤١٣.

(٣) انظر: أحمد في مسنده، ج ١/٣٧٩.

بَعْلَهَا وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ،
أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ))^(١).

وقد قال ﷺ: ((مَا مِنْ عَبْدٍ اسْتَرْعَاهُ اللَّهُ رَعِيَّةً، فَلَمْ يَحْطَهَا بِنَصِيحَةٍ، إِلَّا
لَمْ يَجِدْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ))^(٢).

كما قال ﷺ: ((مَنْ اسْتَعْمَلَنَاهُ مِنْكُمْ عَلَى عَمَلٍ، فَكَتَمْنَا مَخِيطًا فَمَا
فَوْقَهُ، كَانَ غُلُولًا يَأْتِي بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ: فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ أَسْوَدُ مِنَ
الْأَنْصَارِ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ. فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اقْبَلْ عَنِّي عَمَلَكُ، قَالَ: وَمَا
لَكَ؟ قَالَ: سَمِعْتُكَ تَقُولُ: كَذَا وَكَذَا. قَالَ: وَأَنَا أَقُولُهُ الْآنَ. مَنْ اسْتَعْمَلَنَاهُ
مِنْكُمْ عَلَى عَمَلٍ فَلْيَجِءْ بِقَلِيلِهِ وَكَثِيرِهِ. فَمَا أُوتِيَ مِنْهُ أَحَدًا، وَمَا نُهِيَ عَنْهُ
اِنْتَهَى))^(٣).

وقد غضب ﷺ غضباً شديداً حين اتهم في أمانته، وذكر بأمانته العظمى
في حمل الرسالة ﷺ، فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: ((بَعَثَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي
طَالِبٍ ﷺ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْيَمَنِ بِذُهَيْبَةٍ فِي أَدِيمٍ مَقْرُوظٍ لَمْ تُحْصَلْ مِنْ

(١) ورواه البخاري في صحيحه، كتاب الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس، باب
العبد راعٍ في مال سيده ولا يعمل إلا بإذنه، ج ٣/٨٧؛ أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي مَسْنَدِهِ، ج ٥/٢؛ ورواه
مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على
الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم، ج ٧/٦، ٨.

(٢) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب من استرعى رعية فلم ينصح،
ج ٨/١٠٧؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على
الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم، ج ٩/٦.

(٣) انظر: مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب تحريم هدايا العمال، ج ٦/١٢؛ ورواه أبو
داود في سننه، كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب في أرزاق العمال، ج ٣/١٣٤، ح برقم:
٢٩٤٣.

تُرَابِهَا. ^(١) قَالَ فَقَسَمَهَا بَيْنَ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ: بَيْنَ عُيَيْنَةَ بْنِ بَدْرٍ، وَأَقْرَعَ بْنِ حَابِسٍ، وَزَيْدِ الْخَيْلِ، وَالرَّابِعُ إِمَّا عَلْقَمَةُ وَإِمَّا عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ. فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: كُنَّا نَحْنُ أَحَقُّ بِهَذَا مِنْ هَؤُلَاءِ. فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: أَلَا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينٌ مَنْ فِي السَّمَاءِ، يَأْتِينِي خَبَرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً؟ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اتَّقِ اللَّهَ! قَالَ: وَيْلَكَ: أَوْلَسْتُ أَحَقَّ أَهْلِ الْأَرْضِ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ؟ قَالَ: ثُمَّ وَلَّى الرَّجُلُ...)) الْحَدِيث. ^(٢)

ومن الحث على الأمانة في الوظائف والعمالات الشرعية في الدولة الإسلامية، والقدرة على القيام بمسؤولياتها، ما روي عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي؟ قَالَ: فَضْرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكَبِي. ثُمَّ قَالَ: ((يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خَزِيٌّ وَنَدَامَةٌ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا)). ^(٣)

وأبو ذرٍّ ﷺ ليس موضع شك أو تخوين، لكن من الأمانة القيام على المسؤولية بحقها، ولم تكن لتتحقق في أبي ذرٍّ ﷺ لمقومات شخصية، وليست أخلاقية، ومن أمانة أبي ذرٍّ نقله لما دار بينه وبين رسول الله ﷺ ومن ذلك الحديث عن ضعف أبي ذرٍّ نفسه ﷺ.

وقد أشار ﷺ في رواية أخرى إلى عظيم أجر العمال على وظائف الدين والدنيا، ومنها الزكاة، فَعَنْ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

(١) أديم مقروظ: أي جلد مدبوغ بالقرظ وهو شجر معروف في الحجاز يستعمل ثمره للدباغة.
(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب بعث علي بن أبي طالب وخالد... إلى اليمن...، ج ١١٠/٥ - ١١١؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، ج ١١٠/٣، ١١١.
(٣) انظر: مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب كراهية الإمارة بغير ضرورة، ج ٦/٦ - ٧.

((الْعَامِلُ عَلَى الصَّدَقَةِ بِالْحَقِّ كَالْغَازِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى بَيْتِهِ)).^(١)

روي عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((الْخَازِنُ الْأَمِينُ الَّذِي يُؤَدِّي مَا أُمِرَ بِهِ طَيِّبَةً نَفْسُهُ أَحَدُ الْمُتَصَدِّقِينَ)).^(٢)

وقد تحدث العلماء عن الأمانة في اختيار عمال الدولة. ومنهم ابن تيمية ﷺ الذي بوب في الفصل الأول من كتابه: (السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية) بعنوان: "استعمال الأصلح".^(٣) قال فيه: (ويُحَاسَبُ عَلَى كُلِّ أَمْرٍ يَكْلَفُ بِهِ وَيُوَكَّلُ إِلَيْهِ، بِنَاءً عَلَى الْحَدِيثِ: "كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ").^(٤)

وكان الرسول ﷺ يصدر تعليماته المستمرة لولاته على البلدان على ضوء ما يجد من أحداث، ويؤكد عليهم قبل سفرهم لولاياتهم وبعده بأهمية أداء الأمانة وينهاهم عن الخيانة ويأمرهم بالأمانة^(٥) ويؤكد عليها.

(١) رواه أبو داود في سننه، كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب في السعاية على الصدقة، ج ١٣٢/٣، ح برقم: ٢٩٣٦؛ ورواه الترمذي في سننه، كتاب الزكاة، باب ما جاء في العامل على الصدقة بالحق، ج ٣٧/٣، ح برقم: ٦٤٥؛ وأخرجه أحمد في مسنده، ج ١٤٣/٤.

(٢) البخاري في صحيحه، كتاب الإجارة، باب في الإجارة استئجار الرجل الصالح...، ج ٤٧/٣ - ٤٨؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب أجر الخازن، الأمين...، ج ٩٠/٣.

(٣) ابن تيمية، السياسة الشرعية، ص ٦ - ١٣.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب في الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس، باب العبد راعٍ في مال سيده ولا يعمل إلا بإذنه، ج ٧٨/٣.

(٥) انظر: أبو يوسف، الخراج، ص ١٢١.

كما نقل ابن تيمية ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: ((من استعمل رجلاً على عصابة، أي جعله مسؤولاً على جماعة، وفيهم من هو أَرْضَى الله منه، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين)).^(١)

وقد قال رسول الله ﷺ: ((إذا ضُيعَت الأمانة فانتظر الساعة)). وهناك حديث طويل يشمل هذه الرواية وغيرها مما يرتبط بالأمانة.

فَعَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((أَنَّ الْأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَدْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، ثُمَّ نَزَلَ الْقُرْآنُ، فَعَلِمُوا مِنَ الْقُرْآنِ، وَعَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ، ثُمَّ حَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِ الْأَمَانَةِ، قَالَ: يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ، فَتُقْبَضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظِلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ الْوَكْتِ، ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظِلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ الْمَجْلِ، كَجَمْرٍ دَخَرَجْتُهُ عَلَى رِجْلِكَ، فَتَنْفِطُ، فَتَرَاهُ مُنْتَبِهًا، وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ. (ثُمَّ أَخَذَ حَصَى فَدَخَرَجَهُ عَلَى رِجْلِهِ) فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَّبَاعِيْعُونَ، لَا يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الْأَمَانَةَ، حَتَّى يُقَالَ: إِنَّ فِي بَنِي فَلَانٍ رَجُلًا أَمِينًا...)) الحديث.^(٢)

وقد استشهد شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى بجزء من الحديث، حيث قال: فصل: فأما أداء الأمانات ففيه نوعان: أحدهما: الولايات. فيجب على ولي الأمر أن يولي على كل عمل من أعمال المسلمين أصلح من يجده لذلك العمل، قال النبي ﷺ: ((من ولي من أمر المسلمين شيئاً فولى رجلاً وهو يجد من هو أصلح للمسلمين منه، فقد خان الله ورسوله)) وفي رواية: ((من ولى

(١) الحديث رواه الحاكم في المستدرک، ج ٤/١٠٤؛ والطبراني في المعجم الكبير، ج ١١/١١٤؛

وانظر: ابن تيمية، السياسة الشرعية، ص ٦.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، ج ٥/٣٨٣؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب رفع الأمانة والإيمان من بعض القلوب وعرض الفتن على القلوب، ج ١/٨٨؛ ورواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب رفع الأمانة، ج ٧/١٨٨.

رجلاً على عصابة وهو يجد في تلك العصابة من هو أرضى لله منه فقد خان الله ورسوله وخان المؤمنين^(١).

وعلق ابن تيمية في موضع آخر على الروايات التي اختصرها بقوله: ((فيجب على ولي الأمر أن يولي على كل عمل من أعمال المسلمين أصلح من يجده لذلك العمل^(٢))).

وأكد القرآن الكريم على أهمية أن يأمن الناس على أموالهم، ويتخذوا الأسباب المؤدية لذلك من الرهن أو الكتابة. قال - تعالى -: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَنْ مَقْبُوضَةً فَإِنْ مِنْ بَعْضِكُمْ بَعْضًا فليؤدِّ الَّذِي أُوتِمْنَ أَمْنَتُهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿١٢٣﴾﴾ [البقرة^(٣)].

والأمانة على أموال اليتامى نصت عليها الآيات الكريمة؛ لما فيهم من ضعف، وعدم قدرة على استخلاص حقوقهم، قال - تعالى -: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾﴾ [الإسراء^(٤)].

وقال - تعالى -: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء^(٤)].

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج ٨/٢٤٧.

(٢) ابن تيمية، السياسة الشرعية، ص ٦.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٣٤٤.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١١٧.

كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصْنَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾
[الأنعام].^(١)

وأموال عامة الناس فيها قوله - تعالى -: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ ﴿٣٥﴾ [الإسراء].^(٢)

وقال - تعالى -: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ ﴿١٨١﴾ [الشعراء].^(٣)

والوفاء بالعهد يعد من الأمانة، قال - تعالى -: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ ﴿١١﴾ [النحل].^(٤)

وقال - تعالى -: ﴿يَبْنِىْ اِسْرَءِيْلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي اَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَاَوْفُوا بِعَهْدِيْ اَوْفِ بِعَهْدِكُمْ وَاِيْتِيْ فَاَرْهَبُوْنِ﴾ ﴿٤٠﴾ [البقرة].^(٥)

وقال - تعالى -: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا اَوْفُوْا بِالْعُقُوْدِ اُحْلَلَتْ لَكُمْ بِهِيْمَةٌ اَلَا مَا يَتْلٰى عَلَيْكُمْ غَيْرِ مُحِلِّ الصَّيْدِ وَاَنْتُمْ حُرْمٌ اِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيْدُ﴾ ﴿١﴾ [المائدة].^(٦)

وكان ﷺ يقص من أحوال الأمم الماضية ما يدل على الحرص على الأمانة ونتائج حفظها. ومن ذلك ما روي عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: ((اشترى رجل من رجل عقاراً له فوجد الرجل الذي اشترى العقار في عقاره

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٧٣٤.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١١١٧.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٣٨١.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٠٧٤.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ١٢١.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٥٦٩.

جَرَّةً فِيهَا ذَهَبٌ، فَقَالَ لَهُ الَّذِي اشْتَرَى الْعَقَارَ: خذْ ذَهَبَكَ مِنِّي؛ إِنَّمَا اشْتَرَيْتَ مِنْكَ الْأَرْضَ وَلَمْ أَبْتَغِ مِنْكَ الذَّهَبَ. فَقَالَ الَّذِي شَرَى الْأَرْضَ: إِنَّمَا بَعْتُكَ الْأَرْضَ وَمَا فِيهَا. قَالَ: فَتَحَاكُمَا إِلَى رَجُلٍ، فَقَالَ الَّذِي تَحَاكُمَا إِلَيْهِ: أَلَكُمَا وَلَدٌ؟ فَقَالَ: أَحَدُهُمَا لِي غُلَامٌ، وَقَالَ الْآخَرُ: لِي جَارِيَةٌ. قَالَ أَنْكَحُوا الْغُلَامَ الْجَارِيَةَ، وَأَنْفَقُوا عَلَى أَنْفُسِكُمَا مِنْهُ وَتَصَدَّقَا^(١).

وَمِنَ الْأَمَانَةِ حِفْظُ الْوَدَائِعِ وَأَدَاؤُهَا لِأَصْحَابِهَا عِنْدَمَا يَطْلُبُونَهَا كَمَا هِيَ، مِثْلَمَا فَعَلَ الرَّسُولُ ﷺ مَعَ الْمُشْرِكِينَ، فَقَدْ كَانُوا يَتْرَكُونَ وَدَائِعَهُمْ عِنْدَ الرَّسُولِ ﷺ لِيَحْفَظَهَا لَهُمْ، وَلِذَا فَقَدَ حَتَّى ﷺ عَلَى رَدِّ الْوَدَائِعِ إِلَى أَصْحَابِهَا، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ((مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّاهَا اللَّهُ عَنْهُ، وَمَنْ أَخَذَهَا يُرِيدُ إِتْلَافَهَا أَتْلَفَهُ اللَّهُ ﷻ)).^(٢)

كَانَ ﷺ بِنَفْسِهِ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى أَدَاءِ الْأَمَانَاتِ وَالْوَدَائِعِ لِلنَّاسِ وَقَدْ تَأَخَّرَ عَلَيَّ ﷺ عَنِ الْهَجْرَةِ قَلِيلًا بِأَمْرِهِ ﷺ، يُوْدِي الْأَمَانَاتِ وَالْوَدَائِعِ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِقُرَيْشٍ، بِمَنْ فِيهِمْ الْمُشْرِكُونَ، وَكَانَ عَلَيَّ ﷺ أَهْلًا لِأَدَاءِ الْأَمَانَةِ وَمَحَلَّ ثِقَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،^(٣) وَالْمُؤْمِنِينَ وَالنَّاسَ جَمِيعًا.

وَقَدْ بَقِيَ عَلَيَّ ﷺ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي مَكَّةَ أَدَّى فِيهَا الْأَمَانَاتِ ثُمَّ لَحِقَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَدِينَةِ.^(٤)

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، ج ٤/١٥٠؛ رواه مسلم في صحيحه، كتاب الأقضية، باب استحباب إصلاح الحاكم بين الخصمين، ج ٥/١٣٣.

(٢) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب في الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس، باب من أخذ أموال الناس يريد أداءها أو إتلافها، ج ٣/٨٢؛ وأخرجه أحمد في مسنده، ج ٢/٤١٧.

(٣) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١/٤٨٢.

(٤) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١/٤٩٣.

وقد حرمت عليه ﷺ الصدقة. وكان مؤتمناً عليها ويعف عنها، ومن حرصه ﷺ ما روى أبو هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: ((وَاللَّهِ إِنِّي لَأَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِي فَأَجِدُ التَّمْرَةَ سَاقِطَةً عَلَى فِرَاشِي - أَوْ فِي بَيْتِي - فَأَرْفَعُهَا لِأَكُلَهَا، ثُمَّ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ صَدَقَةً - أَوْ مِنَ الصَّدَقَةِ - فَأُلْقِيهَا)).^(١)

ومن الأمانة في العبادة أن يلتزم المسلم بالتكاليف، فيؤدي ما عليه من فرائض بكل أمانة. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّهُ ذَكَرَ الصَّلَاةَ يَوْمًا، فَقَالَ: ((مَنْ حَافِظَ عَلَيْهَا كَأَنَّهُ لُهُ نُورًا، وَبُرْهَانًا، وَنَجَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا لَمْ يَكُنْ لَهُ نُورٌ، وَلَا بُرْهَانٌ، وَلَا نَجَاةٌ، وَكَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَأَبِي بَنْ خَلْفٍ)).^(٢)

وهناك أحاديث كثيرة تتعلق بأمانة الصوم وأمانة الزكاة، وغيرها من العبادات، أوردناها في قسم (عبادته ﷺ) من هذه الموسوعة.^(٣)

وجاء في الحديث قوله ﷺ: ((الْمُؤَدَّنُ مُؤْتَمَنٌ))،^(٤) أي على الوقت ودقته وتتبعه.

ومن الأمانة حفظ الجوارح التي أنعم الله بها على الإنسان، عنما يغضب الله، فالجوارح والأعضاء كلها نعم من الله وأمانات، يجب أن يحافظ عليها الإنسان، ولا يستعملها فيما يغضب الله - سبحانه -، فالعين أمانة يجب عليه

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب اللقطة، باب إذا وجد ثمرة في الطريق، ج ٣/٩٤؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب تحريم الزكاة على رسول الله ﷺ وعلى آله وهم بنو هاشم وبنو المطلب دون غيرهم، ج ٣/١١٧.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ج ٢/١٦٩؛ ورواه الدارمي في سننه، كتاب الرقاق، باب المحافظة على الصلاة، ج ٢/٣٠١ - ٣٠٢.

(٣) انظر الجزء الثالث من هذه الموسوعة.

(٤) رواه أحمد في مسنده، ج ٥/٢٦٠.

أن يفضيها عن الحرام، والأذن أمانة يجب عليه أن يجنبها سماع الحرام،
واليد أمانة، والرجل أمانة... وهكذا.

قال - تعالى -: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [٣٦] [الإسراء: (١)].

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: ((من استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون صب في أذنيه الآنك يوم القيامة)). (٢)

وفي الحديث القدسي الصحيح: ((إذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها)). وجاء في رواية أخرى يقول - سبحانه -: ((فبي يسمع وببي يبصر وببي يبطش وببي يمشي)) ومعنى ذلك أن الله يوفقه ويسدده في أعماله، استعمل تلك الجوارح. فيما يرضيه ﷻ قال - تعالى -: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [٢٣] [الملك: (٣)] وقال - تعالى -: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [١٨] [ق: (٤)].

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١١١٨.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التعبير، باب من كذب في حلمه، ج ٨/ ٨٣؛ ورواه الدارمي في سننه، كتاب الرقائق، ج ٢/ ٢٩٨، ح برقم: ٦٥٢٠؛ والآنك: هو الرصاص المذاب على النار.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٩٠٠.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٧٥٦.

وقال - تعالى -: ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَقُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ٢٠﴾ وَقَالُوا لِمَ لِيُؤْذِيَهُمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ [فصلت].^(١)

كما أن العفة وحفظ الفرج أمانة، فكان ﷺ يأمر بما يعين على حفظ الإنسان من الوقوع في المعصية. وقد قال ﷺ: ((يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج...)).^(٢)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: ((الْعَيْنُ تَرْنِي، وَالْقَلْبُ يَرْزِي، فَزِنَا الْعَيْنِ النَّظَرُ، وَزِنَا الْقَلْبِ التَّمَنِّي، وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ مَا هُنَالِكَ أَوْ يُكَذِّبُهُ)).^(٣)

ولا شك أن الزَّنا يَسْلُبُ الزَّانِي أَحْسَنَ الْأَسْمَاءِ، وَهِيَ الْعِفَّةُ وَالْبِرُّ وَالْأَمَانَةُ، وَيُعْطِيهِ أَضْدَادَهَا كَالْفَاجِرِ وَالْفَاسِقِ وَالزَّانِي وَالْخَائِنِ.^(٤)

والقلب أهم الجوارح كلها، فلا تنفع الأعمال الظاهرة إلا بصلاح النية والقصد باطنًا، فإذا صلح القلب صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله. قال - تعالى -: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ١٩﴾ [غافر].^(٥)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٦٥٤.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب قول النبي ﷺ من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ج ٦/ ١١٧؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، ووجد مؤنه، واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم، ج ٤/ ١٢٨ - ١٢٩.

(٣) أخرجه أحمد، ج ٢/ ٣٢٩.

(٤) انظر: صالح بن حميد وآخرين، نضرة النعيم، ج ١٠/ ٤٥٦٩.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٦٣٨.

وفي الحديث: ((.. ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت)).^(١)

وقد قال رسول الله ﷺ: ((ثلاثة لا ترى أعينهم النار: عين حرس في سبيل الله، وعين بكت من خشية الله، وعين كفت عن محارم الله)).^(٢)

وقد قال ﷺ: ((يا علي لا تتبع النظرة النظرة، فإنما لك الأولى وليست لك الآخرة)).^(٣)

فقد قال - سبحانه - في صفات عباده المؤمنين مما يمكن أن يدخل ضمن الأمانة قال ﷺ: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ [القصص].^(٤)

وقال ﷺ: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتُ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْآنْعَمُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ [الحج].^(٥)

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ج ٧٨/٧، ٧٩.

(٢) رواه أحمد في مسنده، ج ٢٥٧/٥؛ انظر: الترمذي في سننه، كتاب الأدب، باب ما جاء في نظرة المفاجأة، ج ١٠١/٥، ح برقم: ٢٧٧٧، وجزء منه في كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الحرس في سبيل الله...، ج ١٧٤ / ٤، ح برقم: ١٦٣٩؛ ورواه أبو داود في سننه، كتاب النكاح، باب ما يؤمر به من غض البصر، ج ٢٥٢/٢، ح برقم: ٢١٤٩.

(٣) رواه أبو داود في سننه، كتاب النكاح، باب ما يؤمر به من غض البصر، ص ٣٧٣، ح رقم ٢١٤٩؛ والترمذي في سننه، كتاب الأدب، باب ما جاء في نظرة المفاجأة، ج ١٠١/٥، ح رقم ٢٧٧٧؛ ورواه أحمد في مسنده، ج ٣٥٧/٥.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١٤٢٠/٢.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١٢٧٢/٢.

قال - تعالى -: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ (٧٢) [الفرقان].^(١)

قال - تعالى -: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ (٣) [المؤمنون].^(٢)

وقوله - سبحانه -: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ (٧٢) [الفرقان] ^(٣) أي لا يحضرون مجالس الكذب والزور والبهتان قال ﷺ: ((مَنْ يَضْمَنُ لِي مَا بَيْنَ لِحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنَ لَهُ الْجَنَّةَ)).^(٤)

عَنْ مُصْنَعِبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: ((لَمَّا كَانَ يَوْمُ فَتْحِ، مَكَّةَ أَمَّنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ مِنْهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ بْنُ أَبِي السَّرْحِ. فَاحْتَبَأَ عِنْدَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَلَمَّا دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ إِلَى الْبَيْعَةِ، جَاءَ بِهِ عُثْمَانُ، حَتَّى أَوْقَفَهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ. قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بَايَعُ عَبْدُ اللَّهِ. قَالَ فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَتَنَظَّرَ إِلَيْهِ ثَلَاثًا، كُلُّ ذَلِكَ يَأْبَى، فَبَايَعَهُ بَعْدَ ثَلَاثٍ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: أَمَا كَانَ فِيكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ، يَقُومُ إِلَى هَذَا حَيْثُ رَأَى كَفَفْتُ يَدِي عَنْ بَيْعَتِهِ فَيَقْتُلُهُ؟ فَقَالُوا: وَمَا يُدْرِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا فِي نَفْسِكَ، هَلَّا أَوْمَأْتَ إِلَيْنَا بِعَيْنِكَ. قَالَ: إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ خَائِنَةٌ أَعْيُنٍ)).^(٥)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٣٦٧.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٢٨٩.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٣٦٧.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب، الرقاق، باب حفظ اللسان، ج ٧/ ١٨٤.

(٥) انظر: أبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب قتل الأسير ولا يعرض عليه الإسلام،

ج ٣/ ٥٩، ح برقم: ٢٦٨٣؛ ورواه في كتاب الحدود، باب الحكم فيمن ارتد، ج ٤/ ١٢٦، ح

برقم: ٤٣٥٩؛ رواه النسائي في سننه، كتاب تحريم الدم، باب الحكم في المرتد،

ج ٧/ ١٠٥، ١٠٦؛ الألباني في السلسلة الصحيحة، ج ٤/ ٣٠٠؛

وانظر: كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين)، القسم الثالث.

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ كُنْتُ خَصْمُهُ خَصَمْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ، وَلَمْ يُوفِهِ أَجْرَهُ)).^(١)

والأمانة تكون في البيع والشراء: فالمسلم لا يغش أحداً، ولا يغدر به ولا يخونه، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: ((أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِرَجُلٍ يَبِيعُ طَعَامًا فَأَعْجَبَهُ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهِ، فَإِذَا هُوَ طَعَامٌ مَبْلُولٌ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَيْسَ مِنَّا مَنْ غَشَّنَا)).

وفي رواية: ((فَادْخُلْ يَدَهُ فِيهِ، فَتَالَتْ أَصَابِعُهُ بِلَالًا، فَقَالَ: مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟ قَالَ: أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ؟ مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي)).^(٢)

وقد نزلت سورة كاملة في التطفيف وتعالج قلة الأمانة وخيانة الناس في الموازين. ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣﴾ [المطففين].^(٣)

والأمانة في الكلام أن يلتزم المسلم بالكلمة الصحيحة الجادة والشهادة الصحيحة، فيعرف قدر الكلمة وأهميتها.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ ﷻ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب إثم من باع حراً...، ج ٤١/٢؛ وأخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده، ج ٣٥٨/٢.

(٢) انظر: أحمد في مسنده، ج ٢٤٢/٢، ٤١٧؛ رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ من غشنا فليس منا، ج ٦٩/١؛ والترمذي في سننه، كتاب البيوع، باب ما جاء في كراهية الغش في البيوع، ج ٦٠٦/٣، ح برقم: ١٣١٥.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١٩٧١/٢.

بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، لَا يُلْقَى لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ)).^(١)

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: ((أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ، حَتَّى يَدْعَهَا: إِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ)).^(٢)

كما أن من الأمانة حفظ أسرار المستشير، فقد ورد في الحديث النبوي عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ وَأَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنهما قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ)).^(٣)

كما أن الزوجات أمانة عند رجالهن يجب أداء حقوقهن وحفظهن.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَطَبَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ فَكَانَ مِمَّا قَالَ: ((اتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ؛ فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللَّهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ. وَإِنَّ لَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئَنَّ فُرْشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُوهُ...)) الحديث.^(٤)

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((كَيْفَ بِكُمْ وَبِزَمَانٍ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ يُغْرِبُ النَّاسُ فِيهِ غَرْبَةً، ثُمَّ تَبْقَى حُتَالَةٌ مِنْ

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان، ج٧/١٨٤، ١٨٥.

(٢) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، ج١/١٤؛ رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، ج١/٥٦؛ رواه أحمد في مسنده، ج٢/١٨٩، ١٩٨؛ أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ج٢/٣٣٤.

(٣) انظر: الترمذي في سننه، كتاب الزهد، باب ما جاء في معيشة أصحاب النبي ﷺ، ج٤/٥٨٣ - ٥٨٥؛ ورواه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في المشورة، ج٤/٣٣٥، ح برقم: ٥١٢٨، وقال محقق جامع الأصول (٢/١): حديث حسن.

(٤) انظر: مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، ج٤/٣٨ - ٤٣.

النَّاسِ قَدْ مَرَجَتْ عُهُودُهُمْ وَأَمَانَتُهُمْ، فَاخْتَلَفُوا هَكَذَا - وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ - قَالُوا: كَيْفَ بِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِذَا كَانَ ذَلِكَ؟ قَالَ: تَأْخُذُونَ بِمَا تَعْرِفُونَ، وَتَدْعُونَ مَا تُنْكِرُونَ، وَتُقْبِلُونَ عَلَى خَاصَّتِكُمْ، وَتَذَرُونَ أَمْرَ عَوَامِّكُمْ^(١).

وكان ﷺ يحذر من ضياع الأمانة، ويتحدث عن المستقبل وتضييع الأمانة فيه، وأن ذلك من علامات الساعة. ورد عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: ((بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ فِي مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ جَاءَ أَعْرَابِي فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ فَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحَدِّثُ. فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: سَمِعَ مَا قَالَ فَكَرِهَ مَا قَالَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ لَمْ يَسْمَعْ. حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ قَالَ: أَيْنَ أَرَاهُ السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ؟ قَالَ: هَا أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: فَإِذَا ضَيَّعَتِ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ. قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: إِذَا وُسِدَّ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ^(٢))).

وقد كان الصحابة ﷺ أهل أمانة، وأشهرهم بها أبو عبيدة بن الجراح، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ، وَأَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ^(٣))). ولا شك أن هذا الوسام الذي حظي به أبو عبيدة، أصبح معروفاً به في الأمة إلى يوم القيامة، كل يحاول أن يحذو حذوه ﷺ.

(١) رواه أحمد في مسنده، ج ٢١٢/٢، ٢٢٠، ٢٢١؛

انظر: ابن ماجه في سننه، كتاب الفتن، باب التثبت في الفتن، ج ١٣٠٧/٢، ح برقم: ٣٩٥٧؛ ورواه أبو داود في سننه، كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، ج ١٢١/٤ - ١٢٢، ح برقم: ٤٣٤٢، ٤٣٤٣؛ والألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج ١/٤١٥.

(٢) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب من سئل علماً وهو مشغول في حديثه فأنتم الحديث ثم أجاب السائل، ج ٢١/١.

(٣) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب قصة أهل نجران، ج ١٢٠/٥؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب فضائل أبي عبيدة بن الجراح ﷺ، ج ٢٩/٧.

عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ ؓ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِأَهْلِ نَجْرَانَ: ((لَأَبْعَثَنَّ إِلَيْكُمْ رَجُلًا أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ. فَاسْتَشْرَفَ لَهَا أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ فَبَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ)).^(١)

كَمَا أَتَى ﷺ عَلَى بَعْضِ الْقَبَائِلِ كَمَا قَالَ: ((الْمَلِكُ فِي قُرَيْشٍ وَالْقَضَاءُ فِي الْأَنْصَارِ، وَالْأَذَانُ فِي الْحَبَشَةِ، وَالْأَمَانَةُ فِي الْأَزْدِ يَعْنِي الْيَمَنَ)).^(٢)

وَفِي وَصْفِ الْمُسْلِمِ بِصِفَاتٍ خَيْرَةٍ وَرَدَتْ الْأَمَانَةُ مَعَهَا، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ. وَالْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ)).^(٣)

وَكَانَ مِنْ دَعَائِهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ اسْتِيعَادَ اللَّهِ أَمَانَتَهُمْ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ؓ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُودِّعُنَا: ((أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ دِينَكَ وَأَمَانَتَكَ وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ)).^(٤)

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ؓ: ((الْقُرْآنُ أَمِينٌ عَلَى كُلِّ كِتَابٍ قَبْلَهُ)).^(٥)

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب قصة أهل نجران، ج ١٢٠/٥؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة ؓ، باب فضائل أبي عبيدة بن الجراح ؓ، ج ٢٩/٧.

(٢) انظر: الترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب في فضل اليمن، ج ٧٢٧/٥، ح برقم: ٣٩٣٦؛ ورواه أحمد في مسنده، ج ٣٦٤/٢.

(٣) انظر: الترمذي في سننه، كتاب الإيمان، باب ما جاء في أن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، ج ١٧/٥، ح برقم: ٢٦٢٧. وقال: هذا حديث حسن صحيح؛ ورواه النسائي في سننه، ج ٤/٨، ٥.

(٤) انظر: الترمذي في سننه، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا ودَّع إنساناً، ج ٤٩٩/٥، ح برقم: ٣٤٤٣؛ ورواه أبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب في الدعاء عند الوداع، ج ٣٤/٣، ح برقم: ٢٦٠٠.

(٥) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزول النوحى وأول ما نزل، ج ٩٦/٦.

وأداء الأمانة ومنها قضاء الدين وأداء حقوق الناس وأماناتهم مقدم على الوصية وفعل الخير، ولعل في قصة الزبير بن العوام ﷺ درساً في هذا الجانب.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ ﷺ قَالَ: (لَمَّا وَقَفَ الزُّبَيْرُ يَوْمَ الْجَمَلِ دَعَانِي فَقُمْتُ إِلَى جَنْبِهِ، فَقَالَ: يَا بُنَيَّ لَا يُقْتَلُ الْيَوْمَ إِلَّا ظَالِمٌ أَوْ مَظْلُومٌ، وَإِنِّي لَا أُرَانِي إِلَّا سَاقُتِلُ الْيَوْمَ مَظْلُومًا، وَإِنَّ مِنْ أَكْبَرَ هَمِّي لَدَيْنِي، أَفْتَرَى يُبْقَى دَيْنُنَا مِنْ مَالِنَا شَيْئًا؟ فَقَالَ: يَا بُنَيَّ بَعْ مَالِنَا، فَاقْضِ دَيْنِي. وَأَوْصَى بِالثُّلُثِ، وَثُلُثَهُ لِبَنِيهِ - يَعْنِي بَنِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، يَقُولُ: ثُلُثُ الثُّلُثِ - فَإِنْ فَضَلَ مِنْ مَالِنَا فَضْلٌ بَعْدَ قَضَاءِ الدَّيْنِ فَتَلُّهُ لَوْلَدِكَ. قَالَ هِشَامٌ: وَكَانَ بَعْضُ وَلَدِ عَبْدِ اللَّهِ قَدْ وَارَى بَعْضَ بَنِي الزُّبَيْرِ - حُبِيبٌ وَعَبَّادٌ - وَلَهُ يَوْمَئِذٍ تِسْعَةُ بَنِينَ وَتِسْعُ بَنَاتٍ. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَجَعَلَ يُوصِيَنِي بِدَيْنِهِ وَيَقُولُ: يَا بُنَيَّ إِنْ عَجَزْتَ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ فَاسْتَعِنْ عَلَيْهِ مَوْلَايَ. قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا دَرَيْتُ مَا أَرَادَ حَتَّى قُلْتُ: يَا أَبَتِ مَنْ مَوْلَاكَ؟ قَالَ: اللَّهُ. قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا وَقَعْتُ فِي كُرْبَةٍ مِنْ دَيْنِهِ إِلَّا قُلْتُ: يَا مَوْلَى الزُّبَيْرِ اقْضِ عَنْهُ دَيْنَهُ، فَيَقْضِيهِ. فَقَتِلَ الزُّبَيْرُ ﷺ وَلَمْ يَدَعْ دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِلَّا أَرْضَيْنِ مِنْهَا الْغَابَةَ، وَإِحْدَى عَشْرَةَ دَارًا بِالْمَدِينَةِ، وَدَارَيْنِ بِالْبَصْرَةِ، وَدَارًا بِالْكُوفَةِ، وَدَارًا بِمِصْرَ. قَالَ: وَإِنَّمَا كَانَ دَيْنُهُ الَّذِي عَلَيْهِ أَنَّ الرَّجُلَ كَانَ يَأْتِيهِ بِالْمَالِ فَيَسْتَوْدِعُهُ إِيَّاهُ، فَيَقُولُ الزُّبَيْرُ: لَا، وَلَكِنَّهُ سَلَفٌ، فَإِنِّي أَخْشَى عَلَيْهِ الضَّيْعَةَ. وَمَا وَلِيَّ إِمَارَةً قَطُّ وَلَا جَبَايَةَ خَرَاJ وَلَا شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِي غَزْوَةٍ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ أَوْ مَعَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ ﷺ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ فَحَسَبْتُ مَا عَلَيْهِ مِنَ الدَّيْنِ فَوَجَدْتُهُ أَلْفِي أَلْفٍ وَمِائَتِي أَلْفٍ، قَالَ: فَلَقِيَ حَكِيمُ بْنُ حَزَامٍ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ. فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي: كَمْ عَلَى أَخِي مِنَ الدَّيْنِ؟ فَكَتَمَهُ فَقَالَ: مِائَةُ أَلْفٍ. فَقَالَ حَكِيمٌ: وَاللَّهِ مَا أَرَى أَمْوَالَكُمْ تَسْعُ لِهَذِهِ.

فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ: أَرَأَيْتَكَ إِنْ كَانَتْ أَلْفِي أَلْفٍ وَمِائَتِي أَلْفٍ؟ قَالَ: مَا أَرَاكُمْ تُطِيقُونَ هَذَا، فَإِنْ عَجَزْتُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ فَاسْتَعِينُوا بِي. قَالَ: وَكَانَ الزُّبَيْرُ اشْتَرَى الْغَابَةَ بِسَبْعِينَ وَمِائَةِ أَلْفٍ. فَبَاعَهَا عَبْدُ اللَّهِ بِأَلْفٍ وَسِتِّمِائَةِ أَلْفٍ. ثُمَّ قَامَ فَقَالَ: مَنْ كَانَ لَهُ عَلَى الزُّبَيْرِ حَقٌّ فَلْيُؤَاغِرْنَا بِالْغَابَةِ. فَأَتَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ - وَكَانَ لَهُ عَلَى الزُّبَيْرِ أَرْبَعُمِائَةِ أَلْفٍ - فَقَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ: إِنْ شِئْتُمْ تَرَكْتُهَا لَكُمْ. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: لَا. قَالَ: فَإِنْ شِئْتُمْ جَعَلْتُموهاَ فِيمَا تُؤَخَّرُونَ إِنْ أَخَّرْتُمْ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: لَا. قَالَ: قَالَ: فَاقْطَعُوا لِي قِطْعَةً. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: لَكَ مِنْ هَاهُنَا إِلَى هَاهُنَا. قَالَ: فَبَاعَ مِنْهَا فَقَضَى دَيْنَهُ فَأَوْفَاهُ، وَبَقِيَ مِنْهَا أَرْبَعَةُ أَسْهُمٍ وَنِصْفٌ، فَقَدِمَ عَلَى مُعَاوِيَةَ رضي الله عنه وَعِنْدَهُ عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ وَالْمُنْذِرُ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَابْنُ زَمْعَةَ، فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ: كَمْ قَوْمَتِ الْغَابَةُ؟ قَالَ: كُلُّ سَهْمٍ مِائَةُ أَلْفٍ، قَالَ: كَمْ بَقِيَ؟ قَالَ: أَرْبَعَةُ أَسْهُمٍ وَنِصْفٌ. فَقَالَ الْمُنْذِرُ بْنُ الزُّبَيْرِ: قَدْ أَخَذْتُ سَهْمًا بِمِائَةِ أَلْفٍ. وَقَالَ عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ: قَدْ أَخَذْتُ سَهْمًا بِمِائَةِ أَلْفٍ. وَقَالَ ابْنُ زَمْعَةَ: قَدْ أَخَذْتُ سَهْمًا بِمِائَةِ أَلْفٍ. فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: كَمْ بَقِيَ؟ فَقَالَ: سَهْمٌ وَنِصْفٌ. قَالَ: أَخَذْتُهُ بِخَمْسِينَ وَمِائَةِ أَلْفٍ. قَالَ: وَبَاعَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ رضي الله عنه نَصِيبَهُ مِنْ مُعَاوِيَةَ بِسِتِّمِائَةِ أَلْفٍ. فَلَمَّا فَرَعَ ابْنُ الزُّبَيْرِ مِنْ قِضَاءِ دَيْنِهِ قَالَ بَنُو الزُّبَيْرِ: اقْسِمْ بَيْنَنَا مِيرَاثَنَا. قَالَ: لَا وَاللَّهِ لَا أَقْسِمُ بَيْنَكُمْ حَتَّى أَتَادِيَ بِالْمَوْسِمِ أَرْبَعَ سِنِينَ: أَلَا مَنْ كَانَ لَهُ عَلَى الزُّبَيْرِ دَيْنٌ فَلْيَأْتِنَا فَلْنَقْضِهِ. قَالَ: فَجَعَلَ كُلُّ سَنَةٍ يُتَادَى بِالْمَوْسِمِ. فَلَمَّا مَضَى أَرْبَعُ سِنِينَ قَسَمَ بَيْنَهُمْ. قَالَ: وَكَانَ لِلزُّبَيْرِ أَرْبَعُ نِسْوَةٍ، وَرَفَعَ الثُّلُثَ فَأَصَابَ كُلَّ امْرَأَةٍ أَلْفٌ أَلْفٌ وَمِائَتَا أَلْفٍ.^(١)

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب فرض الخمس، باب بركة الغازي في ماله حياً وميتاً

مع النبي ﷺ وولاء الأمر، ج ٤/ ٥٢ - ٥٣.

وقد قال البخاري رحمه الله: ((فَأَدَاءُ الْأَمَانَةِ أَحَقُّ مِنْ تَطَوُّعِ الْوَصِيَّةِ)).^(١)

وقد قال ﷺ: ((لو أن لي بعدد شجر تهامة نَعَمًا لَقَسَمْتُه عَلَيْكُمْ، ثُمَّ لَا تَلْقَوْنِي بِخِيَلًا وَلَا جَبَانًا وَلَا كَذُوبًا، يَا أَيُّهَا النَّاسُ! لَيْسَ لِي مِنْ هَذَا الْفَيْءِ شَيْءٌ وَلَا هَذِهِ الْوَبَرَةُ إِلَّا الْخُمْسُ، وَالْخُمْسُ مُرْدُودٌ فِيكُمْ، فَأَدُّوا الْخِيَاطَ وَالْمَخِيطَ، فَإِنَّ الْغُلُولَ يَكُونُ عَلَى أَهْلِهِ عَارًا وَنَارًا وَشَنَارًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ)).^(٢)

والخيانة والغدر ضد الأمانة. والحديث عنها يطول وقد ذكرت في كتاب الله ﷻ في مواضع عدة، منها الخيانة لله ورسوله ﷺ كما في قوله - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧].^(٣)

وقال - تعالى -: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩].^(٤)

وقال - تعالى -: ﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَقَهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٣].^(٥)

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الوصايا، باب تأويل قول الله - تعالى -: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]، ج ١٨٩/٣. (قال البخاري فَأَدَاءُ الْأَمَانَةِ أَحَقُّ مِنْ تَطَوُّعِ الْوَصِيَّةِ).

(٢) انظر: أبو داود في داود في سننه، كتاب الجهاد، باب في فداء الأسير بالمال، ج ٦٢/٣، ح برقم: ٢٦٩٤؛ رواه النسائي في سننه، كتاب قسم الفبيء، ج ١٣١/٧، ١٣٢؛ ورواه أحمد في مسنده، ج ١٨٤/٢.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٨٣٢/١.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١٦٣٨/٢.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٥٩٥/١.

قال - تعالى -: ﴿وَمَا تَخَافُ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْذِرْ لَهُمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ (٥٨) [الأنفال].^(١)

وقال - تعالى -: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٧١) [الأنفال].^(٢)

وكان من دعائه ﷺ: ((اللهم طهر قلبي من النفاق وعملي من الرياء ولساني من الكذب وعيني من الخيانة فإنك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور)).^(٣)

وعلى لسان امرأة العزيز قال - تعالى -: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ (٥٥) [يوسف].^(٤)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٨٥٠.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٨٥٥.

(٣) أخرجه أبو نعيم في معرفة الصحابة، ج ٢٤/٣٨٥، ح برقم: ٧٣٩٦.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٩٨٦.

الصدق:

الصدق: مصدر صدق يصدق صدقاً. وتدل على قوة في الشيء قولاً وفعلاً، وهو خلاف الكذب وأصل الصدق، الصلابة، ورمح صدق أي صلب، والصدق دليل القوة وثقة بالنفس. لها تأثير في الآخرين، وكلام صدق، أي حقيقي ولا مراء فيه، والصادق هو البالغ في الصدق ومن يقول الصدق.^(١)

وصح عن النبي ﷺ قال: ((إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً)).^(٢)

والصدق من صفات الله - سبحانه - فكل ما جاء عنه فهو حق وصدق. والصدق هو الحق وما ينتج عنه كما في قوله ﷺ: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [يونس].^(٣)

قال - تعالى - وهو أصدق القائلين ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء].^(٤)

(١) انظر: ابن منظور لسان العرب، ج ١٠/١٩٣.

(٢) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ وما يُنهى عن الكذب، ج ٧/٩٥.

ورواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله، ج ٨/٢٩، ح برقم: ٢٦٠٧.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٩٢٢.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٥٣٣.

في قول أصدق القائلين: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ (٨٧) [النساء].^(١)

والله صادق في وعده. لنبيه ﷺ قال - تعالى - : ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (٢٧) [الفتح].^(٢)

وقال - تعالى - : ﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾ (٩) [الأنبياء].^(٣)

وقال - تعالى - : ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٩٥) [آل عمران].^(٤)

الصديقون هم أهل الصدق الذين أنعم الله عليهم، قال - تعالى - : ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ (٦١) [النساء].^(٥) والصديقون جمع صديق، وهو المبالغ في الصدق أو التصديق أو هو الذي يحقق بفعله ما يقوله بلسانه، وقيل: هم فضلاء أتباع الأنبياء الذين يسبقون إلى تصديقهم كأبي بكر الصديق رضي الله عنه. أما الصادقون الذين أمرنا المولى بأن نكون معهم في قوله - سبحانه - : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (١١١)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٥١١.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٧٣٨.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٢٣٣.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٣٨٠.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٥٠٦.

[التوبة] ^(١) فالمراد بهم الذين صدقوا قولاً وعملاً ، وهم الذين خرجوا مع النبي ﷺ في غزوة تبوك وآمنوا به ونصروه ، لا مع المنافقين المتخلفين حيث تستكمل الآيات المعنى في قوله - تعالى - : ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَذِبِينَ ﴾ [التوبة]. ^(٢)

حيث حدث منهم التصديق أكثر من مرة. وأشارت الآيات لما حدث منهم في غزوة الأحزاب. وهذا لايعني التوقف عند هذه المجموعة من الصحابة ﷺ.

وقال - تعالى - : ﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب]. ^(٣)

وقال - تعالى - : ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب]. ^(٤)

والصدق يكون مقروئاً بالعلم وينطلق منه قال - تعالى - : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ^(٥) وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ^(٦) قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ^(٧) [البقرة]. ^(٨)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٩١٦.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٨٨٤.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٤٨٧.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٤٨٧.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ١٠٩ - ١١٢.

كما ورد الحديث عن الصدق والمصدق في قوله - تعالى - : ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (٣٣) [الزمر].^(١) والمراد بمن جاء بالصدق هو رسول الله ﷺ، وقيل: جبريل عليه السلام. أما الذي جاء به فهو محمد ﷺ جاء بالصدق أي جاء بـ(لا إله إلا الله)، وهو ما تشير الآية الكريمة من صدق موعود الله.

لما بلغ الرسول ﷺ مبلغ الرجال كان محل ثقة الناس واحترامهم، فلم يعرف من هو أصدق منه بمكة ولا أكثر أمانة منه، حتى أنه عرف بالصادق الأمين.^(٢)

سمعت خديجة عليها السلام من مولاها ميسرة ما يؤكد لها صدق الرسول ﷺ وأمانته - كما مر - في الأمانة وجربته وخبرته، فقد كان متسامحاً حسن المعاملة، صادقاً في كل شيء محافظاً على حقوق الآخرين، فأعجبت خديجة عليها السلام بأخلاق النبي ﷺ وأمانته وتقديمه الأدب والأخلاق على المال، وتؤكد الأخبار نمو مال خديجة ببركة النبي ﷺ وعمله لها بأمانة.

ولا شك أن الله ﷻ قد هياأ لنبيه الخير، واصطفى له المرأة الصالحة التي رغبت في الزواج منه بمبادرة منها، وبحكمة إلهية.

و بكل أدب بعثت إليه من صويحباتها من تفاتحه في ذلك وتلمح له في الأمر، ففاتحته وبينت له رغبة خديجة في الزواج منه، مع شرفها ومكانتها في النسب، وأن رغبتها منه لحسن خلقه وصدق حديثه.^(٣)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٦٢٠.

(٢) انظر: موضوع أمانته ﷺ من هذا الكتاب.

(٣) انظر: ابن سعد، السيرة النبوية من الطبقات، ج ١/ ١٣٢.

ثم كان من هذه الإرهاصات الرؤيا الصالحة كما ورد في حديث عائشة رضي الله عنها: ((إن أول ما بدأ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح)).^(١)

وأول من أسلم وآمن برسول الله ﷺ وصدقه من الرجال أبو بكر الصديق رضي الله عنه،^(٢) وهو صاحب رسول الله ﷺ منذ وقت مبكر، ربطتهما علاقة خاصة، عرف كل منهما صدق الآخر وجربه وعرف أمانته.^(٣)

وبعد مضي ما يقرب الثلاث سنوات من الدعوة إلى الإسلام وانتشاره بين بطون قريش وشدة تكتّم المسلمين حتى أن بعضهم لا يعرف بعضاً^(٤) نزل عليه ﷺ قوله - تعالى -: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(٥) وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ^(٦) [الشعراء]،^(٧) جاء أمر الله - تعالى - لنبيه ﷺ بإظهار دعوته وإنذار قومه في قوله - تعالى -: ﴿فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٨) [الحجر].^(٩)

فخرج رسول الله ﷺ إلى الحرم وهو منطقة فضاء، وصعد على الصفا حيث ارتفع على الصخرة وأشرف على المكان، وأخذ ينادي الناس

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التعبير، باب التعبير وأول ما بُدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة، ج ٦٧/٨؛ وابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢٣٤/١.

(٢) انظر: ابن أبي شيبه، المغازي، ص ١٣٠.

(٣) انظر: رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب فضائل أبي بكر بعد النبي ﷺ وباب قول النبي ﷺ لو كنت متخذاً خليلاً، ج ١٩١/٤.

(٤) انظر: أكرم العُمري، السيرة النبوية الصحيحة، ج ١٤٠/١.

(٥) انظر: تفسير ابن كثير، ج ١٣٨٥/٢.

(٦) انظر: تفسير ابن كثير، ج ١٠٥٣/١.

(واصبحاه).^(١) وكان هذا الأسلوب متبعاً عند العرب للدعوة للاجتماع والاستماع لمحدث في أمر هام وخطير عند الإحساس بذلك، وأخذ ﷺ ينادي في قريش: ((يا بني فهر، يا بني عبد مناف، يا بني عبد المطلب، يا بني فلان، يا بني فلان، حتى اجتمع القوم فقال: أرايتم إن أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقي؟ فقالوا: ما جربنا عليك كذباً. لقد كانت تلك شهادة عامة من الجميع بصدق الرسول ﷺ، فقال ﷺ: فإني نذير لكم بين يدي عذاب عظيم. فكان في الحضور عمه أبو لهب فرد عليه بعنف وقسوة وتجبر: تباً لك سائر هذا اليوم! ألهذا جمعتنا)).^(٢)

قال - تعالى - وهو أصدق القائلين: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [المائدة: ١١٩] ^(٣).

واتصف الصحابة بالصدق كما قال - تعالى -: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨] ^(٤).

وامتدح الله الصادقين كما قال - تعالى -: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٣] ^(٥).

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ﴾ [الشعراء: ٢١٤ - ٢١٥]، ج ٦/ ١٦ - ١٧.

(٢) انظر: ابن سعد، السيرة النبوية من الطبقات، ج ١/ ٢٠٠؛ وإبراهيم العلي، صحيح السيرة، ص ٥٦.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٦٧٤.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٨٥٠.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٤٢٩.

وقال - تعالى - : ﴿لَيْسَ لَ الصَّدِيقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (٨) [الأحزاب].^(١)

وقال - تعالى - : ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنْفِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (٢٤) [الأحزاب].^(٢)

وربط الله ﷻ الإسلام والإيمان بالصدق، قال - تعالى - : ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ وَالْحَافِظِينَ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٣٥) [الأحزاب].^(٣)

وجاء في أهل الصدق من الأنبياء قوله - تعالى - : ﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ (٥٠) [مريم].^(٤)

وقال - تعالى - : ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ (٥٤) [مريم].^(٥)

واتهم الأنبياء من بعض أقوامهم بعدم الصدق فرد الله على أولئك المكذبين، يقول - تعالى - : ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٧١) [النمل].^(٦)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٤٨٣.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٤٨٧.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٤٩٩.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١١٩٠.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١١٩١.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٤٠٤.

وقال - تعالى - : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أُنزِلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ، وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾﴾ [البقرة: (١)].

وقال - تعالى - : ﴿الَمْ (١) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (٢) نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ (٣) مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ (٤) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَتَايَتُوا لِلَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (٥)﴾ [آل عمران: (٢)].

وقال - تعالى - : ﴿أَيَنْتُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [العنكبوت: (٣)].

وتوعد الله المكذبين بما جاء به الأنبياء من صدق. قال - تعالى - : ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [الزمر: (٤)].

وتحدى الله المكذبين مشيراً لعدم صدقهم، قال - تعالى - : ﴿أَمَنْ يَبْدُوا (٦٤)﴾ [النمل: (٥)].

وقال - تعالى - : ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٤﴾﴾ [الأحزاب: (٦)].

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ١٦٠.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٣٤٩.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٤٣٥.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٦٢٠.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٤٠٣.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٤٨٧.

وقال - تعالى - : ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٤٨) [يسر].^(١)

وقال - تعالى - : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُنُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٤) [الأحقاف].^(٢)

والكذب لا يستمر بل تكشفه القرائن، مع التظاهر المزيف بالصدق، ففي قصة يوسف عليه السلام يقول - تعالى - : ﴿ قَالُوا يَبْنَآءَ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾ (١٧) [يوسف].^(٣)

وجاء الحديث عن الصدق وفي موضع آخر يقول - تعالى - : ﴿ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ (٦٦) [يوسف].^(٤)

وفي قصة سليمان عليه السلام، مع الهدد وملكة سبأ. إشارة للتحقق من الصدق. قال - تعالى - : ﴿ قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ (٢٧) [النمل].^(٥)

وفي التهمة بين الزوجين ورد الصدق كما قال - تعالى - : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَدُوا أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ (٦) وَالْخَمْسَةَ أَنْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٧) وَيَذَرُوهَا عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٥٧١.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٧٠١.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٩٧٨.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٩٨١.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٣٩٤.

أَرْبَعَ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَذِبِينَ ﴿٨﴾ وَالْخَمْسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾ [النور].^(١)

قال - تعالى - : ﴿لَسْتُ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ﴿٨﴾ [الأحزاب].^(٢)

وفي قصة مؤمن آل فرعون قال - تعالى - : ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَنَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ ﴿٢٨﴾ [غافر].^(٣)

قال - تعالى - : ﴿وَالَّذَارِيَّتِ ذُرْوًا﴾ ﴿١﴾ ﴿فَالْحَمِلَتِ وَقْرًا﴾ ﴿٢﴾ ﴿فَالْجَارِيَّتِ يُسْرًا﴾ ﴿٣﴾ ﴿فَالْمَقْسِمَتِ أَمْرًا﴾ ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوْعَدُونَ لَصَادِقٍ ﴿٥﴾ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴿٦﴾ [الذاريات].^(٤)

وصف ﷺ أهل البر من المؤمنين بأنهم الصادقين كما قال - تعالى - : ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ ﴿١٧٧﴾ [البقرة].^(٥)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٣١٣.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٤٨٣.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٦٤٢.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٧٦٢.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٢٣٠.

قال - تعالى -: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّدِيقُونَ ﴾ (١٥) قُلْ أَتَعْلَمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِلَّا سَلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحجرات].^(١)

وقد وعد الله الصادقين بجناته. قال - تعالى -: ﴿ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (١١٩) ﴾ [المائدة].^(٢)

والصدق صفة للنبيين والصالحين من عباده. قال - تعالى -: ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ بُيِّنَ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ اقْنِ يَوْفَكَوْكَ ﴾ (٧٥) ﴾ [المائدة].^(٣)

قال - تعالى -: ﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا ﴾ (٤١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَتَابِعْ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَتَابِعْ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَتَابِعْ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَتَابِعْ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴾ (٤٥) ﴾ [مريم].^(٤)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٧٥٢.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٦٧٤.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٦٣٨.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١١٨٩.

وقال - تعالى - : ﴿ فَلَمَّا أَعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ۖ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ۖ ﴾ (٥٠) [مريم]. (١)

وقال - تعالى - : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ۖ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ۖ ﴾ (٥١) [مريم]. (٢)

وقال - تعالى - : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ۖ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۖ ﴾ (٥٢) [مريم]. (٣)

وقال - تعالى - : ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِي بِهِ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ۖ ﴾ (٥٣) قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ ۖ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ۖ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْفَنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ ۖ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ۖ ﴾ (٥٤) ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ۖ ﴾ (٥٥) [يوسف]. (٤)

والله يكشف الكذب وأهله. قال - تعالى - : ﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَا تَبْعُوكَ وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ السُّعَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ۖ ﴾ (٥٦) [التوبة]. (٥)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١١٩٢.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١١٩١.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١١٩٢.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٩٨٦.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٨٨٤.

وفي الثناء على الصادقين ورد عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك في الدنيا: حفظ أمانة، وصدق حديث، وحسن خليقة، وعفة في طعمة)).^(١)

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((اضمنوا لي ستاً من أنفسكم أضمن لكم الجنة: أصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا اتّمتتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم)).^(٢)

وفي التحذير من الكذب الذي ظاهره الصدق ورد عن أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ: أن رسول الله ﷺ سمع خصومة بباب حجرته، فخرج إليهم فقال: ((إنما أنا بشر، وإنه يأتيني الخصم، فلعل بعضكم أن يكون أبلى من بعض، فأحسب أنه صادق، فأقضي له بذلك. فمن قضيت له بحق مسلم، فإنما هي قطعة من النار، فليأخذها أو ليركها)).^(٣)

وقد خرج النبي ﷺ إلى المصلى فرأى الناس يتبايعون. فقال: ((يا معشر التجار! فاستجابوا لرسول الله ﷺ ورفعوا أعناقهم وأبصارهم إليه فقال: إن التجار يبغثون يوم القيامة فجاراً، إلا من اتقى الله وبر وصدق)).^(٤)

(١) رواه أحمد في مسنده، ج ٢/١٧٧، وصححه اسناده أحمد شاكر، ج ١٠/٦٦٥٢.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، ج ٥/٣٢٣.

(٣) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب المظالم، باب إثم من خاصم في باطل وهو يعلمه، ج ٣/١٠١؛ رواه مسلم في صحيحه، كتاب الأقضية، باب الحكم بالظاهر والحن بالحنة، ج ٥/١٢٩.

(٤) رواه الترمذي في سننه، كتاب البيوع، باب ما جاء في التجار وتسمية النبي ﷺ إياهم، ج ٣/٥١٤، ح برقم: ١٢١٠؛ ورواه أحمد في مسنده، ج ٣/٤٤٤.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ، قال: ((وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً)).^(١)

وعن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((البيعان بالخيار ما لم يتفرقا أو قال: حتى يتفرقا - فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما)).^(٢)

عن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: ((حفظت من رسول الله ﷺ: دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة، والكذب ريبة)).^(٣)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((لا تحلفوا بآبائكم ولا بأمهاتكم ولا بالأنداد، ولا تحلفوا إلا بالله، إلا وأنتم صادقون)).^(٤)

وعن مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قام حين جاء وفد هوازن مسلمين فسألوه أن يرد إليهم أموالهم وسبيهم، فقال لهم ﷺ:

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، باب التوبة وما ينهى عن الكذب، ج ٩٥/٧؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله، ج ٢٩/٨.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب إذا بين البيعان ولم يكتما ونصحا، ج ١٠/٣. واللفظ له؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب البيوع، باب الصدق في البيع والبيان، ج ١٠/٥، ح برقم: ١٥٣٢.

(٣) رواه الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة، ج ٦٦٨/٤، ح برقم: ٢٥١٨، وقال: حديث حسن صحيح؛ ورواه النسائي، ج ٣٢٧/٨، ٣٢٨؛ ورواه أحمد في مسنده، ج ٢٠٠/١.

(٤) رواه أبو داود في سننه، كتاب الإيمان والنذور، باب في كراهية الحلف بالآباء، ج ٢١٩/٣، ح برقم: ٣٢٤٨؛ ورواه النسائي في سننه، كتاب الإيمان والنذور، باب الحلف بالأمهات، ج ٥/٧، ح برقم: ٣٥٢٩.

((أحب الحديث إلي أصدقه، فاختراروا إحدى الطائفتين، إما السبي وإما المال فقد كنت استأنيت بهم)). الحديث.^(١)

كما قال علي بن أبي طالب ؓ وهو من تلاميذ المصطفى ﷺ في الصدق وفي كل شيء: ((من كانت له عند الناس ثلاث وجبت له عليهم ثلاث، من إذا حدثهم صدقهم، وإذا اتّمنوه لم يخنهم، وإذا وعدهم وفى لهم، وجب له عليهم أن تحبه قلوبهم، وتتطق بالثناء عليه ألسنتهم، وتظهر له معونتهم)).^(٢)

والصدق منجاة. ومن خلال صدق ثلاثة من الصحابة لرسول الله ﷺ نجاهم الله تعالى، ففى حديث توبة كعب بن مالك ؓ وصاحبيه قال: (لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها قط. إلا في غزوة تبوك. غير ... أني لم أكن قط أقوى، ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة. والله ما جمعت قبلها راحلتين قط. حتى جمعتهما في تلك الغزوة... وطفقت أغدو لكي أتجهز معهم... فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى استمر بالناس الجدد. فأصبح رسول الله ﷺ غادياً والمسلمون معه. ولم أقض من جهازي شيئاً. ثم غدوت فرجعت ولم أقض شيئاً. فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو..... وعرفت أني لن أنجو منه بشيء أبداً. فأجمعت صدقه..... فجئت أمشي حتى جلست بين يديه. فقال لي: "ما خلفك؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟". قال: قلت يا رسول الله! إني، والله! لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر. ولقد أعطيت جدلاً. ولكني، والله! لقد علمت، لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب فرض الخمس، باب ومن الدليل على أن الخمس لنوائب المسلمين...، ج ٤/٥٣ - ٥٤.

(٢) انظر: صالح بن حميد وآخرين، نضرة النعيم، ج ٦/٢٥١٤.

اللَّهُ أَنْ يَسْخَطَكَ عَلَيَّ. وَلَئِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صَدَقَ عَلَيَّ فِيهِ إِنِّي لَأَرْجُو فِيهِ عَقْبَى اللَّهِ. وَاللَّهُ! مَا كَانَ لِي عَذْر. وَاللَّهُ! مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى وَلَا أَيْسَرُ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتَ عَنْكَ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ. فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيكَ"... فَكَمَلْنَا خَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حِينَ نَهَى عَنْ كَلَامِنَا قَالَ: ثُمَّ صَلَّيْتُ صَلَاةَ الْفَجْرِ صَبَاحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بَيْوتِنَا. فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللَّهُ ﷻ مِنَّا، قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي وَضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ بِمَا رَحِبَتْ، سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ أَوْفَى عَلَى سَلْعٍ يَقُولُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ! أَبْشِرْ. قَالَ: فَخَرَرْتُ سَاجِدًا. وَعَرَفْتُ أَنَّ قَدْ جَاءَ فَجْرٌ. قَالَ فَآذَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ بِتَوْبَةِ اللَّهِ عَلَيْنَا حِينَ صَلَّى صَلَاةَ الْفَجْرِ... حَتَّى دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ. فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَحَوْلَهُ النَّاسُ... قَالَ كَعْبُ فَلَمَّا سَلِمْتَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ، وَهُوَ يَبْرِقُ وَجْهَهُ مِنَ السَّرُورِ وَيَقُولُ: "أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مِنْذُ وَلَدْتِكَ أُمُّكَ". قَالَ: فَقُلْتُ: أَمِنْ عِنْدَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ؟ فَقَالَ: "لَا. بَلْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ". وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا سَرَّ اسْتَتَارَ وَجْهَهُ. كَأَنَّ وَجْهَهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ. قَالَ: وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ... وَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّمَا أَنْجَانِي بِالصَّدَقِ. وَإِنْ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ لَا أَحْدَثَ إِلَّا صَدَقًا مَا بَقِيَتْ. قَالَ: فَوَ اللَّهِ! مَا عَلِمْتُ أَنَّ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَبْلَاهُ اللَّهُ فِي صَدَقِ الْحَدِيثِ، مِنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى يَوْمِي هَذَا، أَحْسَنَ مِمَّا أَبْلَانِي اللَّهُ بِهِ. وَاللَّهُ! مَا تَعَمَّدْتَ كَذِبَةً مِنْذُ قُلْتَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى يَوْمِي هَذَا. وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللَّهُ فِيمَا بَقِيَ. قَالَ: فَانْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١١٧﴾ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ

بِمَا رَجَبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾ [التوبة]. قال كعب: والله ما أنعم الله عليّ من نعمة قط، بعد إذ هداني الله للإسلام، أعظم في نفسي من صدقي رسول الله ﷺ أن لا أكون كذبتة، فأهلك كما هلك الذين كذبوا) ... الحديث (١)(٢)

وقد أشار خصماء الرسول ﷺ إلى صدقه، فعن أبي سفيان صخر بن حرب رضى الله عنه في حديثه قبل إسلامه في قصة هرقل قال هرقل: "فماذا يأمركم؟ يعني النبي ﷺ قال أبو سفيان قلت: يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً، واتركوا ما يقول آبائكم، ويأمرنا بالصلاة، والصدق، والعفاف، والصلة" ... الحديث (٣)

وحين نزل الوحي على رسول الله ﷺ لأول مرة - كما مر سابقاً - دخل على خديجة. فقال: "زملوني، زملوني" فزملوه حتى ذهب عنه الروح ثم قال لخديجة: "أي خديجة! مالي" وأخبرها الخبر. قال: "لقد خشيت على نفسي". قالت له خديجة: (كلا أبشر. فوالله! لا يخزيك الله أبداً. والله! إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق). (٤)

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك، ج ٨ / ١٠٥؛ ورواه ابن أبي شيبة، كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك وقول الله ﷻ: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا﴾، ج ٥ / ١٣٠، ح برقم: ٢٧٦٩.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١ / ٩١٤ - ٩١٥.

(٣) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ج ٤ / ١ - ٧؛ رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام، ج ٥ / ١٦٣.

(٤) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ج ١ / ٣ - ٤؛ رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ج ١ / ٩٧.

وهذه الرواية تؤكد صدقه ﷺ قبل بعثته، وأنها من صفاته الملازمة له طيلة حياته ﷺ.

قال رسول الله ﷺ في حقّ أبي بكر الصديق: ((هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لِي صَاحِبِي، هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لِي صَاحِبِي، إِيَّيْ قُلْتُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِيَّيْ رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا، فَقُلْتُمْ: كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: صَدَقْتُ)).^(١)

عن عبد الله بن عمرو قال: (قلنا يا نبيّ الله من خير الناس؟ قال: ذو القلب المخموم، واللسان الصادق).^(٢)

وصح عن النبي ﷺ قال: ((إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً)).^(٣)

عن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ، قال: ((إذا اقترب الزمان لم تكذب رؤيا المسلم تكذب. وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً. ورؤيا المسلم جزء من خمس وأربعين جزءاً من النبوة. والرؤيا ثلاثة: فرؤيا الصالحة بشرى من الله. ورؤيا تحزين من الشيطان. ورؤيا مما يحدث المرء نفسه. فإن رأى أحدكم ما يكره، فليقم فليصل، ولا يحدث بها الناس)).^(٤)

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب فضل أبي بكر بعد النبي ﷺ، ج٤/١٩٢.

(٢) رواه المنذري، صحيح الترغيب، عن عبد الله بن عمرو، ج٣/٣٦٤، ح برقم: ٤٤٤١.

(٣) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، وما يُنهى عن الكذب، ج٧/٩٥، (الآية ١١٩ من سورة التوبة):

ورواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله، ج٨/٢٩، ح برقم: ٢٦٠٧.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التعبير، باب اليد في المنام، ج٨/٧٦؛ رواه مسلم في صحيحه، كتاب الرؤيا، باب الرؤيا، ج٧/٥٢.

العفة في حياته ﷺ:

العفاف من عَفٍّ عن الحرام يَعِفُّ عِفَّةً وَعَفًّا وَعَفَافَةً أَي: كَفٌّ، فهو عَفٌّ وَعَفِيفٌ، ويقال: المرأة عَفَّةٌ وَعَفِيفَةٌ، وَأَعَفَّهُ اللَّهُ، وَاسْتَعَفَّ عن المسألة أَي: عَفَّ، وَتَعَفَّفَ: تَكَفَّفَ الْعِفَّةَ. ^(١) والعِفَّةُ الْكَفُّ عما لَا يَحِلُّ وَيَجْمُلُ، وَالْإِسْتِعْفَافُ طَلَبُ الْعَفَافِ. ^(٢)

فالعفيف من يُبَاشِرُ الْأُمُورَ عَلَى وَفْقِ الشَّرْعِ وَالْمَرْوَةِ، مَعَ الْبَعْدِ عَنِ الْأَطْمَاعِ وَالْأَخْلَاقِ الدُّنْيَا. ^(٣) كما يَعْنِي ضَبْطُ النَّفْسِ عَنِ الْمَلَذَّاتِ الْحَيَوَانِيَّةِ. ^(٤) وَالْبَعْدُ عَنِ الْمَحَارِمِ، وَقَصْدُ بِهَا الْكَفِّ عَنِ مَحَارِمِ الْمُسْلِمِينَ، مِنَ الدَّمِ وَالْمَالِ وَالْعَرَضِ. وَهَذِهِ الْعِفَّةُ نَوْعَانِ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ، الْأَوَّلُ: ضَبْطُ الْفَرْجِ عَنِ الْحَرَامِ؛ أَيِ عَدَمِ الْإِقْتِرَابِ الْفَعْلِيِّ مِنَ الْحَرَامِ سِوَاءَ بِالزَّنا أَوْ مَا قَارِبَهُ مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ، وَيَدْخُلُ فِيهِ كَفُّ اللِّسَانِ عَنِ الْأَعْرَاضِ؛ وَمِنْهُ الْفَحْشُ وَالتَّفَحُّشُ بِالْكَلَامِ كَالْغِيْبَةِ وَالنَّمِيمَةِ، وَالْخَوْضُ فِيْ أَعْرَاضِ النَّاسِ، ^(٥) وَكُلُّهُ يَدْخُلُ فِي الْبَعْدِ عَنِ الْخِيَانَةِ، كَمَا يَدْخُلُ فِيهِ مَا يَرْتَبِطُ بِأُمُورِ الْمَالِ. وَلَيْسَ هَذَا مَوْضِعُهَا، وَسَيَكُونُ لَهَا مَوْضِعٌ آخَرٌ مِنَ الْمَوْسُوعَةِ.

(١) انظر: الزبيدي، تاج العروس، ج٦/٢٠١.

(٢) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٩/٢٥٣.

(٣) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٩/٢٥٣؛

القسم العلمي بمؤسسة الدار السلفية، موسوعة الأخلاق، إشراف الشيخ علوي السقاف، دار الدرر السنية، ج٢/٤٤٢؛

صالح بن حميد وآخرين، نضرة النعيم، ج٧/٢٨٧٢.

(٤) انظر: صالح بن حميد وآخرين، نضرة النعيم، ج٧/٢٨٧٢.

(٥) للكلام عن أنواع العفة انظر: صالح بن حميد وآخرين، نضرة النعيم، ج٧/٢٨٧٣.

وقد وردت آيات في كتاب الله ﷻ تناولت لفظ العفة أو مشتقاتها منها قوله - تعالى - : ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٧٢] (١).

وقوله - تعالى - : ﴿وَابْتَلُوا الَّذِينَ حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْعِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٢] (٢).

وقوله - تعالى - : ﴿وَلْيَسْعِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَءَاتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي ءَاتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَّتَكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْتُمْ تَحْصُنَا لِنَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْنَهَا فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٣٣] (٣).

وقوله - تعالى - : ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٠] (٤).

ومن العفة ما ورد في الحديث الذي روي عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ : ((سبعة يظلمهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله: وذكر

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٣١٣.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٤٤٢.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٣٣١.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٣٤٥.

منهم... ورجل دعتة امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله...
(الحديث)).^(١)

وكان من دعائه ﷺ: ((اللهم إني أسألك الهدى والتقى، والعفاف
والغنى)).^(٢)

كما روي عنه ﷺ: ((عفوا تعف نساءكم)).^(٣)

وقد قال ﷺ ثلاثة حق على الله عونهم: المجاهد في سبيل الله، والمكاتب
الذي يريد الأداء، والناكح الذي يريد العفاف.^(٤)

وقد وضع البخاري في صحيحه (باب فضل ترك الزنا).^(٥)

والله ﷻ ربى نبيه ﷺ وآل بيته على العفاف والحشمة، فكانوا أسوة
للأمة إلى يوم القيامة. وقد وجهت العديد من الآيات القرآنية لأمهات المؤمنين
في هذا الباب، وخصوصاً في سورة الأحزاب، منها قوله - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا
النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُحِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ
وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۝٢٨ وَلِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ
لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ۝٢٩ يٰنِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ
يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ۝٣٠ وَمَن يَفْعَلْ مِثْلَ ذَلِكَ

(١) رواه البخاري، كتاب الأذان باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة، ج ١٦٠/١ - ١٦١،
وفي كتاب الحدود، باب فضل ترك الزنا، ج ٢٠/٨؛

ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب إخفاء الصدقة، ج ٩٣/٣.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء، باب في الأدعية، ج ٨١/٨.

(٣) رواه الطبراني، في المعجم الأوسط، ج ٢٤١/٦، ح برقم: ٢٦٩٥.

(٤) رواه الترمذي في سننه، كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في المجاهد والناكح،
ج ١٨٤/٤، ح برقم: ١٦٥٥.

(٥) انظر: صحيح البخاري، كتاب الحدود، ج ٢٠/٨.

وَرَسُولُهُ وَتَعْمَلُ صَالِحًا تُؤْتِيهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يٰنِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَحْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ [الأحزاب: (١)]

وفي ذلك أمر بالاستقرار في البيوت وعدم الخضوع في القول، كما وقوله - تعالى -: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ وَالْخَافِضِينَ وَالْخَافِضَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ [الأحزاب: (٢)]

وقوله - تعالى -: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَخُفِيَ فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ [الأحزاب: (٣)]

وقد أحل الله لنبيه ﷺ الزواج كغيره من الأنبياء، قال - تعالى -: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ [الرعد: (١)]

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٤٩١ - ١٤٩٦.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٤٩٩.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٥٠٤.

كما أحل الله له زوجاته ووجهن، وجعلهن عفيفات بعيدات عن الريبة، كما في قوله - تعالى -: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنْ أَحَلَّلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي ءَاتَتْ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَالَتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ٥٠﴾ تَرْجِي مَنْ شَاءَ مِنْهُنَّ وَتُفَوِّضُ إِلَيْكَ مَنْ شَاءَ وَمِنْ أَبْغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقْرَءَ عَيْتَهُنَّ وَلَا يُحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا ءَاتَيْتَهُنَّ كُلَّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ٥١﴾ لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بَيْنَ مَنْ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ٥٢﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرِ نَظِيرٍ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَعْسِفِينَ لِحَدِيثٍ إِنْ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِ مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِ مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ٥٣﴾ إِنْ تَبَدُّوا شَيْئًا أَوْ خُفِّفُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ٥٤﴾ لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَ فِي ءَابَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أُمَّهَاتِهِنَّ وَلَا أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَآتَيْنَ اللَّهُ إِلَهًا كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ٥٥﴾ [الأحزاب].^(١)

وقد أدبه الله - سبحانه - فكان لا يمد عينيه لغير أزواجه ﷺ قال - تعالى -: ﴿وَلَا تَمْدَنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الدُّنْيَا لِنَفِثَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ١٣١﴾ [طه].^(٢)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٥٠٩ - ١٥١٥.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٢٣٠.

وقال - تعالى -: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ
وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٨٨) [الحجر].^(١)

كما أنزل الله لهن أحكاماً في الحجاب، سارت عليها المؤمنات إلى يوم
القيامة، كما في قوله - تعالى -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ (٥٧) وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ
مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا (٥٨) يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلُوبًا لَأُزْجِكَ وَبَنَاتِكَ
وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِيكَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبِيهِنَّ ذَلِكَ أدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِنَنَّ وَكَانَ اللَّهُ
غَفُورًا رَحِيمًا (٥٩) لَئِنْ لَمْ يَنْهَ الْمُؤْمِنُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي
الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا (٦٠) مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثَقِفُوا
أُخِذُوا وَقُتِلُوا فَتَفِيلًا (٦١) سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ
تَبْدِيلًا (٦٢) [الأحزاب].^(٢)

وكان ﷺ حريصاً على أن يقطع الطريق على ظن السوء به وبأهل بيته،
فهذه ((صَفِيَّةُ أُمِ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ))، جَاءَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَزُورُهُ فِي اعْتِكَافِهِ
فِي الْمَسْجِدِ فِي الْعَشْرِ الْوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، فَتَحَدَّثَتْ عِنْدَهُ سَاعَةً، ثُمَّ قَامَتْ
تَتَقَلَّبُ، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ مَعَهَا يَقْلِبُهَا، حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ بَابَ الْمَسْجِدِ مَرَّ رَجُلَانِ
مِنَ الْأَنْصَارِ، فَسَلَّمَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُمَا النَّبِيُّ ﷺ: عَلَى
رِسَالِكُمَا، إِنَّمَا هِيَ صَفِيَّةُ بِنْتُ حَبِيٍّ، فَقَالَا: سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ،
وَكَبُرَ عَلَيْهِمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّ الشَّيْطَانَ يَبْلُغُ مِنَ الْإِنْسَانِ مَبْلَغَ الدَّمِّ،
وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْدِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَيْئًا)).^(٣)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٠٥١.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٥٢٥ - ١٥٢٦.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتكاف، باب هل يخرج المعتكف من معتكفه
لحاجته، ج ٢/ ٢٥٧؛

ورواه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب بيان أنه يُسْتَحَبُّ لِمَنْ رُئِيَ خَالِيًا بِامْرَأَةٍ وَكَانَتْ
زَوْجَتَهُ أَوْ مُحَرَّمًا لَهُ أَنْ يَقُولَ هَذِهِ فَلَانة... الخ، ج ٨/ ٧.

ومن الواضح في صفة رسول الله ﷺ التي عرفتھا عنه قريش قبل فتح مكة أنه ﷺ (يأمر بالعفاف)، كما جاء في إجابة أبي سفيان لهرقل حين سأله عن رسول الله ﷺ.^(١)

وكان بيت رسول الله ﷺ أظھر البيوت. ومن هنا تحرك المنافقون وأوقعوا تهمة الإفك التي حاولوا إلصاقها ببيت النبوة بأمر المؤمنين عائشة الطاهرة ﷺ، زوج المصطفى ﷺ وبنت الصديق ﷺ، كما قال - تعالى - عنهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١١﴾ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ١٢﴾ [النور].^(٢)

وأشارت الآيات إلى أن حب الفاحشة دافع لنشرها والرضا بها بين العباد، ولذلك اتهم بيت النبي ﷺ ليكون إتهام غيره من باب أولى، كما جاء قوله - تعالى -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ١٩﴾ [النور].^(٣)

وكان ﷺ يعلم الصحابة أن العفاف وإتيان حاجة الإنسان للنكاح في الحلال هي من أبواب الأجر، حيث ورد: (أَنَّ نَاسًا مِّنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأَجُورِ، يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ، قَالَ: "أَوَلَيْسَ

(١) انظر: رواية البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، ج ٥/١؛

ورواه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب بيان أنه يُسْتَحَبُّ لِمَنْ رُئِيَ خَالِيًا بِامْرَأَةٍ وَكَانَتْ زَوْجَتُهُ أَوْ مُحَرَّمًا لَهُ أَنْ يَقُولَ هَذِهِ فَلَانة... الخ، ج ٨/٧.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١٣١٦/٢ - ١٣٢٠.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١٣٢١/٢.

قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَصَدَّقُونَ؟ إِنَّ بَكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ، وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ"، قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيَّاتِي أَحَدُنَا شَهْوَتُهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ: "أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وَزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ".^(١)

وكان ﷺ يغار على الأعراض، وقد وضع بعض المحدثين أبواباً في الغيرة.^(٢) وقد روي عنه ﷺ، أنه لما بلغه أن سعد بن عبادَةَ يقول: لورأيت رجلاً مع إمرأتي لضربته بالسيف غير مصفح، فقال ﷺ: ((تعجبون من غيرة سعد، والله لأنا أغير منه، والله أغير مني...)) الحديث.^(٣)

والغيرة المنضبطة هي المطلوبة، دون الشك في غير محله. روى أبو هريرة ﷺ أنه ﷺ قال: ((من الغيرة ما يحب الله، ومنها ما يكره الله، فأما ما يحب الله فالغيرة في الريبة، وأما ما يكره الله فالغيرة في غير ريبة)).^(٤)

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، ج ٨٢/٣.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، ج ٨٢/٣.

(٣) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الحدود، باب من رأى مع امرأة رجلاً فقتله، ج ٣١/٨؛ والدارمي في سننه، باب في الغيرة، ج ١٤٩/٢؛ وابن ماجه في سننه، باب الغيرة، ج ٦٤٣/١؛ وابن أبي شيبة في مصنفه، في الغيرة وما ذكر فيها، ج ٤١٩/٤.

(٤) رواه ابن ماجه في سننه، باب الغيرة، ج ٦٤٣/١؛ وانظر: ابن أبي شيبة في المصنف، ج ٤١٩/٤.

وغيض البصر جزء من العفة والحشمة. وجاء الأمر واضحاً بغض البصر كما في قوله - تعالى -: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور].^(١)

وقد قال ﷺ: ((اضمنوا لي شيئاً من أنفسكم أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا ائتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم)).^(٢)

عن جرير بن عبد الله ﷺ قال: ((سألت رسول الله ﷺ عن نظر الفجاءة، فأمرني أن أصرف بصري)).^(٣)

وأسبابُ غُضِّ البصر كثيرة، أعظمها تقوى الله إضافةً للزواج عند تحقق الباءة، حيث يسد حاجة الإنسان، ويمنع الوقوع في الفاحشة، ويساعد على غُضِّ البصر، فإن لم يتمكن فالصوم، كما جاء عن الرسول ﷺ أنه قال: ((يا معشرَ الشباب، مَنْ استطاعَ منكم الباءةَ فليتزوج؛ فإنه أَعْضُ للبصر، وَأَحْصَنُ للفرج، وَمَنْ لم يستطعْ، فعليه بالصَّوْمُ؛ فإنه له وجاء)).^(٤)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٣٢٧، ١٣٢٨.

(٢) رواه ابن حبان في كتاب البر والإحسان، باب: الصدق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ج ١/٥٠٦، ح برقم: ٢٧١؛ ورواه الحاكم في المستدرک، كتاب الحدود، ج ١٠/٦١، ح برقم: ٨٢٦٥؛

المعجم الكبير للطبراني باب: مَنْ رَوَى، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، ج ٤/٣٥٦، ح برقم: ٧٩٤٤.

(٣) رواه مسلم في كتاب الآداب، باب: نظر الفجاءة، ج ٦/١٨١.

(٤) رواه البخاري في كتاب النكاح، باب قول النبي ﷺ: مَنْ استطاعَ منكم الباءةَ فليتزوج، فإنه أَعْضُ للبصر، وَأَحْصَنُ للفرج، وهل يتزوج مَنْ لا أرب له في النكاح، ج ٦/١١٧.

وقد أمر ﷺ من رأى امرأة أن يأتي أهله، كما في قوله ﷺ: ((إذا أحدكم أعجبته المرأة فوقعت في قلبه فليعمد إلى امرأته فليواقعها فإن ذلك يرد ما في نفسه)).^(١)

وأوجد بعض الحلول لمن لا يستطيع الزواج، كما في قوله - تعالى -: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ فَيِّتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ فَأَنْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَفَّحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النساء].^(٢)

واعتبرت النظرة المحرمة زنا للعين، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: ((الْعَيْنُ تُزْنِي، وَالْقَلْبُ يَزْنِي، فزنا العين النظر، وزنا القلب التمني، والفرج يصدق ما هنالك أو يكذبه)).^(٣)

ولاشك أن الفاحشة ضد العفة والعفاف وقد ورد النهي عنها في كتاب الله في مواضع متعددة، وقوله - تعالى -: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء].^(٤)

(١) رواه البخاري في كتاب النكاح، باب قول النبي ﷺ من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، وهل يتزوج من لا أرب له في النكاح، ج ١١٧/٦.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب النكاح، باب ندب من رأى امرأة فوقعت في نفسه إلى أن يأتي امرأته...، ج ١٢٩/٤.

(٣) أخرجه أحمد بن حنبل، في مسنده، ج ٣٢٩/٢.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١١٦/٢.

وقوله - تعالى -: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَنِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (٩٠) [النحل].^(١)

منها قوله - تعالى -: ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ۚ اتَّقُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٢٨) [الأعراف].^(٢)

وقال - تعالى -: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ ۖ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ ۖ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (١٥١) [الأنعام].^(٣)

ولا شك أن الزنا يسلب الزاني أحسن الصفات، وهي العفة والبر والأمانة، ويعطيه أضدادها كالفاجر والفاسق والزاني والخائن.^(٤)

والزنا من الكبائر قال - تعالى -: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ ۖ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ (٣٢) [الإسراء].^(٥)

كما أن على الزاني عقوبة مغلظة وردت في القرآن والسنة وطبقها رسول الله ﷺ، قال - تعالى -: ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ۖ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢) [الزاني]

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٠٧٣.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٧١٥.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٦٦٧ - ١٦٦٩.

(٤) انظر: صالح بن حميد وآخرين، نضرة النعيم، ج ١٠/٤٥٦٩.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١١١٦.

لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ [النور].^(١)

وقال - تعالى -: ﴿وَالَّتِي يَأْتِيكِ الْفَحِشَةُ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّهِنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ [النساء].^(٢)

وقد وضع المحدثون أبواباً في الحدود، بينوا فيها ما يرتبط بالزنا من عقوبات، حيث وضع البخاري في صحيحه، كتاب الحدود.^(٣) وفيه (باب الزنا والخمر).^(٤) وفيه (باب إثم الزناة).^(٥) و(باب رجم المحسن).^(٦) و(باب للعاهر الحجر).^(٧) و(باب الاعتراف بالزنا)، وأبواباً أخرى كلها تتعلق بالعقوبات المرتبطة بالزنا.^(٨)

كما حرمت أمور تمهد له، كالخضوع بالقول والخلوة بالنساء وغير ذلك من الأمور التي تسبب الوقوع في الزنى.

وأبواب التوبة مفتوحة لمن يقع في الحرام، مما يعين العباد على التقليل من المعاصي، كما في قوله - تعالى -: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٠٣٩ - ١٣١٢.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٤٥١.

(٣) انظر: صحيح البخاري، كتاب الحدود، ج ٨/ ١٣.

(٤) انظر: صحيح البخاري، كتاب الحدود ج ٨/ ١٣.

(٥) انظر: صحيح البخاري، كتاب الحدود ج ٨/ ٢٠.

(٦) انظر: صحيح البخاري، كتاب الحدود ج ٨/ ٢١.

(٧) انظر: صحيح البخاري، كتاب الحدود، ج ٨/ ٢٢.

(٨) انظر: صحيح البخاري، كتاب الحدود، ج ٨/ ١٣ - ٣٤.

أَنْفُسَهُمْ ذَكُّرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفِرُوا الذُّنُوبَ مِنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهَ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ [آل عمران: (١)]

وأرشد ﷺ لما يعين على البعد عن الفاحشة، وينهى عنها، ومن ذلك الصلاة، كما في في قوله - تعالى -: ﴿ أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت: (٢)]

وحذر الله - سبحانه - من الاتهام بالفاحشة إلا ببينة، وقوله - تعالى -: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: (٣)]

وقد وضع البخاري في صحيحه (باب رمي المحصنات).^(٤) وقوله - تعالى -: ﴿ بَيِّنَاتُ النِّسَاءِ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴾ [الطلاق: (٥)]

وللخروج من أي تقاذف للتهم شرع اللعان في حال اتهام الزوج لزوجته دون وجود بينة، في قصة مشهورة، كما رويت بالتفصيل. عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ قَالَ: ((ذَكَرَ التَّلَاعُنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ عَاصِمُ بْنُ عَدِيٍّ فِي ذَلِكَ

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٤٢٠.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٤٣٧.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٤٥٣.

(٤) انظر: صحيح البخاري، كتاب الحدود، ج ٨/٣٤.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٨٨٣.

قَوْلًا، ثُمَّ انْصَرَفَ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ يَشْكُو إِلَيْهِ أَنَّهُ وَجَدَ مَعَ أَهْلِهِ رَجُلًا، فَقَالَ عَاصِمٌ: مَا ابْتُلِيتُ بِهَذَا إِلَّا لِقَوْلِي، فَذَهَبَ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ بِالَّذِي وَجَدَ عَلَيْهِ امْرَأَتَهُ، وَكَانَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مُصَفَّرًا، قَلِيلَ اللَّحْمِ سَبِطَ الشَّعْرِ، وَكَانَ الَّذِي ادَّعَى عَلَيْهِ أَنَّهُ وَجَدَ عِنْدَ أَهْلِهِ خَدْلًا آدَمَ، كَثِيرَ اللَّحْمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اللَّهُمَّ بَيِّنْ، فَوَضَعَتْ شَيْهًا بِالرَّجُلِ الَّذِي ذَكَرَ زَوْجَهَا أَنَّهُ وَجَدَهُ عِنْدَهَا، فَلَا عَن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَيْنَهُمَا، فَقَالَ رَجُلٌ لَابْنِ عَبَّاسٍ فِي الْمَجْلِسِ: أَهِيَ الَّتِي قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَوْ رَجَمْتُ أَحَدًا بِغَيْرِ بَيِّنَةٍ رَجَمْتُ هَذِهِ؟ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَا تِلْكَ امْرَأَةٌ كَانَتْ تُظْهَرُ فِي الْإِسْلَامِ السُّوءِ)).^(١)

ونزلت في الحادثة آيات كريمة، في قوله - تعالى -: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ٦ وَالْخَمْسَةَ أَنْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ٧ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ٨ وَالْخَمْسَةَ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ٩﴾ [النور].^(٢)

ولذلك فالإتهام ليس سهلاً ويتبعه فراق دائم بين الزوجين، وحق الأب في الانتفاء من المولود الذي ينسب لأمه، وما أشدها من عقوبة.

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب، تفسير القرآن، باب سورة النور، ج ٣/٦؛

ومسلم في صحيحه، كتاب اللعان، ج ٤/٢٥٠؛

وانظر: روايات الدارمي، في سننه، ج ٢/١٥٠؛

وقد جمع ابن كثير في تفسيره تفاصيل القصة، ج ٢/١٣١.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٣١٣.

وقد أمر الله المؤمنين بالبعد عن الحرام وحفظ الفرج، قال - تعالى - : ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۖ﴾ [المؤمنون]، ^(١) وقال - تعالى - : ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۖ﴾ [المعارج]. ^(٢)

وقد وضع البخاري في صحيحه، باب فضل من ترك الفواحش. ^(٣) ولعظم التهمة بالزنا وشناعتها، فقد شرع الله حماية الأعراس من الاتهام الباطل بها. وجاء حد القذف واضحاً في كتاب الله سبحانه، قال - تعالى - : ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَا يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۖ﴾ [النور]. ^(٤)

في بداية التشريع جاء الإسلام ليبعد ما كانت العرب تمارسه من نكاح المحارم، وهن محرمات على الرجال لصلة أو قرابة، فعد ذلك من الفواحش كما في قوله - تعالى - : ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ۖ﴾ [النساء]. ^(٥)

وكان الأنبياء يحذرون قومهم من الفاحشة وهي من خطوات الشيطان، ويهدون لطريق التوحيد والعفاف، وقوله - تعالى - : ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّهُمْ مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ۖ﴾ [البقرة]. ^(٦)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٢٩١.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٩١٩.

(٣) انظر: صحيح البخاري، كتاب الحدود، ج ٨/ ٢٠.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٣١٣.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٤٥٦.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٢٢٧.

وقوله - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوبَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ [النور].^(١)

وقوله - تعالى -: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [البقرة].^(٢)

وقوله - تعالى -: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾ [البقرة].^(٣)

ومن أشهر الأقوام بالفاحشة والشذوذ قوم لوط وقد كان يحذرهم، كما قال - تعالى -: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَحْشَاءَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [الأعراف].^(٤)

وفي قوله - تعالى -: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَحْشَاءَ وَأَنْتُمْ نَبِيرُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [النمل].^(٥)

وقوله - تعالى -: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأَتُونَ الْفَحْشَاءَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾﴾ [العنكبوت].^(٦)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٣٢١.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٢٢٧.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٣٣٠.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٧٧٠.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٤٠٠.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٤٣٥.

وقوله - تعالى -: ﴿ اَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت: (٤٥)]^(١).

وقوله - تعالى -: ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَحْشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: (٢٨)]^(٢).

وقد صرف الله الفاحشة عن الأنبياء والصالحين كما في قصة يوسف الواردة في قوله - تعالى -: ﴿ وَرَوَدَتْهُ الْمَتَىٰ هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ ۖ وَغَلَقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ [٢٣] وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ ۚ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ [٢٤] وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ ۖ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [٢٥] قَالَ هِيَ رَوَدَّتْنِي عَنْ نَفْسِي ۖ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قَدْ مِّنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ ۖ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ [٢٦] وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قَدْ مِّنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ ۖ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [٢٧] فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قَدْ مِّنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ ۚ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾ [٢٨] يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا ۖ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴾ [٢٩] [يوسف: (٣)]^(٣).

وكانت عاقبة الصبر والعفاف من يوسف ﷺ ومن غيره. أن يؤتية الله الحلال الذي يؤجر عليه.

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٤٣٧.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٧٥١.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٩٨١.

عدله ﷺ:

عدل الشيء نظيره، وهو الحكم بالحق، والعدل هو الاستواء والاستقامة يقال رجل مستقيم، يقال غصن عدل أي مستو ومستقيم. وعادلت بين الشيئين أي سويت بينهما كما يعادل الشيء في الميزان. وفلان يعدل فلاناً أو يعدل كذا أي يساويه، والعدل ما قام في النفوس المستقيمة أنه حق وهو ضد الجور وخلاف الظلم، وتعديل الشيء وتقويم الشيء بالشيء، كما في قوله - تعالى -: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: (١)].^(١)

وفرس معتدل الغرة: إذا توسطت الغرة جبهته فلم تصب إحدى العينين، ولم تمل على واحد من الخدين.^(٢)

وقيل هو استعمال الأمور في مواضعها وأوقاتها ووجوهها ومقاديرها، من غير سرف ولا تقصير ولا تقديم ولا تأخير.^(٣) والعدل هو الإنصاف الذي يأتي وسطاً بين الظلم والتفضل ويكون في المعاملة، فالجور إنقاص الحق، وما قام في النفوس أنه مستقيم فهو عدل، مِنْ عَدَلٍ يَعْدِلُ فهو عادل من عُدُولٍ وعَدْلٌ، يقال: عَدَلَ عليه في القضية فهو عادلٌ، وبسط الوالى عَدْلَهُ، مِنْ عَدَلٍ يَعْدِلُ فهو عادل،^(٤) والعدل شرعاً: "هو فصل الحكم على ما في كتاب الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ، وبذل الحقوق الواجبة والمساواة بين

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/٦٧٦.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ج ١١/٤٣٢؛

الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج ٤/١٣.

(٣) صالح بن حميد وآخرين، نضرة النعيم، ج ٧/٢٧٩٠.

(٤) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ١١/٤٣٢.

المستحقين في حقوقهم، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، من غير تفرقة وإعطاء كل ذي حق حقه، ولو كان على نفسه، مع القصد في الأمور".^(١)
والعدل: أن يثيب على الحسنة الحسنة، ويعاقب على السيئة بالسيئة.

وبالعدل قوام الدنيا والدين وسبب صلاح واجتماع العباد والبلاد. وقد فرض الله - تعالى - العدل على الفرد والأسرة والمجتمع، لتوزع به الأنصبة والحقوق، وتقدر به الأعمال والأشخاص، وهو الميزان المستقيم. ومن تعمد مخالفة العدل وقصد مجانبته عرض دينه للخبال وعمرانه للخراب وعزته للهوان وكثرته للنقصان. وما من شيء قام على العدل واستقام عليه إلا أمن الانعدام وسلم من الانهيار، وقد قال ابن تيمية: (فإنَّ النَّاسَ لَمْ يَتَنَازَعُوا فِي أَنَّ عَاقِبَةَ الظُّلْمِ وَخِيَمَةٌ وَعَاقِبَةُ الْعَدْلِ كَرِيمَةٌ وَلِهَذَا يُرَوَّى: اللَّهُ يَنْصُرُ الدَّوْلَةَ الْعَادِلَةَ وَإِنْ كَانَتْ كَافِرَةً وَلَا يَنْصُرُ الدَّوْلَةَ الظَّالِمَةَ وَإِنْ كَانَتْ مُؤْمِنَةً).^(٢)

ولذلك فإن عاقبة الظلم وخيمة، وعاقبة العدل كريمة.^(٣)

قال - تعالى -: ﴿ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَفْلُونَ﴾ (١٣) [الأنعام].^(٤) والله ﷻ عادل لا يظلم أحداً قال ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَّضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٤٠) [النساء].^(٥) وقال - تعالى -: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (٤٤)

(١) الجوهرى، الصحاح في اللغة، ج ٥/١٧٦٠.

(٢) ابن تيمية، الفتاوى، ج ٢٨/٦٣؛

وانظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٦/٥٨.

(٣) ابن تيمية، الفتاوى، ج ٢٨/٦٣.

(٤) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/٧٢٣.

(٥) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/٤٨٣.

ليونس].^(١) وقال - تعالى - ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [١١٥] ﴿[الأنعام].^(٢)

والعدل قيمة إنسانية عظيمة جاءت بها جميع الأديان السماوية، وفرضه الله على الناس. ونزلت الشرائع السماوية لإقامة العدل بين الناس، قال - تعالى - ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَ تَهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [١١٣] ﴿[البقرة].^(٣)

وقال - تعالى - ﴿وَلِيَحْكُمُوا أَهْلَ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [٤٧] ﴿[المائدة].^(٤)

وقال - تعالى - ﴿وَكَيْفَ يُحْكِمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّورَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [٤٣] ﴿[المائدة].^(٥)

وقال - تعالى - ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [٦٥] ﴿[النساء].^(٦)

وقال - تعالى - ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [٥١] ﴿[النور].^(٧)

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/ ٩٣٣.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/ ٧١٤.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٢٦٨.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٦٢٤.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٦٢٠.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٥٠٢.

(٧) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٣٤١.

وقال - تعالى - : ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ (٤٨) [النور].

وقال - تعالى - : ﴿وَأِنْ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذَرَهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنْ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ (٤٩) [المائدة].^(١)

والأنبياء السابقين حكموا بالعدل، قال الله - تعالى - : ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ (١٨١) [الأعراف].^(٢)

قال ﷺ عن داود عليه السلام : ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ (٣٦) [ص].^(٣)

وقال - تعالى - : ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ (٣٢) [ص].^(٤)

وقال - تعالى - : ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ (٧٨) [الأنبياء].^(٥)

وقال - تعالى - : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ (٢٣) [آل عمران].^(٦)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٦٢٥.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/٨٠٤.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٦٠٤.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٦٠٣.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٢٤٨.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٣٥٩.

وقال - تعالى - : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِنْ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [المائدة: ٤٨].^(١)

وقال - تعالى - : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءً فَلَا تَخْشَوُا النَّكَاسَ وَأَخْشَوْنَ اللَّهَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [المائدة: ٤٤].^(٢)

وعن ما في التوراة من العدل. قال - تعالى - : ﴿ وَكُنَّا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [المائدة: ٤٥].^(٣)

وقال ﷺ : ﴿ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٩].^(٤)

وجاءت الأوامر واضحة في القرآن الكريم في أكثر من موضع بالعدل وربط بالدين الحق، وقد كان وما زال الخطباء والأئمة يذكرون بالعدل الوارد في قوله ﷺ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ ﴾

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٦٢٥.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٦٢٠.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٦٢٢.

(٤) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/٧٩٢.

وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٠﴾ [النحل: (١)]

وأمر ﷺ بالعدل بين الناس كما في قوله - تعالى - : ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ ۖ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتُ وَلَا تَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾ [الشورى: (٢)]

وقال - تعالى - : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [النساء: (٣)]

وقال - تعالى - : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ءَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [المائدة: (٤)]

وقال - تعالى - : ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [البقرة: (٥)]

وبعض الناس من ذوي العدل وحكمهم منصف وعادل، كما ذكروا في كتاب الله - تعالى - : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَرَةٌ

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/ ١٠٧٣.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/ ١٦٦٥.

(٣) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/ ٤٩٨.

(٤) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/ ٥٩٤.

(٥) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/ ١٢٨.

طَعَامُ مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ [المائدة: (١)]

وقال الله - تعالى - : ﴿قُلْ هَلُمْ شُهَدَاءَ كُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايَتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ ﴿١٥٠﴾ [الأنعام: (٢)]

وتأتى أطول آيات القرآن في قضية الكتابة والتوثيق، والشهادة لضمان العدل والإنصاف، قال - تعالى - : ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمَعُوا أَنْ تَكُنْ بُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكُنْ بُوهُ وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَلَعُوا فَإِنَّهُ فَسُقُؤُكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمُكُمْ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾﴾ [البقرة: (٣)]

ومن معانى العدل في القرآن الكريم، المقايضة والاستبدال ومحاولة النجاة من سوء العمل، كما قال الله - تعالى - : ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/ ٦٥٣.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/ ٧٣١.

(٣) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/ ٣٤٠.

لِعِبَاءٍ وَلَهُمْ وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِ أَنْ تَبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعَدَّلَ كُلٌّ لََّا يُؤْخَذُ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾

[الأنعام: (١)]

والإصلاح من طرق العدل بين الناس فيما يقع بينهم من شجار، قال - تعالى -: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبَغَىٰ حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾ [الحجرات: (٢)]

وقال - تعالى -: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾﴾ [النساء: (٣)]

وقال - تعالى -: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَمْنِ فَاَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَتًى وَثَلَاثَ وَرُبْعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾﴾ [النساء: (٤)]

وتأتى قضايا الشهادة والتوثيق لتثبيت الحقوق وضمان العدل والإنصاف، كما في الوصية. قال الله - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخِرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصْبَحْتُمْ مَصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْسِنُوهَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيَقْسِمَانِ

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/ ٦٩٤.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/ ١٧٤٦.

(٣) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/ ٥٣٩.

(٤) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/ ٤٣٩.

بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْأَثَمِينَ ﴿١٠٦﴾ [المائدة: (١)].

قال الله - تعالى -: ﴿وَلَا تَقْرِبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۖ وَأَوْفُوا بِالْكَفْلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصْنُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ [الأنعام: (٢)].

قال الله - تعالى -: ﴿وَمَنْ قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهُودُوتَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [الأعراف: (٣)].

والظلم عكس العدل وقد كرهه الله ﷻ وحذر منه عباده في مواضع مختلفة من القرآن، وأوله ظلم الخلق لأنفسهم، وهو الشرك بالله، قال الله - تعالى -: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِابْنِهِ ۖ وَهُوَ يَعِظُهُ ۖ يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [القمان: (٤)].

وقال - تعالى -: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۖ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الأنعام: (٥)].

وقال - تعالى -: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۖ أُولَٰئِكَ يَنَاهُمُ نُصِيْبُهُمْ مِّنَ الْكِتَابِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوهُمْ قَالُوا أَإِنَّا مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [الأعراف: (٦)].

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/ ٦٦٥.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/ ٧٣٤.

(٣) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/ ٧٩٢.

(٤) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/ ١٤٦٢.

(٥) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/ ٦٧٨.

(٦) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/ ٧٥٤.

وقال - تعالى - : ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾ (١٧) [يونس].^(١)

وقال - تعالى - : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (١٨) [هود].^(٢)

وقال - تعالى - : ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمَنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (٨٢) [الأنعام].^(٣)

كما يأتي ظلم العباد لأنفسهم ولبعضهم، قال - تعالى - : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١١٤) [البقرة].^(٤)

وقد جمع الله بين آياته وبين العدل مع الزوجات. قال - تعالى - : ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَبَنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٣١) [البقرة].^(٥)

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/ ٩٢٦.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/ ٩٥٢.

(٣) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/ ٧٠١.

(٤) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/ ١٨٦.

(٥) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/ ٢٩٥.

وللمظلوم أن يجهر بما وقع عليه من سوء. قال - تعالى -: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ
الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ (١٤٨) [النساء].^(١)

وقال - تعالى -: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ
وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا
أَيْدِيَهُمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ
الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ (١٣) [الأنعام].^(٢)

وقال - تعالى -: ﴿وَمِنَ الْأَيْلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلَّذِكْرَيْنِ حَرَّمَ أَمْ
الْأُنثَيَيْنِ أَمْ أَشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْكُمُ
اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا
يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (١٤٤) [الأنعام].^(٣)

وقال - تعالى -: ﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ
جَاءَكُمْ بَيْنَهُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهْدًى وَرَحْمَةً فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ
وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾ (١٥٧) [الأنعام].^(٤)

وقال - تعالى -: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ﴾ (١٧) [هود].^(٥)

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/٥٤٦.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/٧٠٥.

(٣) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/٧٢٨.

(٤) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/٧٣٦.

(٥) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/٩٧٢.

وقال - تعالى -: ﴿ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ [١٥] ﴿ [الكهف].^(١)

وقال - تعالى -: ﴿ وَوَضَعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَوَلَيْنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [٤٩] ﴿ [الكهف].^(٢)

وقال - تعالى -: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَكَرَ بَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسَى مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴾ [٥٧] ﴿ [الكهف].^(٣)

وقال - تعالى -: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ [٤٧] ﴿ [الأنبياء].^(٤)

وقال - تعالى -: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَنكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحُكَادِ يُظْلَمِ نُذُقُهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [٣٥] ﴿ [الحج].^(٥)

وقال - تعالى -: ﴿ فَقَدْ كَذَّبُكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمِ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴾ [١١] ﴿ [الفرقان].^(٦)

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/ ١١٤٧.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/ ١١٥٨.

(٣) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/ ١١٦٢.

(٤) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/ ١٢٣٨.

(٥) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/ ١٢٦٨.

(٦) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/ ١٣٥٢.

وقال - تعالى -: ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿١١﴾ [النمل: (١)].

وقال - تعالى -: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ ﴿٦٨﴾ [العنكبوت: (٢)].

وقال - تعالى -: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا ۚ إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ﴾ ﴿٢٢﴾ [السجدة: (٣)].

وقال - تعالى -: ﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٥٤﴾ [يس: (٤)].

وقال - تعالى -: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ ﴿١٧﴾ [غافر: (٥)].

وقال - تعالى -: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ ﴿٣٢﴾ [الزمر: (٦)].

وقال - تعالى -: ﴿وَقَوْمٌ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ﴾ ﴿٥٢﴾ [النجم: (٧)].

وقال - تعالى -: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٧﴾ [الصف: (٨)].

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/ ١٣٩٠.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/ ١٤٤٣.

(٣) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/ ١٤٧٧.

(٤) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/ ١٥٧١.

(٥) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/ ١٦٣٧.

(٦) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/ ١٦٢٠.

(٧) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/ ١٧٨٥.

(٨) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/ ١٨٧٠.

وقال - تعالى -: ﴿بَأَيِّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلَّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾﴾ [الطلاق].^(١)

وقد بوب البخاري وغيره من أصحاب الصحاح والسنن أبواباً متعددة فيما يرتبط بالعدل والظلم ومن ذلك عند البخاري (باب في المظالم والغصب).
وقول الله - تعالى -: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ ... ﴿٤٣﴾﴾^(٢) رافعى المقنع والمقمح واحد وقال مجاهد مهطعين مديمي النظر ويقال مسرعين،^(٣)
قال - تعالى -: ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ... ﴿٤٣﴾﴾^(٤) يعني جوفاً لا عقول لهم.

قال - تعالى -: ﴿وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُحِبِّ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرَّسُولَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّنْ قَبْلُ مَا لَكُم مِّنْ زَوَالٍ ﴿٤٤﴾﴾ [إبراهيم].^(٥)

كما وضع البخاري في صحيحه، باب قول الله - تعالى -: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾﴾^(٦).

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/ ١٨٨٣.

(٢) الآية ٤٢ ومن الآية ٤٣ من سورة إبراهيم؛ انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/ ١٠٣٨.

(٣) انظر: صحيح البخاري، كتاب المظالم، باب المظالم والغصب، ج ٣/ ٩٧.

(٤) من الآية ٤٣ من سورة إبراهيم؛ انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/ ١٠٣٨.

(٥) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/ ١٠٣٨.

(٦) انظر: رواه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ

الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾، ج ٥/ ٢١٣، ٢١٤. وفيه من الآية ١١٨ من سورة

وفي صحيح البخاري، في (باب قصاص المظالم ما يدل على أن المظالم يؤخذ من أهل الجنة القصاص عليها قبل دخولهم الجنة).^(١)

أورد فيه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: ((إذا خلاص المؤمنون من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار، فيتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا نقوا وهذبوا أذن لهم بدخول الجنة)) ... الحديث.^(٢)

كما وضع في صحيحه (باب لا يظلم المسلم المسلم، ولا يسلمه).^(٣)

روى فيه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ((المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته. ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة)).^(٤)

ومطلوب من المسلم منع نفسه والآخرين عن الظلم. وقد وضع البخاري في صحيحه (باب أعن أخاك ظالماً أو مظلوماً)، وفيه عن أنس بن مالك رضي الله عنه يقول قال رسول الله ﷺ: ((انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، قالوا يا رسول الله هذا ننصره مظلوماً فكيف ننصره ظالماً قال تأخذ فوق يديه)).^(٥)

(١) انظر: رواه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم، باب قصاص المظالم، ج ٣/٩٧.

(٢) انظر: رواه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم، باب قصاص المظالم، ج ٣/٩٧.

(٣) انظر: رواه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، ج ٣/٩٨.

(٤) انظر: رواه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، ج ٣/٩٨.

(٥) انظر: رواه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم والغضب، باب أعن أخاك ظالماً أو مظلوماً، ج ٣/٩٨.

وفي باب نصر المظلوم أورد البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: (أمرنا النبي ﷺ بسبع ونهانا عن سبع فذكر عيادة المريض واتباع الجنائز وتشميت العاطس ورد السلام ونصر المظلوم وإجابة الداعي وإبرار المُقسِم).^(١)

كما تدل الروايات على حق المظلوم في الانتصار مع استحباب العفو عمن ظلمه، وعند البخاري في صحيحه، باب الانتصار من الظالم لقوله جل ذكره قال - تعالى -: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ (١٤٨) قال - تعالى ^(٢) -: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْصُرُونَ﴾ (٣٩) [الشورى]. قال ... كانوا يكرهون أن يستذلوا فإذا قدروا عفوا.^(٣)

كما وضع البخاري في صحيحه، باباً آخر بعنوان: باب عفو المظلوم لقوله - تعالى -: ﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تُعَفُّوْا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ (١٤٩) ^(٤).

قال - تعالى -: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (٤٠) وَلَمَنْ أَنْصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ (٤١) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٢) وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (٤٣) وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ (٤٤) [الشورى].^(٥)

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب المظالم والغضب، باب نصر المظلوم، ج ٩٨/٣.

(٢) الآية ١٤٨ من سورة النساء، وانظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٥٤٦/١، ج ١٦٧٢/٢.

(٣) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب المظالم، باب الانتصار من الظالم لقوله جل ذكره ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾، ج ٩٨/٣. وانظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٥٤٦/١، ج ١٦٧٢/٢.

(٤) الآية ١٤٩ سورة النساء، انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٥٤٧/١.

(٥) الآيات: ٤٠ - ٤٤، ج ١٦٧٣/١ من سورة الشورى؛ رواه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم والغضب، باب عفو المظلوم، ج ٩٨/٣، ٩٩؛ وانظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٥٤٧/١.

ومن الأبواب التي تحذر من الظلم، عند البخاري رحمه الله (باب الظلم ظلمات يوم القيامة)، وفيه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((الظلم ظلمات يوم القيامة)).^(١)

ودعوة المظلوم أمر عظيم، حذر منه صلى الله عليه وسلم ووضع البخاري في صحيحه، (باب الاتقاء والحذر من دعوة المظلوم، فإنها ليس بينها وبين الله حجاب).^(٢)

كما حث صلى الله عليه وسلم المسلمين فيما بينهم على التسامح واستسماح بعضهم بعضاً في مظالمهم، ووضع البخاري في صحيحه (باب من كانت له مظلمة عند الرجل فحللها له الخ)، وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه)).^(٣)

والخصومة مكروهة إلا في الحق. وقد وضع البخاري في صحيحه (باب قول الله تعالى وهو ألد الخصام) وروى فيه عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم)).^(٤)

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم والغضب، باب الظلم ظلمات يوم القيامة، ج ٩٩/٣.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم والغضب، باب الاتقاء والحذر من دعوة المظلوم، ج ٩٩/٣.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم والغضب، باب من كانت له مظلمة عند الرجل فحللها له هل يبيِّن مظلمته، ج ٩٩/٣.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم والغضب، باب قوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ [البقرة]، ج ١٠١/٣.

والدفاع عن الظالم والخصومة للدفاع عن الظلم فيها إثم عظيم، وكذلك ظلم من لا يحسن عرض قضيته وقد يكون بعضهم ظالماً لكنه أقدر على استحضار ما يضلل القاضي، وهو يعلم أنه على غير حق، وقد وضع البخاري في صحيحه، باب إثم من خاصم في باطل وهو يعلمه، وفيه عن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ سمع خصومة بباب حجرته فخرج إليهم فقال: ((إنما أنا بشر وإنه يأتيني الخصم فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض فأحسب أنه صدق فأقضي له بذلك، فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هي قطعة من النار فليأخذها أو فليتركها)).^(١)

كما أتبع البخاري هذه الأبواب بباب إذا خاصم فجر، وفيه عن عبد الله ابن عمرو رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((أربع من كن فيه كان منافقاً أو كانت فيه خصلة من أربعة كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها، إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر)).^(٢)

وكذلك وضع البخاري رضي الله عنه في صحيحه (باب قصاص المظلوم إذا وجد مال ظالمه...).^(٣)

وقد حث ﷺ على دفاع الإنسان عن حقوقه، واعتبر من يفعل بمثابة المجاهد، وفي صحيح البخاري رضي الله عنه (باب من قاتل دون ماله)، وفيه عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه قال سمعت النبي ﷺ يقول: ((من قُتِلَ دون ماله فهو شهيد)).^(٤)

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم والغضب، باب إثم من خاصم في باطل وهو يعلمه، ج ١٠١/٣.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم والغضب، باب إذا خاصم فجر، ج ١٠١/٣.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم والغضب، باب قصاص المظلوم إذا وجد مال ظالمه، ج ١٠١/٣.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم، والغضب، باب من قاتل دون ماله، ج ١٠٨/٣.

كما عند البخاري (باب إذا كسر قصعة أو شيئاً لغيره) رواية تدل على أن أخذ الحق ممن أضر بغيره جائز فيما يماثل ضرره، روى فيه عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان عند بعض نساءه فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين مع خادم بقصعة فيها طعام، فضربت بيدها فكسرت القصعة فضمها وجعل فيها الطعام. وقال: كلوا وحبس الرسول والقصعة حتى فرغوا، فدفعت القصعة الصحيحة وحبس المكسورة.^(١)

وتأتي شهادة العدول من أهم القرائن والأدلة الشرعية في الحقوق وإقامة العدل، وتشترط في الشهود العدالة. ومما يرتبط بهذا الباب ما ورد عنها في القرآن الكريم في مواضع عديدة، منها قوله - تعالى -: ﴿فَإِذَا بَلَغَ أَجْلُهُنَّ فَاَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ كُم يُعْظَى بِهِ مَنِ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا

﴿٢﴾ [الطلاق].^(٢)

ومن ذلك عند البخاري (باب إذا عدل رجل أحداً فقال لا نعلم إلا خيراً أو قال ما علمت إلا خيراً).

قال الله - تعالى -: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ

﴿٦٦﴾ [النحل].^(٣)

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم والغصب، باب إذا كسو قطعة أو شيئاً لغيره، ج ١٠٨/٣.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/١٨٨٤.

(٣) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/١٠٧٠.

وشهادة الأهل بالحق بعيداً عن الهوى مطلوبة، قال - تعالى - ﴿ قَالَ هِيَ رَوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ (٢٦) [يوسف].^(١)

وكنتم الشهادة ظلم، قال - تعالى - ﴿ أَمْ نَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَدَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (١٤٠) [البقرة].^(٢)

والرهن مهم لضمان الحقوق وقد فصل في الفقهاء، انطلاقاً من قوله - تعالى - ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنِ مَقْبُوضَةً فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فليؤدِّ الَّذِي أَوْثِنَ أَمْنَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ ءِثْمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ (٨٣) [البقرة].^(٣)

وعند البخاري رحمه الله في صحيحه أبواب كثيرة تحكم القضايا والعدل بين الناس، منها كتاب الشهادات، وفيه (باب الشهداء العدول وقول الله - تعالى - وأشهدوا ذوي عدل منكم وممن ترضون من الشهداء).^(٤)

وشرط الشهود الصدق والبعد عن الإثم، قال - تعالى - ﴿ فَإِنْ عُرِضَ عَلَىٰ أَحَدِهِمَا أَنْ يَشْهَدَ فَإِنْ يَفْعَلْ فَأْخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَٰئِينَ فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهِدْنَا أَحَقُّ مِنْ شَهِدَتِيهِمَا وَمَا أَعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذَا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١٠٧) ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/ ٩٨١.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/ ٢١٥.

(٣) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/ ٣٤٣.

(٤) انظر: رواه البخاري في صحيحه، كتاب الشهادات، باب الشهداء العدول، ج ٣/ ١٤٨ -

يَأْتُوا بِالشَّهَدَةِ عَلَى وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُونَ أَنْ تُردَّ أَيْمَنُ بَعْدَ أَيْمَنِهِمْ ۖ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَأَسْمِعُوا ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٠٨﴾ [المائدة: (١)]

والإتهام لا يكفي دون شهادة، وذلك لضمان العدل، وأحياناً يتطلب الأمر عدداً محدداً من الشهود، قال - تعالى - : ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُنَّ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُنَّ شَهَدَةً أَبَدًا ۖ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾﴾ [النور: (٢)]

والقسم يغني عن الشهادة فيما يخص الدفاع عن النفس، مع عدم وجود الشهود، قال - تعالى - : ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُنَّ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾﴾ [النور: (٣)]

والبعد عن الهوى يقتضيه العدل، وشهادة الحق مطلوبة من المسلم ولو على نفسه، قال ﷺ : ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ ۚ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا ۚ وَإِنْ تَلَوُّوا أَوْ نَعَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾ [النساء: (٤)]

وقال تعالى : ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [المائدة: (٥)]

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/٦٦٥.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/١٣١٣.

(٣) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/١٣١٣.

(٤) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/٥٤٢.

(٥) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/٥٩٤.

وفيما روي عن النبي ﷺ قال: ((خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته قال إبراهيم وكانوا يضربوننا على الشهادة والعهد)).^(١)

وعند البخاري رحمه الله (باب ما قيل في شهادة الزور لقول الله ﷻ والذين لا يشهدون الزور وكتمان الشهادة لقوله: ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه والله بما تعملون عليم،.. تلوا ألسنتكم بالشهادة).^(٢)

عن أنس رضي الله عنه قال سئل النبي ﷺ عن الكبائر قال: ((الإشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس وشهادة الزور)).^(٣)

(باب بلوغ الصبيان وشهادتهم وقول الله تعالى: وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا)، وقال مغيرة احتلمت وأنا ابن ثنتي عشرة سنة وبلوغ النساء في الحيض لقوله ﷻ واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إلى قوله أن يضعن حملهن. وقال الحسن بن صالح: أدركت جارة لنا جدة بنت إحدى وعشرين سنة).^(٤)

وإجراءات القضاء لضمان العدالة بقرائن صحيحة، واضحة في سنة رسول الله ﷺ، فقد ووضعه البخاري رحمه الله في صحيحه (باب ما جاء في البينة على

(١) انظر: رواه البخاري في صحيحه، كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد، ج ٣/١٥١.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين من الكبائر، ج ٧/٧١.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الشهادات، باب بلوغ الصبيان وشهادتهم وقول الله تعالى ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ﴾، ج ٣/١٥٨.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الشهادات، باب سؤال الحاكم المدعي هل لك بينة قبل اليمين، ج ٣/١٥٩.

المدعي^(١) لقوله - تعالى - : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾ [البقرة] الآية وآخر الباب...^(٢).

ومع التأكيد على الشهادة وأهميتها والعدل فيها فإن الوعيد كان شديداً على شهداء الزور، كما يأتي التحقق من عدالة الشهود؛ لضمان مسيرة صحيحة للعدالة. وفي البخاري (باب شهادة القاذف والسارق والزاني وقول الله - تعالى - : ﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٤) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ^(٥)) [النور].^(٣)

كما أورد البخاري رحمه الله (باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد)، وفيه عن النعمان بن بشير رحمه الله قال: ((سألت أُمِّي أَبِي بعض الموهبة لي من ماله ثم بدا له فوهبها لي فقالت لا أرضى حتى تُشهد النبي ﷺ فأخذ بيدي وأنا غلام فأتى بي النبي ﷺ فقال: إن أمه بنت رواحة سألتني بعض الموهبة لهذا قال: ألك ولد سواه؟ قال: نعم. قال فأراه قال لا تشهدني على جور)).^(٤)

(١) البخارى في صحيحه، كتاب الشهادات، باب سؤال الحاكم المدعي هل لك بينة قبل اليمين، ج ١٥٩/٣.

(٢) البخارى في صحيحه، كتاب الشهادات، باب ما جاء في البينة على المدعي، ج ١٤٦/٣؛ انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٣٤٠/١.

(٣) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١٣١٣/٢.

(٤) البخارى في صحيحه، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليه، باب الهبة للولد وإذا أعطى بعض ولده شيئاً لم يجز حتى يعدل بينهم ويعطي الآخرين مثله ولا يشهد عليه، باب الإشهاد في الهبة، ج ١٣٣/٣ - ١٣٤؛

ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الهبات، باب كراهية تفضيل بعض الأولاد في الهبة، ج ٦٦/٥.

ووردت أحاديث كثيرة، عن البينة وكونها على المدعي. منها قوله ﷺ: ((البينةُ على المدَّعي واليمينُ على المدَّعى عليه. وفي لفظ واليمينُ على مَنْ أنكر)).^(١)

وأبواب المحدثين فيما يتعلق بقضايا العدل متعددة. وتكشف أهمية العدل في سنة الرسول ﷺ.^(٢)

ولعل من أهم أسباب العدل القيام على بينات واضحة تدعم المدعي فيما يدعية. وفي كتب الصحاح والسنن روايات تؤكد على ذلك، فعند البخاري ﷺ (باب سؤال الحاكم المدعي هل لك بينة قبل اليمين)، روى فيه عن رسول الله ﷺ: ((من حلف على يمين وهو فيها فاجر ليقطع بها مال امرئ مسلم لقي الله وهو عليه غضبان. قال: فقال الأشعث بن قيس: فيَّ والله كان ذلك كان بيني وبين رجل من اليهود أرض فجددني، فقدمته إلى النبي ﷺ فقال لي رسول الله ﷺ: ألك بينة؟ قال: قلت لا. قال: فقال لليهودي: احلف قال: قلت يا رسول الله إذا يحلف ويذهب بمالي قال: فأنزل الله - تعالى -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا...﴾^(٣) إلى آخر الآية)).^(٤)

وفي صحيح البخاري ﷺ، (باب اليمين على المدعي عليه في الأموال

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الشهادات، باب سؤال الحاكم المدعي هل لك بينة

قبل اليمين، ج ١٥٩/٣؛ وباب اليمين على المدعي عليه في الأموال والحدود، ج ١٥٩/٣؛

ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الأقضية، باب اليمين على المدعي عليه، ج ١٢٥/٥.

(٢) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الشهادات، باب سؤال الحاكم المدعي هل لك بينة

قبل اليمين، ج ١٥٩/٣، كتاب الأحكام؛ ورواه مسلم في كتاب الاقضية، باب اليمين على

المدعي عليه، ج ١٢٨/٥؛ وانظر: ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين...، ج ٨٦/١.

(٣) من الآية ٧٧ من سورة آل عمران؛ انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٣٧٥/١.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الشهادات، باب سؤال الحاكم المدعي هل لك بينة قبل

اليمين، ج ١٥٩/٣.

والحدود) وقال النبي ﷺ : ((شاهدك أو يمينه)) وفيه ، عن ابن عباس ؓ أن النبي ﷺ قضى باليمين على المدعى عليه.^(١)

وتأتي القرعة في حال القسمة أحياناً كنوع من الوسائل للعدل والإنصاف، وعند البخاري في صحيحه باب القرعة في المشكلات وقوله ﷺ : ﴿... إِذْ يَقُولُ أَقْلَمُهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ...﴾ الآية. وقال ابن عباس ؓ : اقترعوا فجرت الأقلام مع الجرية وعال قلم زكرياء الجرية، فكفلها زكريا. وقوله فساهم أقرع فكان من المدحضين من المسهومين. وقال أبو هريرة عرض النبي ﷺ على قوم اليمين فأسرعوا فأمر أن يسهم بينهم أيهم يحلف.^(٢)

عن أم العلاء امرأة من الأنصار بايعت النبي ﷺ ، أخبرته أن عثمان بن مظعون طار له سهمه في السكنى،^(٣) حين أقرعت الأنصار سكنى المهاجرين قالت أم العلاء: فسكن عندنا عثمان بن مظعون ... الحديث.^(٤)

وهذه الرواية تدل على إقامة العدل بين المهاجرين ابتداء بالقسمة عن طريق القرعة ، وبالتالي فإن الصحابة أهل عدل وإنصاف، تعلموه من رسول الله ﷺ.

(١) انظر: رواه البخاري في صحيحه، كتاب الشهادات، باب اليمين على المدعى عليه في الأموال والحدود، ج٣/١٥٩.

(٢) انظر: رواية البخاري في صحيحه، كتاب الشهادات، باب إذا تسارع قوم في اليمين، ج٣/١٦١. وفي الحديث من الآية رقم: ٤٤ من آل عمران؛ وانظر: ابن كثير في تفسيره، ج١/٢٦٥.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الشهادات، باب القرعة في المشكلات وقوله، إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم، ج٣/١٦٤.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الشهادات، باب القرعة في المشكلات وقوله، إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم، ج٣/١٦٤.

كما كان يفعل ذلك بين نسائه ﷺ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه وكان يقسم لكل امرأة منهن يوماً وليلة)).^(١)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوا)).^(٢)

والعدل لا يكون في القضاء فقط، بل يكون في الولاية على الناس، وفي الرعاية لهم، وبالتالي فالعادلون منهم من أحب الناس إلى الله ﷻ وإلى الناس عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إن أحب الناس إلى الله يوم القيامة، وأدناهم منه مجلساً: إمام عادل، وأبغض الناس إلى الله، وأبعدهم منه مجلساً: إمام جائر)).^(٣)

والإمام بحاجة إلى العدل. وقد رغب ﷺ في ذلك ووعد العادل من الأئمة بالجنة تحت عرش الرحمن. روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((ثلاثة لا ترد دعوتهم، الإمام العادل، والصائم حتى يفطر، ودعوة المظلوم يرفعها الله دون الغمام يوم القيامة، وتفتح لها أبواب السماء ويقول: بعزتي، لأنصرنك ولو بعد حين)).^(٤)

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الشهادات، باب القرعة في المشكلات وقوله إذ يقون أقلامهم أيهم يكفل مريم، ج ٣/١٦٤، ١٦٥.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب الاستهم في الأذان ويذكر أن أقواماً اختلفوا في الأذان فأقرع بينهم سعد، ج ١/١٥٢.

(٣) رواه الترمذي في سننه، كتاب الأحكام، باب ما جاء في الإمام العادل، ج ٣/٦١٧، ح برقم: ١٣٢٩.

(٤) رواه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب صلاة الاستسقاء، باب استحباب الصيام للاستسقاء لما يرجى من دعاء الصائم، ج ٧/٧٠، ٧١، ح برقم: ٦٤٦٤.

والعدل في القول أمر شرعي واجب. روي عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: (بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في عسرنا ويسرنا، ومنشطنا ومكارهنا، وعلى أن لا ننازع الأمر أهله، وعلى أن نقول بالعدل أين كنا، لا نخاف في الله لومة لائم).^(١)

وفي رواية عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما كان يوم حنين أثر النبي ﷺ أناساً في القسمة: فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل، وأعطى عيينة مثل ذلك، وأعطى أناساً من أشراف العرب فآثرهم يوماً في القسمة. قال رجل: والله إن هذه القسمة ما عدل فيها، وما أريد بها وجه الله، فقلت: والله لأخبرن النبي ﷺ، فأتيته فأخبرته.

فقال رضي الله عنه: ((فمن يعدل إذا لم يعدل الله رسوله؟ رحم الله موسى. فقد أؤذي بأكثر من هذا فصبر)).^(٢) وقد نظر رضي الله عنه إلى عظم هذه التهمة وهو معلم العدل للناس رضي الله عنه.

كما أن من عدله رضي الله عنه أنه كان يعلم أصحابه كيفية العدل وآلياته التي تحققه بين الناس. ورد عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: ((بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن قاضياً، فقلت: يا رسول الله! ترسلني وأنا حديث السن ولا علم لي بالقضاء؟ فقال: إن الله سيهدي قلبك ويثبت لسانك، فإذا جلس بين يديك الخصمان فلا تقضين حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول، فإنه أحرى أن يتبين لك القضاء. قال: فما زلت قاضياً، أو ما شككت في قضاء بعد)).^(٣)

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية، ج ١٦/٢.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه، ج ٦٠/٤، ٦١.

(٣) رواه أبو داود في سننه، كتاب الأقضية، باب كيف القضاء، ج ٢٩٩/٣، ٣٠٠، ح برقم: ٣٥٨٢؛ ورواه الترمذي في سننه، كتاب الأحكام، باب ما جاء في القاضي لا يقضى بين الخصمين حتى يسمع كلامهما، ج ٦١٨/٣، ح برقم: ١٣٣١؛ وأحمد في مسنده، ج ١٥٦/١.

وقد حذر ﷺ قضاة الظلم من النار، عن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((القضاة ثلاثة واحد في الجنة، واثنان في النار. فأما الذي في الجنة فرجل عرف الحق فقاضى به، ورجل عرف الحق فجار في الحكم، فهو في النار، ورجل قضى للناس على جهل، فهو في النار)).^(١)

وقد حضر ﷺ بنفسه مجلس قضاء كان القاضي فيه أحد الصحابة، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: ((إن أناساً نزلوا على حكم سعد بن معاذ، فأرسل إليه فجاء على حمار، فلما بلغ قريباً من المسجد، قال ﷺ: قوموا إلى خيركم، أو سيدكم. فقال: يا سعد، إن هؤلاء نزلوا على حكمك. قال: فإني أحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم، وتسبى ذراريهم. قال ﷺ: حكمت بحكم الله، أو بحكم الملك)).^(٢)

وقد نجا من العقوبة كل من لم يشارك في الخيانة مع بني قريظة، وإن كان منهم.

كما قال رسول الله ﷺ: ((لا يقدر الله أمة لا يُقضى فيها بالحق، ويأخذ الضعيف حقه من القوي غير متعت)).^(٣)

كما قال ﷺ: ((لا يقضين حَكَمَ بين اثنين وهو غضبان)).^(٤)

(١) رواه الترمذي في سننه، كتاب الأحكام، باب ما جاء عن رسول الله ﷺ في القاضي، ج٣/٦١٣، ح برقم: ١٣٢٢؛ رواه أبو داود في سننه، كتاب الأقضية، باب في القاضي يخطئ، ج٣/٢٩٧، ح برقم: ٣٥٧٣؛ ورواه ابن ماجه في سننه، كتاب الأحكام، باب الحاكم يجتهد فيصيب الحق، ج٢/٧٧٦، ح برقم: ٢٣١٥.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب مناقب سعد بن معاذ رضي الله عنه، ج٤/٢٢٧.

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ج٢/١٣٢٩، ح برقم: ٤٠١٠.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب هل يقضي الحاكم أو يفتي وهو غضبان، ج٨/١٠٨.

وكان ﷺ عادلاً في الحدود ومنصفاً مع الجميع، يعامل الكل بمساواة دون تحيز أو شفاعاة تضيع حقاً أو حداً أو عدلاً، وكان منصفاً ﷺ حتى مع أقرب الناس إليه، عن عائشة ؓ: ((أن قريشاً أهتمتهم المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ ومن يجترأ عليه إلا أسامة حب رسول الله ﷺ؟ فكلم رسول الله ﷺ فقال: أتشفع في حد من حدود الله؟ ثم قام فخطب فقال: يا أيها الناس، إنما ضل من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد، أالله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها)).^(١)

وقد قال ﷺ: ((لا تحاسدوا ولا تتاجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبيع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخواناً. المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى هاهنا (ويشير إلى صدره ثلاث مرات) بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم. كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه)).^(٢)

عن ابن عباس ؓ قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿... فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَكَنْ يَضْرُوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ...﴾ [المائدة: ٤٢] قال: كان بنو النضير إذا قتلوا من بني قريظة أدوا نصف الدية، وإذا قتل بنو قريظة من بني النضير أدوا إليهم الدية كاملة، فسوى رسول الله ﷺ بينهم.^(٣)

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره، والنهي عن الشفاعاة في الحدود، ج ٥/١١٤.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، ج ٨/١٠، ١١.

(٣) رواه أبو داود في سننه، كتاب الأقضية، باب الحكم بين أهل الذمة، ج ٣/٣٠١، ٣٠٢، ح برقم: ٣٥٩١، وفيه من الآية ٤٢ من المائدة؛ انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٦١٨.

وكان ﷺ يساوي بين الخصوم، عن عبد الله بن الزبير ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((أَنَّ الْخَصْمَيْنِ يَقْعُدَانِ بَيْنَ يَدَيِ الْحَكَمِ)).^(١)

ولعل ما جاء به ﷺ من المساواة بين الناس هو تأكيد لمبدأ شرعي هام انطلاقاً من قوله ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات].^(٢)

وكان ﷺ يؤكد على ذلك. ورد في خُطْبَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي وَسْطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ فِي حِجَةِ الْوَدَاعِ قوله ﷺ: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ وَلَا لَأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى، أَبْلَغْتُ؟ قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ)).^(٣)

ولاشك أن ما أعلنه ﷺ في حجة الوداع يُعد تشريعاً للأمة وللإنسانية جمعاء إلى يوم القيامة في قوله وحين توسعت الدولة الإسلامية بعد وفاة الرسول ﷺ، وتولاها من بعده خلفاؤه الراشدون من تلاميذه أبي بكر وعمر، كانوا أهل عدل وحقوقه في أنفسهم كأئمة، مساوين وعادلين بين الناس، ونظموا القضاء بأنفسهم مما تعلموه من النبي ﷺ، بل ووضعوا دروساً للأمة والإنسانية جمعاء في آليات تحقيق العدالة، ولعل من يطلع على كتاب عمر ﷺ إلى أبي موسى الأشعري ﷺ وهو واليه على البصرة في حينه، عن القضاء يدرك القيمة العليا لما تعلمه عمر من رسول الله ﷺ في القضاء وسطره في تلك الأحرف ومما جاء في هذا الكتاب: (أَنَّ الْقَضَاءَ

(١) رواه أبو داود في سننه، كِتَابُ الْأَقْضِيَةِ بَابُ كَيْفَ يَجْلِسُ الْخَصْمَانِ بَيْنَ يَدَيِ الْقَاضِي، ج٣/٣٠١، ح برقم: ٣١٦٩.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٧٥١.

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده، ج٥/٤١١.

فريضة محكمة، وسنة متبعة، فافهم إذا أدلي إليك فإنه لا ينفع تكلم حق لا نفاذ له، وآس بين الناس في وجهك ومجلسك وقضائك حتى لا يطمع شريف في حيفك، ولا ييأس ضعيف من عدلك، البينة على من ادعى، واليمين على من أنكر. والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحاً أحل حراماً أو حرم حلالاً، ومن ادعى حقاً غائباً، أو بينة فاضرب له أمداً ينتهي إليه؛ فإن جاء ببينة أعطيته بحقه فإن أعجزه ذلك استحلكت عليه القضية؛ فإن ذلك أبلغ في العذر، وأجلى للعمى، ولا يمنعك من قضاء قضيته اليوم فراجعت فيه لرأيك، وهديت فيه لرشدك، أن تراجع الحق؛ لأن الحق قديم لا يبطل الحق شيء. ومراجعة الحق خير من التماسي في الباطل، والمسلمون عدول بعضهم على بعض في الشهادة إلا مجلود في حد، أو مجرب عليه شهادة الزور، أو ظنين في ولاء أو قرابة، فإن الله ﷻ تولى من العباد السرائر وستر عليهم الحدود إلا بالبينات والأيمان. ثم الفهم الفهم فيما أدلي إليك مما ليس في قرآن ولا سنة. ثم قاييس الأمور عند ذلك واعرف الأمثال والأشباه، ثم اعمد إلى أحبها إلى الله فيما ترى وأشبهها بالحق. وإياك والغضب والقلق والضجر والتأذي بالناس عند الخصومة والتتكر؛ فإن القضاء في مواطن الحق يوجب الله له الأجر، ويحسن به الذخر، فمن خلصت نيته في الحق ولو كان على نفسه، كفاه الله ما بينه وبين الناس، ومن تزين لهم بما ليس في قلبه شأنه الله، فإن الله - تبارك وتعالى - لا يقبل من العباد إلا ما كان له خالصاً، وما ظنك بثواب من عند الله في عاجل رزقه وخزائن رحمته.^(١)

ولا شك أن عمر رضي الله عنه أخذ هذه القواعد في القضاء مما تعلمه من سنة رسول الله ﷺ فيه.

(١) لأصل الخطاب وتخريجه. انظر: محمد حميد الله، الوثائق السياسية للعصر النبوي والخلافة الراشدة، ص ٤٢٥، برقم: ٣٢٧؛ ورواه الدارقطني، سننه، ج ٤/٢٠٦: الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ٧١.

وقد شرح ابن القيم رحمه الله كتاب عمر رضي الله عنه فيما يزيد على (٣٠٠) صفحة في كتابه: (إعلام الموقعين عن رب العالمين).^(١)

وكان ابن الخطاب وبقية الصحابة حريصين على العدل والإنصاف مع أهل البلاد المفتوحة، فحين فرض الخراج على الأراضي حرصاً أن يكون معتدلاً وأقل مما كانوا يدفعونه للروم والفرس قبل الفتوح، عن عمرو بن ميمون قال: رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه قبل أن يصاب بأيام بالمدينة. ووقف على حذيفة بن اليمان وعثمان بن حنيف رضي الله عنهما قال: كيف فعلتما؟ أتخافان أن تكونا قد حملتما الأرض ما لا تطيق؟ قال: حملناها أمراً هي له مطيقة.^(٢) ما فيها كبير فضل قال: انظرا أن تكونا حملتما الأرض ما لا تطيق. قالوا: لا. فقال عمر: لئن سلمني الله لأدعن أرامل أهل العراق لا يحتجن إلى رجل بعدي أبداً.^(٣)

وقد فهم المشاركون في الفتوح قيمة العدل حيث قال ربعي بن عامر رضي الله عنه لرستم قائد الفرس لما سأله قبيل معركة القادسية، ما جاء بكم؟ قال له: إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.^(٤)

(١) انظر: ابن القيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، ص ٨٥ - ٤٠١؛

وانظر: كتابي: (الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين)، ص ١٦٠.

(٢) أبو يوسف، كتاب الخراج، ص ٣٢؛

ابن الجوزي، مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ص ٧٠؛

خليفة بن خياط، الطبقات، ص ١٣٥.

(٣) من رواية البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب قصة البيعة، والاتفاق على عثمان بن عفان وفيه مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ج ٤/٢٠٤ - ٢٠٧.

(٤) انظر: الطبري، تاريخه، ج ٤/١٠٤؛ وانظر: كتابي: (الفتوح الإسلامية عبر العصور)، ص ١٣١.

وقال ابن تيمية رحمه الله السياسة: أخبر الله في كتابه أنه أنزل الكتاب والحديد ليقوم الناس بالقسط، فقال - تعالى - ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ ﴿٢٥﴾ [الحديد].^(١)

كما يؤكد رحمه الله تقديم الأعلم والأورع في ولاية القضاء مستشهداً ببعض ما روي عن النبي ﷺ في هذا الجانب.^(٢)

كما أكد - سبحانه - على الصدق والعدل في قوله - تعالى - ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿١١٥﴾ [الأنعام].^(٣)

وكان ﷺ يقضي في المسجد وكأنه المحكمة. وقد وضع البخاري في صحيحه (باب من قضى ولاعن في المسجد).^(٤)

وافق أبو حنيفة في أن القضاء عبادة، فيصح في المسجد. فإن كان المدعى عليه ممن لا يجوز له الدخول في المسجد، كالحائض، يخرج إليه، أو يرسل نائبه، وقال الشافعية: إنه ليس بعبادة، فلا يقضى في المسجد.^(٥)

(١) انظر: ابن تيمية السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، ص ٢٦.

(٢) انظر: ابن تيمية، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، ص ٢٠.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٧١٤.

(٤) انظر: صحيح البخاري، باب من قضى ولاعن في المسجد، ج ٨/ ١١٢؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب اللعان، ج ٤/ ٢٠٦.

(٥) انظر: رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب من قضى ولاعن في المسجد، ج ٨/ ١١٢.

ومن إنصافه وعدله ﷺ القَوْدُ من نفسه. ففي معركة بدر أشرف الرسول ﷺ بنفسه على تنظيم صفوف المسلمين وتوجيههم، وكان مما قال لهم ﷺ: ((إذا كتبوكم - يعني أكثروكم - فارموهم واستبقوا نبلكم))،^(١) وكان ﷺ يعجبه الرمي ويحث عليه. وبينما رسول الله ﷺ يسوي الصفوف إذ ب (سواد بن غزوة) رضي الله عنه^(٢) قد ند من الصف فيسوسه الرسول ﷺ بسهم كان في يده ويقول له استو يا سواد، فيقول أوجعتني يا رسول الله فدعني أقتد منك، فيكشف له ﷺ عن بطنه الشريف ليققاد لنفسه، فيقبل بطن رسول الله ﷺ .. فيقول له الرسول ﷺ: ((ما حملك على هذا يا سواد؟)) فيقول: يا رسول الله قد حضر ما ترى فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك فدعا له ﷺ.^(٣)

كما علم ﷺ أصحابه كيف يقضون بين الناس، وخصوصاً بعض من بعثهم خارج المدينة، من أمثال علي بن أبي طالب ومعاذ بن جبل. روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وهو ممن تعلم على يد رسول الله ﷺ قال: من عرض له قضاء فليقض بما في كتاب الله، فإن جاءه أمر ليس في كتاب الله ﷻ فليقض بما قضى به النبي ﷺ. فإن جاءه أمر ليس في كتاب الله ﷻ ولم يقض به نبيه ﷺ فليقض بما قاله الصالحون، فإن جاءه أمر ليس في كتاب الله ولم يقض به نبيه ﷺ ولم يقض به الصالحون. فليجتهد رأيه، فإن لم يحسن فليقر، ولا يستحي.^(٤)

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة بدر، ج ١٠/١ - ١١.

(٢) ابن حجر، الإصابة، ج ٩٥/٢؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٣٧٤/٢.

(٣) الواقدي، المغازي، ج ٥٦/١ - ٥٧؛ ابن حجر، الإصابة، ج ٩٥/٢.

(٤) رواه النسائي في سننه، كتاب أدب القضاة، الحكم باتفاق أهل العلم، ج ٢٣٠/٨ - ٢٣١.

وقد سار خلفاؤه الراشدون من بعده على ما تعلموه منه حتى صاروا أئمة في العدل والقضاء، وعرف عنهم ذلك، وألفت المؤلفات فيما نظموا وقعدوه في العدل، مما تعلموه من رسول الله ﷺ.^(١)

* * * * *

(١) انظر: ناصر بن عقيل بن جاسر، القضاء في عهد عمر بن الخطاب، ط١- دار المدني ١٤٠٦هـ.

العهد والوفاء:

العهد أو الوعد يعني إلزام الشخص نفسه بالفعل. وقد يكون الوعد على شكل عقد، والوفاء بالعهد هو تنفيذ تلك الوعود والعهود، وعدم النكوث واحترامه، والالتزام به؛ والوفاء بالعهد إحدى مكارم الأخلاق التي أمر بها الله تعالى، ورسوله ﷺ؛ وقد ذم ﷺ ناقض العهد قال - تعالى -: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٥٥﴾ الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ٥٦﴾ [الأنفال].

والوفاء ضد الغدر، يقال: وفى بعهده وأوفى بمعنى، ووفى بعهده يفي وفاءً، وأوفى: إذا تمم العهد ولم ينقض حفظه.^(١)

كما يعني الصبر والثبات على ما يبذله الإنسان من نفسه، ويبرهن به لسانه، ويتعهد به، والخروج مما يضمنه.

وهو خصلة اجتماعية خلقية تتمثل في التفاني من أجل قضية ما بصدق خالص. والوفاء أصل الصدق. وكل وفاء صدق.

والوفاء صفة إنسانية جميلة، تدل على الفضيلة والمروءة وتتضمن الصدق في القول والفعل معاً. والغدر عكسه والوفاء من القيم المثلى للإنسان، وهو الحفاظ والصون للعهود والوعود، مع الحرص على أداء الأمانات والحقوق لأصحابها، والاعتراف بما قدّموه من الأفعال الحسنة، وحسن العهد لهم، ويكون مع الوالدين وبين الزوجين، والأصدقاء، والأقارب أحياءً وأمواتاً. فالوفاً يحفظ الجميل ولا ينساه ولو بعد عشرات السنين. ولعل عقود الزواج وما يرتبط بها من شروط من أهم الالتزامات التي ينبغي الوفاء بها. فقد ورد

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج ١٥/ ٣٩٨؛ صالح بن حميد وآخرون، نضرة النعيم، ج ٨/ ٣٦٣٨.

عن رسول الله ﷺ قال: ((أحق ما أوفيتم من الشُّروط أن توفوا به ما استحلتتم به الفروج)).^(١)

والوفى صاحب خُلُق رفيع، ووفاء غير منقطع، ومنه الوفاء لله وعهده والوفاء لرسوله ﷺ، ومنه وفاء الدين، فيقال مات وترك وفاءً أي ما يكفي وفاء دينه.^(٢)

ومنه الحرص على صيانة المودّة والمحبة، قال الله - تعالى - واصفاً المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ﴾ [المؤمنون].^(٣)

والوفاء خلق من أخلاق الإسلام الراقية، وصفة من صفات النفوس الأبية. والوفاء إذا انتشر بين الناس ملاً حياتهم صفاء ونقاء، وظلّهم بروح المودة والإخاء والمحبة والألفة. كما أن عاقبة الوفاء حسنة لأهلها بكل أنواعه.

والقليل من الناس يتحلّى بالوفاء والقيام على العهد، قال - تعالى -: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾ [الأعراف].^(٤)

والوفاء من الله ﷻ بما وعد، جاء في القرآن الكريم من قوله - تعالى -: ﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم].

وفي قوله - تعالى -: ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾ [التوبة].^(٥)

وقال - تعالى -: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَرِّلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْلُونَ وَيُقْلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب الشروط في النكاح، ج ٦/١٣٨.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٢٩١.

(٣) انظر: صالح بن حيد وآخرين، ج ٨/٣٦٣٩.

وصالح بن حميد وآخرين، نضرة النعيم، ج ٨/٣٦٤١.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٧٧٤.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٤٤٤، ج ١/٩١٠.

التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَالْقُرْآنَ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ [التوبة].^(١)

كما أن الوفاء من صفات الرسل ﷺ، حيث قال الله - تعالى - عن إبراهيم عليه السلام: ﴿أَمْ لَمْ يُبَيِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ ﴿٣٧﴾ [النجم].^(٢) وقد أخذ الله العهود على بني آدم أن لا يشركوا به شيئاً.

قال - تعالى -: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ ﴿٦٠﴾ وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ [يس].^(٣)

وقد روي عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: ((يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا: لَوْ كَانَتْ لَكَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا أَكُنْتَ مُفْتَدِيًا بِهَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ. فَيَقُولُ: قَدْ أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ أَنْ لَا تُشْرِكَ - أَحْسَبُهُ قَالَ - وَلَا أُدْخِلُكَ النَّارَ فَأَبَيَّتَ إِلَّا الشُّرْكَ)).^(٤)

وبالتالي فإن التوحيد عهد بين الله وعباده قبل خلقهم.

قال - تعالى -: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ ﴿٧﴾ لَيْسَ لِلصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾ [الأحزاب].^(٥)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٩١٠.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٧٨٤.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٥٧٣.

(٤) رواه مسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب طلب الكافر الفداء بملء الأرض ذهباً، ج ٨/ ١٣٤، ١٣٥.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٤٨٣.

وقال - تعالى -: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَقَهُ الَّذِي وَاتَّكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ﴿٧﴾ [المائدة: (١)]

وقال - تعالى -: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لِّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٩٥﴾ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٩٦﴾ [النحل: (٣)]

والعبد سيسأل عن وفائه يوم القيامة، فقد قال ﷺ: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ ﴿٣٤﴾ [الإسراء]، فماذا يكون جواب العبد إذا سئل عن وعوده وعهوده وعقوده التي أمره الله - تعالى - بالوفاء بها وأدائها. فقال - سبحانه -: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾ ﴿٩١﴾ [النحل: (٣)].

والوفاء بالعهد من سمات المؤمنين قال - تعالى -: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ ﴿١٧٧﴾ [البقرة: (٤)]

وقال - تعالى -: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَنْذَرُ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٥٩٤.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٠٧٥.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٠٧٤، ج ٢/ ١١١٧.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٢٣١.

وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٣﴾ جَنَّتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمُ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾ [الرعد: (١)]

والوفاء بالعقود واجب لا خيار فيه، قال ﷺ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: (١)]

وقال - تعالى -: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ ﴿١﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُحِلُّوْا شَعْيِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا ءَامِنَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَنْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ﴿٢﴾ [المائدة: (٣)]

والغدر والخيانة ليست من صفات المؤمنين، ففي الصحيحين عن أبى هريرة عن النبي ﷺ قال: ((آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ)).^(١)

وللوفاء فوائد متعددة على الإنسان والإنسانية، فهو من التقوى ويجلب محبة الله، قال - تعالى -: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٧٦﴾ [آل عمران: (٥)]

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ١٠١٠، ١٠١١.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٥٦٩.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٥٦٩.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، ج ١/ ١٤؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، ج ١/ ٥٦.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٣٧٤.

وقال - تعالى -: ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ (١١) [النحل].^(١)

ومن فوائده مضاعفة الأجر والثواب قال - تعالى -: ﴿ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِهُ اللَّهُ فَمَا لُصُقُوهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (١٠) [الفتح].^(٢)

ومن فوائده الفوز بالنعيم المقيم في الجنة: قال - تعالى -: ﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَذْكُرُ أُولَئِذَا الْأَلْبَابِ ﴾ (١١) الَّذِينَ يُوْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْعَيْثَ (٢٠) وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (٢١) وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (٢٢) جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (٢٤) وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (٢٥) ﴾ [الرعد].^(٣)

ووفاء الزوج لزوجته يكون بأداء حقوقها والإحسان إليها وإكرامها والاعتراف بفضلها ومكانتها. وقدوتهم في ذلك رسول الله ﷺ. عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: ((مَا غُرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ مَا غُرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ، وَمَا رَأَيْتُهَا، وَلَكِنْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُكْثِرُ ذِكْرَهَا، وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ ثُمَّ يُقْطَعُهَا أَغْضَاءً، ثُمَّ يَبْعُثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ (أي صديقاتها)، فَرُبَّمَا قُلْتُ

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٠٧٤.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٧٢٦.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ١٠١٠، ١٠١١.

لَهُ: كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةً إِلَّا خَدِيجَةٌ، فَيَقُولُ: إِنَّهَا كَانَتْ، وَكَانَتْ، وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ^(١).

وفي رواية أخرى عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: ((مَا غُرْتُ عَلَى نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا عَلَى خَدِيجَةَ وَإِنِّي لَمْ أُدْرِكْهَا. قَالَتْ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا ذَبَحَ الشَّاةَ فَيَقُولُ: أَرْسِلُوا بِهَا إِلَى أَصْدِقَاءِ خَدِيجَةَ. قَالَتْ فَأَغْضَبْتُهُ يَوْمًا فَقُلْتُ خَدِيجَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنِّي قَدْ رَزَقْتُ حُبَّهَا^(٢))).

وهذه الروايات وغيرها تلك على وفاء عهد منه ﷺ لأم المؤمنين خديجة ﷺ رغم أنها توفت.

والعهد بين الله وبين المؤمنين به من الأمم السابقة أشار إليها القرآن الكريم، كما قال - تعالى -: ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَأَرْهَبُونِ ۚ﴾ (٤٠) ﴿وَأَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ۚ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَاقِبَتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَأَتَّقُونَ﴾ (٤١) [البقرة].^(٣)

والوفاء بالكيل والميزان مما أشار له القرآن الكريم كما قال - تعالى -: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۚ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ بِالْقِسْطِ ۚ لَا تَكْلَفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ ۚ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (١٥٢) [الأنعام].^(٤)

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها ﷺ، ج ٤/٢٣١.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب فضائل خديجة أم المؤمنين ﷺ، ج ٧/١٣٤.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/١٢١.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٧٣٤.

والوفاء مع الإيتام، والأمانة في حفظ حقوقهم والعهد في ذلك جاء في قوله - تعالى -: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ. وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنََّّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [٣٤] [الإسراء: (١)].

وقد أثنى الله على أهل الوفاء من أهل الكتاب، وذم من خالف منهم كما في قوله - تعالى -: ﴿وَمِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنُهُ بِقِنطَارٍ يُودَّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنُهُ بِدِينَارٍ لَا يُودَّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّتَيْنِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [٧٥] بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ [٧٦] إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [٧٧] [آل عمران: (٢)].

وقد رد الله على أهل الكتاب الذين يرون أنهم لن تمسهم النار مع معصيتهم، قال - تعالى -: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَتِيَا مَعْدُودَةً قُلْ أَخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [٨٠] بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [٨١] [البقرة: (٣)].

وكذلك فإن الوفاء بالوعد من أسباب دخول الجنة مع أخلاق أخرى، أشار لها النبي ﷺ كما ورد عن عبادة بن الصَّامِتِ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((أضمنوا لي ستًّا من أنفسكم أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١١١٧.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٣٧٤، ٣٧٥.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ١٥٣ - ١٥٤.

حَدَّثْتُمْ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ، وَأَدُّوا إِذَا اتَّعَمْتُمْ، وَاحْفَظُوا فِرْوَجَكُمْ، وَغَضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَكَفُّوا أَيْدِيَكُمْ)).^(١)

وَكَانَ ﷺ يَعْلَمُ أَصْحَابَهُ الْوَفَاءَ وَيَعِينُهُمْ عَلَيْهِ، فَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ: أَنَّ أَبَاهُ تَوَفَّى وَتَرَكَ عَلَيْهِ ثَلَاثِينَ وَسْقًا لِرَجُلٍ مِنَ الْيَهُودِ، فَاسْتَنْظَرَهُ جَابِرٌ، فَأَبَى أَنْ يَنْظُرَهُ، فَكَلَّمَ جَابِرٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِيَشْفَعَ لَهُ إِلَيْهِ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَكَلَّمَ الْيَهُودِيَّ لِيَأْخُذَ تَمْرَ نَخْلِهِ بِالتِّي لَهُ، فَأَبَى، فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّخْلَ فَمَشَى فِيهَا، ثُمَّ قَالَ لَجَابِرٍ: جَدِّ لَهُ فَأَوْفَ لَهُ الَّذِي لَهُ، فَجَدَّهُ بَعْدَ مَا رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَوْفَاهُ ثَلَاثِينَ وَسْقًا، وَفَضَلَتْ لَهُ سَبْعَةُ عَشْرَ وَسْقًا، فَجَاءَ جَابِرٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِيُخْبِرَهُ بِالَّذِي كَانَ، فَوَجَدَهُ يَصَلِّيَ الْعَصْرَ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَخْبَرَهُ بِالْفَضْلِ، فَقَالَ: أَخْبِرْ ذَلِكَ ابْنَ الْخَطَّابِ، فَذَهَبَ جَابِرٌ إِلَى عَمْرِىَا فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لَهُ عَمْرٍَا: لَقَدْ عَلِمْتَ حِينَ مَشَى فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِيُبَارِكَ فِيهَا.^(٢)

وَقَدْ عَرَفَ جَمِيعُ النَّاسِ صَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَوَفَّاءَهُ بِالْعَهْدِ الَّتِي يَتَمَاهَا، رَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ أَنَّ أَبَا سَفْيَانَ مَعَ تَجَارٍ قَدِمُوا بِلَادَ الشَّامِ فِي الْمَدَّةِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبَيْنَ كِفَّارِ قَرِيْشٍ ... الْحَدِيثِ. وَفِيهِ: (أَنْ قَيَّصَ سَأَلُهُ هَلْ يَغْدِرُ؟ فَزَعَمَتْ أَنْ لَا، وَكَذَلِكَ الرَّسُلُ لَا يَغْدِرُونَ. ... الْحَدِيثِ).^(٣)

وَقَدْ كَانَ ﷺ يَأْمُرُ بِالْوَفَاءِ مَعَ اللَّهِ فِيمَا تَعَاهَدَ بِهِ الْإِنْسَانُ وَبِقَضَاءِ ذَلِكَ عَنْهُ حِينَ وَفَاتِهِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ: ((أَنَّ امْرَأَةً مِنْ جَهينة جَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ

(١) رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مَسْنَدِهِ، ج ٥/٣٢٣.

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ فِي الْاِسْتِقْرَاضِ وَأَدَاءِ الدِّيُونِ وَالْحَجَرِ وَالتَّقْلِيْسِ، بَابُ إِذَا قَاصَّ أَوْ جَازَاهُ فِي الدِّينِ تَمْرًا أَوْ غَيْرِهِ، ج ٣/٨٤.

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسَّيْرِ، بَابُ دَعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى الْإِسْلَامِ وَالنَّبُوَّةِ وَأَنْ لَا يَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ تَعَالَى، ج ٤/٢.

فَقَالَتْ: إِنَّ أُمِّي نَذَرَتْ أَنْ تَحْجَّ فَلَمْ تَحْجَّ حَتَّى مَاتَتْ، أَفَأَحْجَّ عَنْهَا؟ قَالَ: نَعَمْ، حَجِّي عَنْهَا، أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ عَلَى أَمِّكَ دَيْنٌ أَكُنْتَ قَاضِيَتَهُ؟ اقْضُوا اللَّهَ، فَاللَّهُ أَحَقُّ بِالْوَفَاءِ)).^(١)

وَالْأَحْلَافُ الَّتِي قَبْلَ الْإِسْلَامِ وَبَعْضُهَا أَحْلَافُ مَسَالِمَةٍ نَظَرُ لَهَا ﷺ بِوَاقِعِيَّةٍ، وَأَمْرٌ ﷺ بِالْوَفَاءِ بِهَا.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ فِي خُطْبَتِهِ: ((أَوْفُوا بِحَلْفِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَإِنَّ الْإِسْلَامَ لَمْ يَزِدْهُ إِلَّا شِدَّةً، وَلَا تَحْدُثُوا حَلْفًا فِي الْإِسْلَامِ)).^(٢)

وَقَدْ حَرَصَ ﷺ عَلَى إِبْلَاجِ الْمُشْرِكِينَ بِعَدَمِ تَجْدِيدِ عَهْدِهِمْ عَنْ انْقِضَاءِ مَدَّتِهِ كَمَا قَالَ - تَعَالَى -: ﴿وَأَذِّنْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ۝٤﴾ [التوبة].^(٣)

وَلَعَلَّ مِمَّا يَشْرَحُ ذَلِكَ مَا رَوَى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: ((كُنْتُ مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ حَيْثُ بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ بِبِرَاءَةٍ قَالَ: مَا كُنْتُمْ تَتَادَوْنَ؟ قَالَ: كُنَّا نُنَادِي: أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عَرِيَانٌ، وَمَنْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَهْدٌ فَإِنَّ أَجْلَهُ - أَوْ أَمَدَهُ - إِلَى

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ جَزَاءِ الصَّيْدِ وَنَحْوِهِ وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾، بَابُ الْحَجِّ وَالنَّذْرِ عَنْ الْمَيْتِ وَالرَّجُلِ يَحْجُ عَنْ الْمَرْأَةِ، ج ٢/٢١٧.

(٢) مُسْنَدُ الْإِمَامِ أَحْمَد، ج ٢/٢٠٧.

(٣) انْظُرْ: ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ، ج ١/٨٦٠ - ٨٦٣.

أربعة أشهر فإذا مضت الأربعة الأشهر فإنَّ الله بريء من المشركين ورسوله، ولا يحجَّ هذا البيت بعد العام مشرك، فكنت أنادي حتَّى صحل صوتي)).^(١)

وكان ﷺ يجير ويقبل الإجارة، ويحفظ بذلك العهد، فقد ورد عن أمّ هانئ ابنة أبي طالب ؓ قالت: ((ذهبت إلى رسول الله ﷺ عام الفتح فوجدته يغتسل وفاطمة ابنته تستره، فسلمت عليه فقال: من هذه؟ فقلت: أنا أمّ هانئ بنت أبي طالب. فقال: مرحباً بأمّ هانئ، فلما فرغ من غسله قام فصلّى ثماني ركعات ملتحفاً في ثوب واحد. فقلت: يا رسول الله، زعم ابن أمّي عليّ، أنّه قاتل رجلاً قد أجرته؛ فلان ابن هبيرة. فقال رسول الله ﷺ: قد أجرنا من أجرنا يا أمّ هانئ، قالت أمّ هانئ: وذلك ضحى)).^(٢)

عن عبد الله بن عمرو ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: ((المسلمون تتكافأ دماؤهم: يسعى بذمتهم أدناهم، ويجير عليهم أقصاهم، وهم يد على من سواهم، يردّ مشدّهم على مضغفهم، ومتسرّعهم على قاعدتهم، لا يقتل مؤمن بكافر، ولا ذو عهد في عهده)).^(٣)

عن سليم بن عامر ؓ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((من كان بينه وبين قوم عهد فلا يشدّ عقده، ولا يحلّها حتّى ينقضي أمدّها أو ينبذ إليهم على سواء))، فرجع معاوية.^(٤)

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده، ج ٢/٢٩٩. (وصحل صوتي ضعف وخفت).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب ما جاء في زعموا، ج ٧/١١٠.

(٣) رواه أبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب في السرية ترد على أهل العسكر، ص ٤٨٦، ح برقم: ٢٧٥١.

(٤) رواه أبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب في الإمام يكون بينه وبين العدو عهد فيسير إليه، ج ٣/٨٣، ح برقم: ٢٧٥٩.

وقد مارس ﷺ بنفسه الوفاء في قصة مشهورة مع أعرابي روتها عائشة ؓ قالت: ((ابتاع رسول الله ﷺ من رجل من الأعراب جزورا أو جزائر بوسق من تمر الدّخرة - وتمر الدّخرة العجوة - فرجع به رسول الله ﷺ إلى بيته والتمس له التمر فلم يجده فخرج إليه رسول الله ﷺ فقال له: يا عبدالله! إنّنا قد ابتعنا منك جزورا أو جزائر بوسق من تمر الدّخرة، فالتمسناه فلم نجده، قال: فقال الأعرابي: واغدراه، قالت: ففهمه الناس وقالوا: قاتلك الله، أيغدر رسول الله ﷺ؟ قالت: فقال رسول الله ﷺ: دعوه، فإنّ لصاحب الحقّ مقالا، ثمّ عاد له رسول الله ﷺ فقال: يا عبد الله إنّنا ابتعنا منك جزائر ونحن نظنّ أنّ عندنا ما سمينا لك، فالتمسناه فلم نجده، فقال الأعرابي: واغدراه، ففهمه الناس، وقالوا: قاتلك الله، أيغدر رسول الله ﷺ؟ فقال رسول الله ﷺ: دعوه، فإنّ لصاحب الحقّ مقالا، فردّد ذلك رسول الله ﷺ مرّتين أو ثلاثا، فلما رآه لا يفقه عنه قال لرجل من أصحابه: اذهب إلى خويلة بنت حكيم بن أميّة فقل لها: رسول الله ﷺ يقول لك: إن كان عندك وسق من تمر فأسلفيناه حتّى نؤدّيه إليك إن شاء الله فذهب إليها الرّجل، ثمّ رجع الرّجل فقال: قالت: نعم، هو عندي يا رسول الله فابعث من يقبضه، فقال رسول الله ﷺ للرّجل: اذهب به فأوفه الذي له قال: فذهب به فأوفاه الذي له. قالت: فمّر الأعرابي برسول الله ﷺ وهو جالس في أصحابه فقال: جزاك الله خيرا. فقد أوفيت وأطيت. قالت: فقال رسول الله ﷺ: أولئك خيار عباد الله عند الله الموفون المطيّبون)).^(١)

وكان ﷺ أحسن الناس قضاء فعن جابر بن عبد الله ؓ قال: ((كنت مع النّبي ﷺ في سفر، فكنت على جمل ثفال إنّما هو في آخر القوم، فمّر

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده، ج ٢٦٨/٦ - ٢٦٩.

بي النَّبِيِّ ﷺ فقال: من هذا؟ قلت جابر بن عبد الله. قال: مالك؟ قلت: إني على جمل ثفال. قال: أمعك قضيب؟ قلت: نعم. قال: أعطنيه، فأعطيته فضربه فزجره، فكان من ذلك المكان من أوّل القوم. قال: بعنيه، فقلت: بل هو لك يا رسول الله. قال: بل بعنيه. قد أخذته بأربعة دنائير ولك ظهره إلى المدينة... فلما قدمنا المدينة قال: يا بلال اقضه، وزده. فأعطاه أربعة دنائير وزاده قيراطاً. قال جابر: لا تفارقني زيادة رسول الله ﷺ، فلم يكن القيراط يفارق جراب جابر بن عبد الله)).^(١)

وكان يفي بالعهود حتى مع أعدائه ﷺ. عن أبي رافع ﷺ قال: ((بعثتني قريش إلى رسول الله ﷺ، فلما رأيت رسول الله ﷺ ألقى في قلبي الإسلام. فقال: يا رسول الله، إني والله لا أرجع إليهم أبداً. فقال رسول الله ﷺ: إني لا أخيس بالعهد، ولا أحبس البرد، ولكن أرجع، فإن كان في نفسك الذي في نفسك الآن، فارجع، قال: فذهبت، ثم أتيت النَّبِيَّ ﷺ، فأسلمت)).^(٢)

وفي غزوة الحديبية كان ﷺ حريصاً على معاهدة قريش، مع استعدادة للوفاء بأي عهد يتم وفي رواية طويلة للمسور بن مخزومة...، حتى إذا كان بالثَّيَّة التي يهبط عليهم منها بركت به راحلته، فقال النَّاس: حل حل. فألحَّت. فقالوا: خلأت القصواء. فقال النَّبِيُّ ﷺ: ((ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق. ولكن حبسها حابس الفيل. ثم قال: والذي نفسي بيده لا

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الوكالة، باب إذا وكل رجل أن يعطي شيئاً، ولم يبين كم يعطي، فأعطى على ما يتعارفه الناس، ج ٦٢/٣ - ٦٣.

(٢) رواه أبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب في الإمام يستجن به في العهود، ج ٨٣/٣، ح برقم: ٢٧٥٨.

يسألونني خطّة يعظّمون فيها حرّمات الله إلا أعطيتهم إيّاها)). ولما انتهت المفاوضات مع سهيل بن عمرو. دعا النّبى ﷺ الكاتب، فقال النّبى ﷺ: ((بسم الله الرّحمن الرّحيم فقال سهيل: أمّا (الرّحمن) فو الله ما أدري ما هي، ولكن اكتب: باسمك اللهم، كما كنت تكتب، فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا بسم الله الرّحمن الرّحيم. فقال النّبى ﷺ: اكتب: باسمك اللهم. ثمّ قال: هذا ما قاضى عليه محمّد رسول الله، فقال سهيل: والله لو كنّا نعلم أنّك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب محمّد بن عبد الله، فقال النّبى ﷺ: والله إنّى لرسول الله وإن كذّبتُمونى، اكتب: محمّد بن عبد الله... وعلى أنّه لا يأتىك ممّن رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا. قال المسلمون: سبحان الله، كيف يردّ إلى المشركين وقد جاء مسلماً؟ فبينما هم كذلك إذ دخل أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيود، وقد خرج من أسفل مكّة حتّى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين، فقال سهيل: هذا يا محمّد أوّل من أقاضيك عليه أن تردّه إليّ. فقال النّبى ﷺ: إنّنا لم نقض الكتاب بعد. قال: فو الله إذا لم أصالحك على شيء أبداً. قال النّبى ﷺ: فأجزه لى، قال: ما أنا بمجيزه لك، قال: بلى فافعل، قال: ما أنا بفاعل. قال مكرز: بل قد أجزناه لك. قال أبو جندل: أي معشر المسلمين، أردّ إلى المشركين وقد جئت مسلماً؟ ألا ترون ما قد لقيت؟ وكان قد عدّ عذاباً شديداً في الله. قال: فقال عمر بن الخطّاب: فأتيت نبيّ الله ﷺ فقلت: أأست نبيّ الله حقّاً؟ قال: بلى، قلت: ألسنا على الحقّ وعدّونا على الباطل؟ قال: بلى، قلت: فلم نعطي الدّنية في ديننا إذا؟ قال: إنّى رسول الله ولست أعصيه، وهو ناصري... ثمّ رجع النّبى ﷺ إلى المدينة، فجاءه أبو بصير - رجل من قريش - وهو مسلم، فأرسلوا

فِي طلبه رجلين فقالوا: العهد الَّذِي جعلت لنا، فدفعه إِلَى الرجلين، فخرجا به حَتَّى بلغا ذَا الحليفة، فنزلوا يَأْكُلُونَ من تمر لهم، فقال أَبُو بصير لِأحد الرجلين: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَى سَيْفَكَ هَذَا يَا فُلَانٌ جَيِّدًا، فاستلَّهُ الْآخَرُ فقال: أَجَل، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَجَيِّدٌ، لَقَدْ جَرَّبْتُ بِهِ ثُمَّ جَرَّبْتُ. فقال أَبُو بصير: أَرْنِي أَنظُرْ إِلَيْهِ، فَأَمَكْنَهُ مِنْهُ، فَضْرِبُهُ حَتَّى يَرُدَّ، وَفَرَّ الْآخَرُ حَتَّى أَتَى الْمَدِينَةَ، فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ يَعْدُو، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ رَأَاهُ: لَقَدْ رَأَى هَذَا ذَعْرًا، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: قَتَلَ وَاللَّهِ صَاحِبِي وَإِنِّي لَمُقْتُولٌ. فجاء أَبُو بصير فقال: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، قَدْ وَاللَّهِ أَوْفَى اللَّهِ ذِمَّتَكَ قَدْ رَدَدْتَنِي إِلَيْهِمْ، ثُمَّ أَنْجَانِي اللَّهُ مِنْهُمْ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: وَيَلِ أُمِّهِمْ مَسْعَرُ حَرْبٍ لَوْ كَانَ لَهُ أَحَدٌ فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ عَرَفَ أَنَّهُ سَيَرَدُّهُ إِلَيْهِمْ، فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى سَيْفَ الْبَحْرِ. قَالَ وَينفَلت منهم أَبُو جندل بن سهيل فلحق بأبي بصير، فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير، حَتَّى اجتمعت منهم عصابة، فَوَاللَّهِ مَا يَسْمَعُونَ بَعِيرَ خَرَجْتَ لِقْرِيشَ إِلَى الشَّامِ إِلَّا اعْتَرَضُوا لَهَا، فَقَتَلُوهُمْ وَأَخَذُوا أَمْوَالَهُمْ. فَأَرْسَلَتْ قْرِيشَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ تَتَشَاوَدُهُ اللَّهُ وَالرَّحْمَ لَمَّا أَرْسَلَ فَمَنْ أَتَاهُ فَهُوَ آمِنٌ، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ^(١).

عن حذيفة بن اليمان ؓ قال: (ما منعني أن أشهد بدرًا إِلَّا أَنِّي خَرَجْتُ أَنَا وَأَبِي حَسِيلٌ. قَالَ: فَأَخَذْنَا كَفَّارَ قْرِيشَ. قالوا: إِنَّكُمْ تَرِيدُونَ مُحَمَّدًا؟ فَقُلْنَا: مَا نُرِيدُهُ. مَا نُرِيدُ إِلَّا الْمَدِينَةَ. فَأَخَذُوا مِنَّا عَهْدَ اللَّهِ وَمِيثَاقَهُ لَنَنْصَرِفَنَّ إِلَى الْمَدِينَةِ وَلَا نَقَاتِلَ مَعَهُ. فَأَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرْنَاهُ الْخَبَرَ. فَقَالَ: "انْصَرِفَا. نَفِي لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ، وَنَسْتَعِينُ اللَّهَ عَلَيْهِمْ".^(٢))

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الشروط، باب باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، ج ٣/ ١٧٨ - ١٨٤.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب الوفاء بالعهد، ج ٥/ ١٧٦، ١٧٧.

وكان أصحاب رسول الله ﷺ حريصين على الوفاء لله ولرسوله ﷺ. وقد نزل فيهم قوله - تعالى -: ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا﴾ ﴿٤٣﴾ [الأحزاب: (١)]

وقال - تعالى -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَكَ اللَّهُ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِنْهُمْ شَرٌّ أَعْظَمًا﴾ ﴿١٠﴾ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلْفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِآلِسِنْتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ ﴿١١﴾ [الفتح: (٢)]

وقد وفى الأنصار مع رسول الله ﷺ بعد مبايعته في العقبة، فعن عوف بن مالك ﷺ قال: (كنا مع النبي ﷺ تسعة أو ثمانية أو سبعة، فقال؟ "ألا تبايعون رسول الله؟" فبسطنا أيدينا، فقلت: قد بايعناك يا رسول الله، فعلام نبايعك؟ قال: "على أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، والصلوات الخمس، وتطيعوا"، وأسر كلمة خفية، قال؟ "ولا تسألوا الناس شيئاً". قال عوف بن مالك: فقد رأيت بعض أولئك النفس يسقط سوط أحدهم، فما يسأل أحداً أن يناوله إياه). (٣)

كما وفى الصحابة لرسول الله ﷺ في حياته، فقد وفوا له بعد مماته ﷺ ومن ذلك وفاء أبي بكر حيث كان ﷺ يوصي المرأة ذات الحاجة التي خشيت أن لا تجد الرسول ﷺ في أنها ستجد أبا بكر ﷺ، وقد وقع الوفاء منه بما وعد به النبي ﷺ في عدة مواقف، منها ما روي: عن جابر ﷺ قال:

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٤٨٧.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٧٢٨ - ١٧٢٩.

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب كراهة المسألة للناس، ج ٣/ ٩٧.

قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ : ((لَوْ جَاءَ مَالُ الْبَحْرَيْنِ أُعْطَيْتُكَ هَكَذَا - ثَلَاثًا ، فَلَمْ يَقْدَمْ - فَلَمْ يَجِئْ - حَتَّى تُؤْفِيَ النَّبِيُّ ﷺ ، فَأَمَرَ أَبُو بَكْرٍ مُنَادِيًا فَنَادَى : مَنْ كَانَ لَهُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ عِدَّةٌ أَوْ دَيْنٌ فَلْيَأْتِنَا . فَأَتَيْتُهُ ، فَقُلْتُ : إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَعَدَنِي ، فَحَتَّى لِي ثَلَاثًا)).^(١)

وحرص الصحابة رضوا على الوفاء بما عاهد عليه رسول الله ﷺ وبما عليه من وعد ، حتى بعد موته ، عن أبي جحيفة رضي الله عنه قال : ((رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أبيض قد شاب . وكان الحسن بن عليٍّ يشبهه . وأمر لنا بثلاثة عشر قلوصاً ، فذهبنا نقبضها فأتانا موته فلم يعطونا شيئاً . فلما قام أبو بكر قال : من كانت له عند رسول الله ﷺ عِدَّةٌ فليجيء ، فقمت إليه فأخبرته ، فأمر لنا بها)).^(٢)

كذلك فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع سراقه بن مالك رضي الله عنه ، ففي حادثة الهجرة اتبع سراقه النبي ﷺ وأبا بكر فقال له النبي ﷺ : ((عد يا سراقه ولك سوارا كسرى)). وقبض النبي ﷺ وفي خلافة عمر بعد فتح المدائن جاء سوارا كسرى لعمر ، فنَادَى سراقه وألبسه إياهما ، وقال : هذا ما وعدك به رسول الله . إنه الوفاء لما وعد به الرسول ﷺ.^(٣)

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المغازي ، باب قصة عُمان والبحرين ، ج ١٢٠/٥ - ١٢١.

(٢) رواه الترمذي في سننه ، كتاب الأدب ، باب ما جاء في العدة ، ج ١٢٨/٥ ؛ ح برقم : ٢٨٢٦.

(٣) انظر كتابي : (رسول الله وخاتم النبيين) ، القسم الثاني ، (الاضطهاد والهجرة).

صبره ﷺ

عُرِّفَ الصبر في اللغة أنه الحبس والكف والمنع والشدة والضم، ومنه أن يقوم الإنسان بحبس نفسه وإلزامها بشيء ما، ولو كانت تكرهه، أو أن يبتعد عن شيء ما، ولو كان يحبه، وهو قدرة الإنسان على تحمل المصاعب والابتلاءات على اختلاف أنواعها في الجسد أو الطاعات، أو غيرها من أمور الدنيا والحياة.^(١)

وقد يكون الصبر عفة أو شجاعة أو كتماناً أو زهداً أو حكماً والمؤمن يتقلب بين الصبر والشكر، وكله في النهاية صبر.^(٢)

كما من الصبر القدرة على ضبط النفس عن القيام بالمعاصي والفواحش ما بطن منها وما ظهر، وأن يحبس الإنسان نفسه ويضبطها عن فعل عمل يُغضب الله. بهدف الحصول على رضا الله تعالى.

والصبر من أعظم الصفات التي يتحلّى بها المؤمن، وقد خصّ الله - تعالى - بالمدح والثناء أهل الصبر ابتغاء ورضاه، بقوله - تعالى -: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِعَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَدْرُسُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣].^(٣)

وحياة رسول الله ﷺ كلها صبر، والمتمعن في سيرته ﷺ يجد ذلك في كل مراحل حياته، ومن يطالع آيات الصبر في القرآن يدرك أنه ﷺ قد

(١) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ٤/ ٤٣٨؛

صالح بن حميد وآخرين، نضرة النعيم، ج ٦/ ٢٤٤٣.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/ ١٠١٠.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ١٠١٠.

استشعرها وعمل بها، وهي آيات عديدة، وفي مواضع استشهاد كثيرة، وفي مواضع متعددة، علمه الله الصبر وأمره به.

قال - تعالى -: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [يونس: (١٠)].^(١)

وقال - تعالى -: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ [المعارج: (٥)].^(٢)

وقال - تعالى -: ﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ [المزمل: (١٠)].^(٣)

وقال - تعالى -: ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ [المدثر: (٧)].^(٤)

وقال - تعالى -: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [الإنسان: (٢٤)].^(٥)

وقال - تعالى -: ﴿وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [هود: (١١٥)].^(٦)

وقال - تعالى -: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم: (٦٠)].^(٧)

وقال - تعالى -: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ﴾ [غافر: (٥٥)].^(٨)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٩٤٧.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٩١٦.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٩٣٢.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٩٣٤.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٩٤٨.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٩٦٩.

(٧) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٤٥٨.

(٨) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٦٤٤.

وقال - تعالى -: ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَكَيْمَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْدُهُمْ أَوْ نَتُوفِقَنَّكَ فَأَلَيْنَا يَرْجِعُونَ ﴾ [٧٧] ﴿١﴾ [غافر].

وقال - تعالى -: ﴿ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ [١٢٧] ﴿٢﴾ [النحل].

وقال - تعالى -: ﴿ أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ [١٧] ﴿٣﴾ [سورة].

وقال - تعالى -: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [٤٩] ﴿٤﴾ [هود].

كما جاءت العديد من الآيات الموجهة للمؤمنين للصبر وأنه عوناً للمؤمن، وهذا التوجيه باقٍ إلى يوم القيامة، قال - تعالى -: ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [١٥٣] ﴿٥﴾ [البقرة].

وقال - تعالى -: ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [١٨٦] ﴿٦﴾ [آل عمران].

وقال - تعالى -: ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [٢٠٠] ﴿٧﴾ [آل عمران].

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٦٤٨.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٠٨١.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٦٠٢.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٩٥٨.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٢٢٢.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٤٢٧.

(٧) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٤٣٥.

وقال - تعالى -: ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ ﴿٤٦﴾ [الأنفال].^(١)

وقال - تعالى -: ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ ﴿١١﴾ [هود].^(٢)

وقال - تعالى -: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٩٦﴾ [النحل].^(٣)

وقال - تعالى -: ﴿وَمَا يُقَلِّهَآ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُقَلِّهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ ﴿٣٥﴾ [فصلت].^(٤)

وقال - تعالى -: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ﴾ ﴿٢﴾ [العصر].^(٥)

وقال - تعالى -: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ ﴿١٥٣﴾ [البقرة].^(٦)

وقال - تعالى -: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ ﴿١٦٦﴾ [النحل].^(٧)

وقال - تعالى -: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ ﴿٤٣﴾ [الشورى].^(٨)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٨٤٦.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٩٥٠.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٠٧٥.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٦٥٨.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ٢٠٢٩.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٨٧.

(٧) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٠٥٥.

(٨) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٦٧٣.

وقال - تعالى - : ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوا أَخْبَارَكُمْ

﴿٣١﴾ [محمد].^(١)

وقال - تعالى - : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ

﴿٥﴾ [الحجرات].^(٢)

وقال - تعالى - : ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ

وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ [لق].^(٣)

وقال - تعالى - : ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾

[الطور].^(٤)

وقال - تعالى - : ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْأُتُوْتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ

﴿٤٨﴾ [القلم].^(٥)

قال تعالى : ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾

سورة البلد.^(٦)

وهناك أمثلة كثيرة على صبر النبي ﷺ في مجال الدعوة وتحمله الأذى.

كانت قريش وكفارها يصبون شتى أنواع الأذى على رسول الله ﷺ ويستهدفون ثنيه ومن معه عن الإسلام، كما كانوا يصدون الناس عن السماع لرسول الله ﷺ بعد أن انتشرت دعوته ويعقدون الاجتماعات

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٧١٦.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٧٤٤.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٧٦٠.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٧٧٣.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٩٠٨.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٩٩٧.

ويحيكون المؤامرات لمنع الناس من السماع لهذا الدين. كما كانوا يوجهون أشد أنواع الأذى الجسدي المعنوي لرسول الله ﷺ في محاولة منهم للصد عن سبيل الله.^(١)

وقد جاءت أوامر الله ﷻ له بالصبر على الأذى الذي يلقيه، والارتباط بالدعوة وأهلها. قال - تعالى - : ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا﴾ (٢٨) ﴿[الكهف].^(٢)

وقال - تعالى - : ﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ (٨٧) ﴿[الأعراف].^(٣) وكان صبره على الأذى كما فعل الأنبياء قبله ﷺ ، قال - تعالى - : ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَنَّهُمْ نَصَرْنَا وَلَا مَبْدَلَ لِكَلِمَتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَائِ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٣٤) ﴿[الأنعام].^(٤)

وقال - تعالى - : ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا أَبْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَدْرَعُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (٢٢) ﴿[الرعد].^(٥)

وقال - تعالى - : ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (٢٤) ﴿[الرعد].^(٦)

(١) انظر: الفصل الخاص بموقف زعماء قريش من دعوة الرسول وأذاهم له وللمسلمين في كتاب محمد الشنقيطي، (السيرة النبوية لابن حجر في فتح الباري)، ج ٣٩٨/١.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١١٥٢/٢.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٧٧١/١.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٦٨١/١.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١٠١٠/١.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١٠١٠/١.

وقال - تعالى - : ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ ﴿٤٢﴾ [النحل].^(١)

وعن المهاجرين الصابرين على فراق الدار والمال. قال - تعالى - : ﴿ثُمَّ إِنَّكَ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿١١٠﴾ [النحل].^(٢)

وفي الصبر على الأذى. قال - تعالى - : ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ۖ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ ﴿١١٦﴾ [النحل].^(٣)

وقال - تعالى - : ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ ﴿١١١﴾ [المؤمنون].^(٤)

وقال - تعالى - : ﴿أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾ ﴿٧٥﴾ [الفرقان].^(٥)

وقال - تعالى - : ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ ﴿٥٤﴾ [القصاص].^(٦)

وقال - تعالى - : ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ ﴿٥٩﴾ [الغنكبوت].^(٧)

وقال - تعالى - : ﴿قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ﴿١٠﴾ [الزمر].^(٨)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٠٦٣.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٠٧٨.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٠٨١.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٣٠٧.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٣٦٨.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٤٢٠.

(٧) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٤٤١.

(٨) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٦١٦.

وقال - تعالى -: ﴿أَمَرَ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ ﴿١٤٢﴾ [آل عمران: (١)]

وقال - تعالى -: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٢٠٠﴾ [آل عمران: (٢)]

وقال - تعالى -: ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ ﴿٤٦﴾ [الأنفال: (٣)]

وقال - تعالى -: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْكُوا اللَّهَ كَمَنْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةً غَلَبَتْ فِتْنَةُ كَثِيرَةٍ يَادُّنِ اللَّهُ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ ﴿٢٤٩﴾ [البقرة: (٤)]

وأمر الله بالصبر على المصائب. قال - تعالى -: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ ﴿٣٥﴾ [الحج: (٥)] وقال - تعالى -: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ شَيْئًا مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ [البقرة: (٦)]

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/ ٤٠٣.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/ ٤٣٣.

(٣) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/ ٨٤٦.

(٤) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/ ٣١٤.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٢٧٤.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٢٢٢ - ٢٢٣.

وربط الصبر بأركان الإيمان. وقال - تعالى -: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: (١٧٧)]^(١)

وقد ضرب الله ﷻ المثل لنبيه وللأمة بالأنبياء السابقين والصالحين من الأمم السابقة في صبرهم. قال - تعالى -: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ بَلَّغَ فَبَلَ يُهُلِكُ إِلَّا أَلْفَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الأحقاف: (٢٥)]^(٢)

وقال - تعالى -: ﴿وَمَا نَنْفِقُ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَنَا رَبَّنَا أَفَرِّغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوْفَنَّا مُسْلِمِينَ﴾ [سورة الأعراف: (١٦٦)]^(٣)

وقال - تعالى -: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: (١٢٨)]^(٤)

وفي بني إسرائيل. قال - تعالى -: ﴿وَأَوْثَرْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَزْعَفُونَ مُشْرِقِ الْأَرْضِ وَمَغْرِبِهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف: (١٣٧)]^(٥)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٢٣٠.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٧١٥.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٧٧٧.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٧٧٧.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٧٨٠.

وفي إبراهيم وإسماعيل. قال - تعالى -: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَئُ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ قَالَ يَتَأَبَّتُ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ [الصافات: (١)]

وفي أيوب عليه السلام قال - تعالى -: ﴿وَحُذِّبِكَ ضِغْتًا فَاُضْرِبْ بِهٖ وَلَا تَحْنُثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ ﴿٤٤﴾ [ص: (٢)]

وفي موسى عليه السلام قال - تعالى -: ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ ﴿٦٩﴾ [الكهف: (٣)]

وفي عدد من الأنبياء عليه السلام قال - تعالى -: ﴿وَلِإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ ﴿٨٥﴾ [الأنبياء: (٤)]

وقال - تعالى -: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ نَّبِيِّ قَتَلَ مَعَهُ رِيتُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ ﴿١٤٦﴾ [آل عمران: (٥)]

وقال - تعالى -: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لِمَا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ ﴿٢٤﴾ [السجدة: (٦)]

وقد أمر بالصبر كما صبر المرسلون عليه السلام من قبله.

قال - تعالى -: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾ [الفرقان: (٧)]

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٥٨٩.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٦١٠.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١١٦٦.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٢٤٧.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٤٠٤.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٤٧٧.

(٧) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٣٥٣.

وفي لقمان. قال - تعالى -: ﴿يَبْنُىْ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَامُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (١٧) ﴿[لقمان].^(١)

وقال - تعالى -: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ (٨٠) ﴿[القصص].^(٢)

وقد عانى ﷺ من المنافقين واليهود في المدينة أيما معاناة، فكانوا يتعمدون إيذائه، وكان أذى المنافقين أشد من غيره. ومع ذلك تعامل معهم ﷺ بصبر، وتحمل منهم وطمع في صلاحهم. ولعل حادثة الإفك وتعرض المنافقين لعرض رسول الله ﷺ في عائشة أبانت عن صبره ﷺ وصبرها، وكانت تقول: كما قال يوسف ﷺ: ﴿... فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ (١٨) ﴿[يوسف].

وكان ﷺ صابراً على أذى المنافقين، رغم ما أحدثوه مما كاد أن يتسبب في قتال بين الأنصار.^(٣) حتى نزلت براءة عائشة في قوله تعالى: وأنزل الله - تعالى -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١١) ﴿[النور].^(٤)

وكان من أبرز أحداث غزوة بني المصطلق ما جرى من المنافقين، خصوصاً عبد الله بن أبي بن سلول ومن على شاكلته في زمن النبي ﷺ. ولا شك أن لهم أتباعاً في كل زمان، من أذى للرسول ﷺ وللمؤمنين استدعى منهم الصبر، وما نزل من آيات قرآنية في أولئك المنافقين.

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٤٦٣.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٤٢٥.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب حديث الإفك، ج ٥/ ٥٥ - ٥٩.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٣١٦.

ففي تلك الغزوة اقتتلَ عند الماء رجلان، أحدهما من غفار أجير لعمر بن الخطاب ؓ، والآخر حليف لأحد الأنصار، فصرخ أجير عمر يا معشر المهاجرين: وصرخ حليف الأنصاري: يا للأنصار، وكاد الشر أن يقع بين المسلمين. فلما سمع رسول الله ﷺ بذلك قال: ((أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم دعوها فإنها منتنة)).^(١)

وكان عبد الله بن أبيّ زعيم المنافقين بين أناس من الأنصار، ومعهم زيد ابن أرقم ؓ صحابي صغير في السن، يستمع لما يجري فقال ابن أبيّ مستثيراً القوم: أوقد فعلوها؟ قد نافرونا وكأثرونا في بلادنا، والله ما عدنا وجلابيب قريش إلا كما قال الأول (سَمَنَ كلبك يأكلك). أما والله لئن رجعنا إلى المدينة (ليُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ)، ثم أقبل يلوم من حوله من الأنصار قائلاً: ((أما والله لو أمسكتهم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير دياركم)).

فذهب زيد بن أرقم ؓ وهو غلام حدث، فأخبر رسول الله ﷺ بما قال عبد الله بن أبيّ ؓ وكان عمر بن الخطاب ؓ حاضراً فقال: يا رسول الله ﷺ مَرُّ به فأقتله، فقال ﷺ: ((فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه؟)).^(٢)

والحديث عن المنافقين وصبره ﷺ عليهم يطول. وهناك كتب متخصصة تحدثت عن مواقفهم، حيث لا تكاد غزوة تخلوا منهم سوى غزوة بدر.

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لِنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، ج ٦٦/٦ - ٦٧.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب سورة المنافقين: ﴿يَقُولُونَ لِنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ﴾، ج ٦٣/٦ - ٦٧؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ج ٣/٢٩١.

وأما اليهود فتعامل معهم ﷺ بعدل ووفاء وصبر، حتى إذا خانوا وقف منهم موقفاً حازماً، وتمكن من تطهير المدينة من جماعاتهم التي حاربتهم، أما من كان منهم مسالماً فقد بقي دون أذى.

صبره عند فقد أهله وأحبابه ﷺ: في السنة العاشرة من البعثة النبوية،^(١) توفيت أم المؤمنين خديجة بنت خويلد ﷺ. وكانت مساندة له ﷺ، وكان راضياً عنها محباً لها، مبشراً لها بالجنة في أكثر من موضع، وكان فقدها صعباً عليه ﷺ، حيث كان محباً لها يأنس بها، لديه بنات منها يحتجن للرعاية، وكان في مرحلة صعبة من تضيق قريش عليه. وقد كانت وفاتها في العام الذي توفى فيه عمه أبو طالب. وكان خير مدافع عن رسول الله ﷺ، ولذلك سمي هذا العام عام الحزن.^(٢)

وقبيل وفاة أبي طالب أصابه المرض واشتكى في السنة العاشرة من البعثة،^(٣) وكان الرسول ﷺ مشفقاً على عمه داعياً إياه للإسلام والخير، منذ مبعثه، ولكنه لم يؤمن ويعلن إسلامه. وفي الوقت نفسه لم يتوقف عن مساندة الرسول ﷺ ودعمه والوقوف معه وحمايته، روى البخاري: ((أن أبا طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل فقال: أي عم قل: لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب؟، فلم يزالا يكلمانه حتى قال آخر شيء كلهم به هو على ملة عبد المطلب. فقال النبي: "لأستغفرن لك ما

(١) انظر: ابن سعد، السيرة النبوية من الطبقات، ج ١/٢١١.

(٢) الصلابي، السيرة النبوية، ج ١/٣٦٧.

(٣) انظر: ابن سعد، السيرة النبوية من الطبقات، ج ١/٢١١.

لم أنه عنه))،^(١) فنزل قوله - تعالى -: ﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ (١١٣) [التوبة].^(٢)

ونزلت: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (٥٦) [القصص].^(٣)

وقد كان النبي ﷺ محباً لعمه مشفقاً عليه، يرى معروفه ويشكر له وقوفه إلى جانبه، ويدرك أن لا منقذ من النار لأي كان إلا شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وكان ﷺ حريصاً أشد الحرص على أن يقولها أبو طالب، ولكن حضور أبي جهل وأمثالهم من شياطين الجن وتأكيدهم على ملة عبد المطلب، حيث لم يزالا يكلمانه حتى قال آخر شيء كلمهم به هو على ملة عبد المطلب.^(٤) ومات على ذلك فحزن النبي ﷺ حزناً شديداً.

كان أبو طالب مسانداً للرسول ﷺ، وبموته خفّ دعم النبي ﷺ وضعف مناصروه وتزامن ذلك مع وفاة خديجة، فسمي ذلك العام بعام الحزن وهو عام صبر ومصابرة.^(٥)

وفي حياته ﷺ ماتت جميع بناته عدا فاطمة رضي الله عنها، وكان لكل واحدة منهن حادث وحديث، فكان يحزن لفقدهن ويصبر ﷺ.^(٦)

(١) انظر: رواه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب قصة أبي طالب، ج ٤/ ٢٤٧.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٩١١.

(٣) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/ ١٤٢١.

(٤) من رواية البخاري في صحيحه، باب قصة أبي طالب، ج ٤/ ٢٤٧.

(٥) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١/ ٤١٦؛ عثمان الخميس، كنوز السيرة، ص ٨٠، ٨٢.

(٦) انظر الحديث عن وفيات بنات النبي ﷺ في كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين)، القسم الخامس المعاشون للمصطفى ﷺ.

توفيت ابنته رقية ؓ في رمضان من السنة الثانية من الهجرة قبيل عودة الرسول ﷺ من غزوة بدر، ودفنت في البقيع، وكان عمرها اثنتين وعشرين سنة، وحين عودته ﷺ من بدر زار قبرها، ودعا لها رحمة لها، مما أثار رقة النساء فيكين^(١).

و مرضت ابنته زينب ؓ بعد سنة من قدوم زوجها أبو العاص بن الربيع، إلى المدينة حيث سبق أن ألقاها مشركو مكة من على جملها، فمرضت وتوفيت بسبب ذلك المرض. وكانت وفاتها في السنة الثامنة من الهجرة^(٢). وقد بكى ﷺ، وعُرف بكاءه لموت ابن ابنته زينب. وقد مات أحد أبناء ابنته زينب ؓ، عن أسامة قال: (كان ابن لبعض بنات النبي ﷺ يقضي، فأرسلت إليه أن يأتيها، فأرسل: إن لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكل إلى أجل مسمى، فلتصبر ولتحتسب. فأرسلت إليه، فأقسمت عليه، فقام رسول الله ﷺ، وقمت معه ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وعبادة بن الصامت. فلما دخلنا ناولوا رسول الله ﷺ الصبي ونفسه تقلقل في صدره، حسبته قال: كأنها شنة، فبكى رسول الله ﷺ، فقال سعد بن عبادة: أتبكي؟ فقال: "إنما يرحم الله من عباده الرحماء"^(٣).

وقد تزوج عثمان أم كلثوم ؓ بعد رقية فأحبها وأحبته، وعاشت مع عثمان ؓ ست سنوات، حتى توفيت في شهر شعبان من السنة التاسعة من الهجرة^(٤).

(١) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٢/٢٢٥.

(٢) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٢/٢٥٠؛ وابن سعد، الطبقات، ج ٨/٣٧؛ وخليفة بن خياط، تاريخه، ص ٦٥.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾، ج ٧/١٨٦؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت، ج ٣/٣٩.

(٤) انظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٥/٦١٢؛ والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٢/٢٥٢؛ وابن كثير، السيرة النبوية، ج ٤/٧٤.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((رأيت النبي ﷺ جالساً على قبرها - يعني أم كلثوم رضي الله عنها - وعيناه تدمعان، فقال: فيكم أحد لم يقارف الليلة؟ فقال أبو طلحة: أنا. قال: انزل)).^(١) ودفنت في البقيع، وكان ﷺ يقرأ: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ طه.^(٢)

كما توفي ابنه إبراهيم رضي الله عنه من مارية القبطية، فدمعت عيناه وحزن وصبر ﷺ، روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((دخلنا مع رسول الله ﷺ على أبي سيف الثقين، وكان ظئراً لإبراهيم، فأخذ رسول الله ﷺ إبراهيم، فقبله وشمه، ثم دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيم يجود بنفسه، فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان. فقال له عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: وأنت يا رسول الله؟! فقال: يا ابن عوف؛ إنها رحمة، ثم أتبعها بأخرى، فقال ﷺ: إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون)).^(٣)

وقد تعرض عدد من أصحابه للقتل والشهادة، وخصوصاً في غزواته ﷺ ولكل منهم قصة. وعلى رأسهم سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه عم النبي ﷺ الذي استشهد في أحد مع عدد من الشهداء من أصحاب رسول الله ﷺ وصل عددهم إلى السبعين رجلاً، منهم حمزة^(٤) وسعد بن

(١) انظر: رواية البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب من يدخل قبر المرأة، ج ٩٣/٢.

(٢) انظر: ابن حجر، فتح الباري، ج ٢٠١/١٦.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب قوله ﷺ (إنا بك لمحزونون)، ج ٨٤/٢،

٨٥.

(٤) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب قتل حمزة، ج ٣٦/٥ - ٣٧؛ ابن إسحاق، السيرة النبوية، ص ٣٠٨؛ الصالحى الشامى، سبل الهدى والرشاد، ج ٣١٨/٤؛ ابن أبي شيبه، المغازي، ص ٢٤١.

الربيع،^(١) ومصعب بن عمير،^(٢) وعبد الله بن جحش،^(٣) وحنظلة الغسيل وغيرهم ﷺ وكان ﷺ صابراً محتسباً علم أصحابه أنه: لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار.^(٤)

وكذلك استشهد سعد بن معاذ ﷺ وغيره في غزوة الأحزاب، فحزن ﷺ عليه وعليهم حزناً كبيراً، وصبر على ما أصابه ﷺ فيهم.

صبره ﷺ في مرضه: تعرض ﷺ للمرض في حياته أكثر من مرة. وكان صابراً محتسباً مع أنه يتألم أكثر من غيره ﷺ. ولعل من أشد ما تعرض له مرضه ﷺ قبل وفاته، وما نقل من أخباره، تدل على صبره العظيم، وتصرفه وسلوكه إبان ذلك المرض المؤلم.

ففي أواخر شهر صفر وقبل وفاته ﷺ بخمسة وعشرين يوماً تقريباً بدأت شكوى رسول الله ﷺ. وكان صابراً محتسباً لا يشتكي، لكن مناسبة أظهرت شكواه. تقول عائشة ﷺ زوج النبي ﷺ: ((رجع إلي النبي ﷺ من البقيع فوجدني وأنا أجد صداً وأنا أقول: وا رأساه، قال: بل أنا والله يا عائشة وا رأساه،^(٥) قالت: ثم قال: وما ضرك لو ميت قبلي فغسلتك

(١) الواقدي، المغازي، ج ١/٢٩٣؛ الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج ٤/٣٢٦.

(٢) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب من قتل من المسلمين يوم أحد منهم ... ومصعب بن عمير، ج ٥/٣٨ - ٣٩.

(٣) الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج ٤/٣٢٢.

(٤) انظر: صحيح البخاري (فتح الباري)، ج ١٥/٢٢٧؛ ابن إسحاق، السيرة، ص ٣١٣؛ الواقدي المغازي، ج ١/٢٩٧؛ الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج ٤/٣٢٥.

(٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المرض، باب قول المريض إني وجع أو وارأساه أو اشتد بي الوجع، ج ٧/٨؛ وانظر: الرواية الأخرى في كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ج ٥/١٤٢؛ وانظر: كتاب الأحكام، باب الاستخلاف، ج ٨/١٢٥؛ وانظر: الإمام أحمد في مسنده، ج ٦/٢٢٨.

وكفنتك ، وصليت عليك ودفنتك؟ قالت: قلت: والله لكأني بك لو قد فعلت ذلك لقد رجعت إلى بيتي فأعرست فيه ببعض نسائك قالت: فتبسم رسول الله ﷺ. وتتام به وجعه وهو يدور على نسائه ، حتى استعزَّ به وهو في بيت ميمونة فدعا نساءه ، فاستأذنهن في أن يمرض في بيتي ، فأذن له)).^(١)

ولما اشتدَّ عليه المرض ﷺ كان يسأل: ((أين أنا غداً أين أنا غداً يريد يوم عائشة ﷺ ، فأذنَّ له أزواجه يكون حيث شاء ، فكان في بيت عائشة ﷺ حتى مات عندها)).^(٢) وتوضح بعض الروايات كيفية انتقاله ﷺ للتمريض في بيت عائشة.^(٣)

وقد نقلت لنا أم المؤمنين عائشة ﷺ بكل صدق وأمانة موقفاً يبين مكانة فاطمة ﷺ من رسول الله ﷺ ، وما خصها به من علم لم يعطه أحداً قالت: ((أقبلت فاطمة تمشي كان مشيتها مشي النبي ﷺ ، فقال النبي ﷺ : مرحباً بابنتي ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله ، ثم أسر إليها حديثاً فبكت. فقلت لها: لم تبكين؟ ثم أسر إليها حديثاً فضحكت. فقلت: ما رأيت كالיום فرحاً أقرب من حزن. فسألتهما عما قال؟ فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ ، حتى قبض النبي ﷺ فسألتهما. فقالت: أسر إلي أن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة ، وإنه عارضني العام مرتين ، ولا أراه إلا حضر أجلي ، وإنك أول أهل بيتي لحاقاً بي فبكيت. فقال: أما ترضين أن

(١) انظر: البخاري في صحيحه ، كتاب المغازي باب مرض النبي ﷺ ووفاته ، ج ٥/١٣٩ - ١٤٠. والآية رقم ٣٠ من سورة البقرة؛

ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج ٤/٦٤٣؛ وانظر: البخاري في صحيحه ، ح برقم: ٤٤٤٢؛ وانظر الإمام أحمد في مسنده ، ج ٦/٢٢٨.

(٢) من حديث البخاري في صحيحه ، باب مرض النبي ﷺ ووفاته ، ج ٥/١٤٢.

(٣) انظر: رواية البخاري في صحيحه ، كتاب المغازي ، باب مرض النبي ﷺ ووفاته ، ج ٥/١٣٨.

تكوني سيدة نساء أهل الجنة أو نساء المؤمنين؟ فضحكت لذلك)).^(١)

ومن المواقف الأخرى الخاصة بفاطمة ؓ أنه لما ثقل النبي ﷺ قالت فاطمة ؓ: (واكرب أباه، فقال ﷺ: "ليس على أبيك كرب بعد اليوم").^(٢)

وحينما زاد عليه المرض ﷺ كان يصعب عليه الكلام. وقد ثبت عن أسامة بن زيد ؓ قال: ((لما ثقل رسول الله ﷺ هبطت وهبط الناس بالمدينة فدخلت على رسول الله ﷺ وقد أصمت فلم يتكلم، فجعل رسول الله ﷺ يضع يديه على ويرفعهما فأعرف أنه يدعو لي)).^(٣)

وعن عبد الله بن مسعود ؓ قال: ((دخلت على رسول الله ﷺ وهو يوعك فمسسته بيدي فقلت يا رسول الله: إنك لتوعك وعكاً شديداً، فقال رسول الله ﷺ: أجل إني أوعك كما يوعك رجلان منكم. قال: فقلت: ذلك أن لك أجرين؟ فقال ﷺ: أجل، ثم قال ﷺ: ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه إلا حط الله به سيئاته كما تحط الشجرة ورقها)).^(٤)

وقد اجتمع عليه ﷺ أهل بيته وقد اشتدّ به الوجع،^(٥) فتشاوروا فيما

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الأنبياء، وانظر: البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ج ٤ / ١٨٣؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة ؓ، باب فضائل فاطمة ؓ، بنت النبي ﷺ، ج ٧ / ١٤٢، ١٤٣؛ والترمذي في سننه، كتاب المناقب، ح برقم: ٣٩٦٤.

(٢) من حديث البخاري في صحيحه، ج ٥ / ١٤٤.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤ / ٦٥١؛ رواه الترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب مناقب أسامة بن زيد ؓ، ج ٥ / ٦٧٧، ح برقم: ٣٨١٧؛ ورواه أحمد في مسنده، ج ٥ / ٢٠١، ح برقم: ٢١٢٤٨.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المرضى والطب، باب وضع اليد على المريض، ج ٧ / ٦، ٧، وأيضاً كتاب المرضى والطب، باب أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأول فالأول، ج ٧ / ٣.

(٥) انظر: أحمد جاد، وفاة الحبيب، ص ٦٤.

بينهم، فقرروا أن يلدوه بدواء جيء به من الحبشة (أي يدخل دواء في جانب فمه) وهو دواء خاص بذات الجنب، فأشار إليهم ﷺ أن لا يفعلوا ذلك، فقالوا كراهية المريض للدواء، فأمر رسول الله ﷺ أن يُلدَّ كل من شهد ذلك لا يبقى أحد في البيت إلا لُدَّ وأنا أنظر إليه إلا العباس، فإنه لم يشهدكم،^(١) وقد أراد رسول الله ﷺ القصاص منهم تطهيراً لهم، فالخطأ في حقه أعظم من غيره، خشية أن يأتوا يوم القيامة ويحاسبوا على فعل عصوا فيه رسول الله ﷺ فكان حريصاً على التكفير عنهم بالقصاص رحمة بهم، لا انتقاماً كما يظن البعض.^(٢)

كما ثبت أنه حين أشدَّ عليه وجعه قال ﷺ: ((أهريقوا عليّ من سبع قرب لم تحل أوكيتهن لعلّي أعهد إلى الناس، فأجلسناه في مخضب لحفصة زوج النبي ﷺ، ثم طفقنا نصب عليه من تلك القرب، حتى طفق يشير إلينا بيده أن قد فعلتْ قالت: ثم خرج إلى الناس فصلّى لهم وخطبهم)).^(٣)

كما ثبت عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ((لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم كشفها عن وجهه)).^(٤)

وكان من سنته ﷺ أن ينفث على نفسه في صحته ومرضه ﷺ. وقد ورد عن عائشة رضي الله عنها: ((أنّ رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى نفث على نفسه بالمعوذات ومسح عنه بيده، فلما اشتكى وجعه الذي توفّي فيه طفقت أنفث

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ج ٥/١٤٣.

(٢) انظر الزرقاني، المواهب اللدانية بالمنح المحمدية، ج ٣/٣٧٩.

وانظر كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين)، القسم الرابع، (وفاة النبي ﷺ).

(٣) من حديث البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء، باب الغسل والوضوء في المخضب والقح والخشب والحجارة، ج ١/٥٧.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب الصلاة في البيعة، ج ١/١١٢.

على نفسه بالمعوذات التي كان ينفث ، وامسح بيد النبي ﷺ عنه)).^(١)

وقد ورد أنه ﷺ كان يشتكي من السم الذي أكله في شاة اليهودية ، في الطعام الذي صنعه لرسول الله ﷺ في خيبر ، وأرادت به قتله ﷺ . فقد ورد عن أم المؤمنين عائشة ؓ قالت: ((كان رسول الله ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه: يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر أو إن وجدت انقطاع أبهري في ذلك السم)).^(٢)

وفي الأيام الأخيرة اشتدّ الألم برسول الله ﷺ . وكان يجتمع عنده أهل بيته وخاصة أصحابه للسلام والاطمئنان عليه . وكان من لم يدخل عليه يسأل من دخل عليه ، وأن علياً ؓ خرج من عند رسول الله ﷺ في وجعه الذي توفي فيه فقال الناس: يا أبا حسن كيف أصبح رسول الله ﷺ قال: أصبح بحمد الله بارئاً فأخذ بيده العباس ؓ فقال: أنت ، والله بعد الثلاث عبد العصا ، والله إني لأرى رسول الله ﷺ سيتوفى في وجعه ، وإني لأعرف في وجوه بني عبد المطلب الموت إلى آخره.^(٣)

وهذه الرواية تدل على إحساس العباس ؓ عم النبي ﷺ بحال النبي وشدة مرضه ودنو أجله.

وقد ورد عن عائشة ؓ قالت: ((ثقل برسول الله ﷺ وجعه فقال: أصلى الناس؟ قلنا: لا . هم ينتظرونك يا رسول الله فقال: صبوا ماء في المخضب ففعلنا ، قالت فأغتسل ثم ذهب لينوء فأغمي عليه ثم أفاق فقال: أصلى

(١) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب المغازي ، باب مرض النبي ﷺ ووفاته ، ج ٥/ ١٣٩ .

(٢) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب المغازي ، باب مرض النبي ﷺ ووفاته ، ج ٥/ ١٣٧ .

(٣) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب المغازي ، باب مرض النبي ﷺ ووفاته ، ج ٥/ ١٤٠ ، ١٤١ ؛

وانظر: ابن هشام ، السيرة النبوية ، ص ٦٥٤ .

الناس؟ قلنا: لا هم ينتظرونك يا رسول الله والناس عكوفاً في المسجد ينتظرون رسول الله ﷺ لصلاة العشاء، فأرسل رسول الله ﷺ إلى أبي بكر ﷺ ليصلي بالناس، فكان أبو بكر ﷺ رجلاً رقيقاً، فصلى بهم أبو بكر ﷺ تلك الأيام)).^(١)

كان رسول الله ﷺ قد انقطع عن الصلاة بالمسلمين قبل الوفاة ثلاثة أيام. الجمعة والسبت والأحد مع أن حجرته تعد داخل المسجد وفي طرفه، وفي صبيحة يوم الاثنين الذي توفي فيه رسول الله ﷺ حرص رسول الله ﷺ على الاطمئنان على المسلمين ووحدتهم واصطفافهم للصلاة جماعة، خلف أبي بكر الصديق. فقد روى البخاري عن أنس بن مالك ﷺ قال: ((إن المسلمين بينا هم في صلاة الفجر من يوم الاثنين وأبو بكر يصلي لهم، لم يفاجئهم إلا رسول الله ﷺ قد كشف ستر حجرة عائشة، فنظر إليهم وهم في صفوف الصلاة، ثم تبسم يضحك، فنكص أبو بكر على عقبه ليصل الصف، وظن أن رسول الله ﷺ يريد أن يخرج إلى الصلاة، قال أنس: وهم المسلمون أن يفتتنوا في صلاتهم فرحاً برسول الله ﷺ فأشار إليهم رسول الله ﷺ بيده ﷺ أن أتموا صلاتكم، ثم دخل الحجرة وأرخى الستر)).^(٢) ولم يستطع الخروج للصلاة معهم.

ولعل حديث أنس عن حال فاطمة ﷺ، بنت النبي ﷺ مع أبيها كان يوم وفاته ﷺ: (لما ثقل النبي ﷺ جعل يتغشاه، فقالت فاطمة ﷺ: وا كرب أباه،

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤/٦٥٢؛ وعثمان الخميس، كنوز السنة، ص ٤٢١.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ج ٥/١٤١؛ وانظر:

ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤/٦٥٣.

فقال لها ﷺ: "ليس على أبيك كرب بعد اليوم".^(١)

ورواية أم المؤمنين عائشة ؓ وابن عباس ؓ في صحيح البخاري، قالوا: (لما نزلت برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه فإذا اغتم كشفها عن وجهه وهو كذلك يقول: "لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد")،^(٢) يحذر ما صنعوا، كما أكدت عائشة ؓ في رواية أخرى قالت: (لولا ذلك لأبرز قبره خشية أن يتخذ مسجداً).^(٣)

وقبل وفاته ﷺ أخذته بحة، وفهمت عائشة ؓ ما كان يقول، تقول ﷺ: (فسمعت النبي ﷺ في مرضه الذي مات فيه وأخذته بحة، يقول: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء])، قالت: فظننت خيراً حينئذ).^(٤)

وكانت وفاته ﷺ يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول من السنة الحادية عشر من الهجرة الموافق ٨ حزيران ٦٣٣م وذلك في الضحى قبل منتصف النهار في فصل الصيف.^(٥)

(١) من رواية البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ج ٥/١٤٤.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب الصلاة في البيعة، ج ١/١١٢.

(٣) من رواية البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور، ج ٢/٩٠، ٩١، ح برقم: ٤٤٤١.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ، ج ٥/١٣٨ ح برقم: ٤٤٣٥؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة ؓ، باب في فضل عائشة ؓ، ج ٧/١٣٧.

(٥) أبو تراب الظاهري، ذهول العقول بوفاة الرسول ﷺ، ص ٤٢؛ و عبد السلام الترماني، أزمنة التاريخ الإسلامي، ص ٢٩.

قالت عائشة: فلما نزل برسول الله ﷺ ورأسه على فخذي، غُشي عليه ساعة ثم أفاق، فأشخص بصره إلى السقف ثم قال: "اللهم الرفيق الأعلى".^(١) قالت عائشة: إداً لا يختارنا.

وفي رواية لعائشة رضي الله عنها أنه كان: (بين يديه ركوة أو شيء فيه ماء فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه يقول: "لا إله إلا الله إن للموت سكرات"، ثم نصب يده فيقول: "في الرفيق الأعلى" حتى قبض ومالت يده).^(٢)

(١) رواه البخاري في صحيحه، باب من تسوك بسواك غيره، ح برقم: ٤٤٦٢؛ وانظر: ح برقم: ٨٩٠؛ وابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤/٦٥٥؛ انظر البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب آخر ما تكلم به النبي ﷺ، ج ٥/١٤٤.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ج ٥/١٤١، ١٤٢؛ ح برقم: ٤٤٤٩؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤/٦٥٥.

حلمه وعفوه ﷺ

الحلم: مَصْدَرُ حَلَمَ فَلَانَ أَيَّ صَارَ حَلِيمًا، وَيَدُلُّ عَلَى تَرْكِ الْعَجَلَةِ، يُقَالُ الْحِلْمُ خِلَافُ الطَّيْشِ، وَيَعْنِي الْأَنَاءُ وَالْعَقْلُ وعدم الاستفزاز والبعد عن الغضب والطمأنينة، وترك الانتقام واحتمال الأذى مع القدرة وضبط النفس عِنْدَ هَيْجَانِ الْغَضَبِ، مع الرزانة والتحمل، مع القدرة على الانتصار، وهو من أشرف الأخلاق وأعزها. ^(١)

والحلم من صفات الكمال لله ﷻ التي يحب أن يتصف بها عباده، ومن أسماء الله الحسنى [الحليم]. وحلمُ الله صفة تعني تأخيرهُ الْعُقُوبَةَ عَنِ الْمُسْتَحَقِّ لَهَا، وهو بعض من رحمته - سبحانه - فهو حَلِيمٌ بِعِبَادِهِ؛ لِأَنَّهُ يَعْفُو عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ وَيُمْهَلُهُمْ بَعْدَ الْمَعْصِيَةِ وَلَا يُعَاجِلُهُمْ بِالْعُقُوبَةِ وَالْإِنْتِقَامِ وَيَقْبَلُ تَوْبَتَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ. ^(٢)

قال - تعالى -: ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ الْقَوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ ﴿٥٦﴾ [المدثر]. ^(٣)

وقال - تعالى -: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٢٢٤﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ [البقرة]. ^(٤)

وقال - تعالى -: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج ١٢/ ١٤٦.

(٢) انظر: محمد إبراهيم الحمد، رسائل في العقيدة، الرياض: دار ابن خزيمة ١٤٢٣هـ، ص ١٨٩ - ٢٠١.

(٣) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/ ١٩٣٩.

(٤) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/ ٢٨٢.

مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ، وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ [البقرة: (١)]

وقال - تعالى -: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [البقرة: (٢)]

وقال - تعالى -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾﴾ [آل عمران: (٣)]

وقال - تعالى -: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ يُوْصِيْنَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ يُوْصَوْنَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَتْ رَجُلٌ يُوْرَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةً وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتُ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ يُوْصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [النساء: (٤)]

وقال - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدِّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنْزَلُ الْقُرْءَانُ تَبَدَّدَتْ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾ [المائدة: (٥)]

وقال - تعالى -: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء: (٦)]

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/٣٠٠.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/٣٢٧.

(٣) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/٤١١.

(٤) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/٤٤٩.

(٥) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/٦٦١.

(٦) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/١١٢٠.

وقال - تعالى -: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ٥٨﴾ لِيَدْخُلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ، وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ [الحج: ١].

وقال - تعالى -: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ٦٠﴾ [الحج: ٢].

وقال - تعالى -: ﴿تُرْجَى مِنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُقْوَى إِلَيْكَ مِنْ تَشَاءُ وَمِنْ أَبْغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقْرَءَ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا ءَانَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ٥١﴾ [الأحزاب: ٣].

وقال - تعالى -: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ٤١﴾ [فاطر: ٤].

وقال - تعالى -: ﴿إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ١٧﴾ [التغابن: ٥].

و الحلم من صفة الأنبياء ﷺ. قال - تعالى - عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَمَا كَانَتْ أَسْتَفْقَارًا لِبَرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ١١٤﴾ [التوبة: ٦].

وقال - تعالى -: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجْدِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴿٧٥﴾ [هود: ٧].

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/ ١٢٨٤.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/ ١٢٨٤.

(٣) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/ ١٥١١.

(٤) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/ ١٥٦٠.

(٥) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/ ١٨٨٢.

(٦) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/ ٩١١.

(٧) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/ ٩٦١.

وقد وصف الأنبياء بالحلم ومنهم شعيب عليه السلام، قال - تعالى -: ﴿قَالُوا يَشْعِيبُ أَسْلَوْنَا كَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾ [٨٧] ﴿١﴾ [هود].

كما وصف نبي الله إسماعيل عليه السلام، بالحلم، كما قال - تعالى -: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَّهِدِينَ ﴾ [٩٩] ﴿٢﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ ﴿٣﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴿٤﴾ [الصافات].

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: ((كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم يَحْكِي: نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدَمَوْهُ، فَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ: رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)). (٣)

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رضي الله عنه فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ - تَعَالَى -: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ [٦٣] ﴿٥﴾ [الفرقان]: (حُلَمَاءُ إِنْ جُهِلَ عَلَيْهِمْ لَمْ يَجْهَلُوا). (٤)

وَاللَّهُ صلى الله عليه وسلم بِحِلْمِهِ يُؤَخِّرُ الْمُسْتَحْقِقِينَ لِلْعُقُوبَةِ، قَالَ - تَعَالَى -: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَخْرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [٦١] ﴿٦﴾ [النحل]. (٥)

وَقَالَ - تَعَالَى -: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَحْدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيَلًا ﴾ [٥٨] ﴿٧﴾ [الكهف]. (٦)

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/ ٩٦٥.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/ ١٥٨٩.

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد، ج ٥/ ١٧٩.

وانظر: رواية البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب ما أصاب النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد، ج ٣٧/ ٥.

(٤) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/ ١٣٦٣.

(٥) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/ ١٠٦٥.

(٦) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/ ١١٦٢.

وقال - تعالى -: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ ﴿٤٥﴾ [فاطر: (١)]

ومما ورد في الثناء على العلماء والعاقبة لهم ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: ((إِنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصْلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسَيِّئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ. فَقَالَ: لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمْ الْمَلَّ وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ)). (٢)

وكان رضي الله عنه يراقب أصحابه، ويثني على العلماء منهم، فقد قال رضي الله عنه لأشج عبد القيس: ((إِنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْحِلْمُ وَالْأَنَاءُ)). (٣)

وإن كان الثناء على أشج عبد القيس لكن فيه إشارة واضحة لحب الله للحلم الذي يتصف به الأشج.

ويؤيد ذلك ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((التَّائِي مِنَ اللَّهِ، وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَمَا أَحَدٌ أَكْثَرُ مَعَاذِيرَ مِنَ اللَّهِ، وَمَا مِنْ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْحِلْمِ)). (٤)

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/ ١٥٦١.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحمة وتحريم قطيعتها، ج ٨/ ٨.

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله وشرائع الدين والدعاء إليه، ج ٣٦/ ١؛ ورواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب وفد عبد القيس، ج ١١٦/ ٥ - ١١٧؛ ورواه الترمذي في سننه، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في التائي والعجلة، ج ٣٦٦/ ٤، ح برقم: ٢٠١١ وقال: حسن صحيح غريب.

(٤) رواه أبو يعلى في مسنده، سعيد بن سنان عن أنس، ج ١٨٨/ ٦، ح برقم: ٤٢٥٦؛

والهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج ١٩/ ٨، وله شاهد من حديث سهل بن سعد عند الترمذي رقم (٢).

كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((السَّمْتُ الْحَسَنُ وَالتَّوَدُّ وَالْاِقْتِصَادُ جُزْءٌ مِنْ أَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوَّةِ)).^(١)

وَمِنَ الْحِلْمِ التَّوَدُّ وَعَدَمُ الْغَضَبِ، قَالَ ﷺ: ((لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ))^(٢) وَقَدْ ابْتَلَى الرَّسُولُ ﷺ وَالْمُؤْمِنُونَ مَعَهُ بِأَذَى الْمَشْرِكِينَ، وَكَانَ يَحْلُمُونَ وَيَعْفُونَ، قَالَ - تَعَالَى -: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَنِ الَّذِينَ أُشْرِكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦]^(٣)

وَقَالَ - تَعَالَى -: ﴿وَذَكَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتُوا وَأَصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٩]^(٤)

وَكَانَ ﷺ حَلِيمًا رَفِيقًا تَمَثَّلَ ذَلِكَ فِيمَا وَرَدَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: ((كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظٌ الْحَاشِيَةُ فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَبَذَهُ بِرِدَائِهِ جَبَذَةً شَدِيدَةً، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ رَسُولِ اللَّهِ قَدْ أَثَرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الْبُرْدِ مِنْ شِدَّةِ جَبَذَتِهِ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ مَرُّ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ثُمَّ ضَحَكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ)).^(٥)

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ الْبِرِّ وَالصَّلَةِ وَالْأَدَابِ، بَابُ مَنْ يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ، ج ٣٠/٨؛ وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ الْأَدَبِ، بَابُ الْحَذَرِ مِنَ الْغَضَبِ، ج ٩٩/٧؛ وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ فِي سُنَنِهِ، كِتَابُ الْبِرِّ وَالصَّلَةِ، بَابُ فِي كَظْمِ الْغَيْظِ، ج ٣٧٢/٤، ح بَرَقَم: ٢٠٢١. وَقَالَ: حَسَنٌ غَرِيبٌ.

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ الْأَدَبِ، بَابُ الْحَذَرِ مِنَ الْغَضَبِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٧]، ج ٩٩/٧.

(٣) انْظُرْ: ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ، ج ٤٢٦/١.

(٤) انْظُرْ: ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ، ج ١٨٤/١.

(٥) انْظُرْ: الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ اللَّبَاسِ، بَابُ الْبُرُودِ وَالْحَبْرَةِ وَالشَّمْلَةِ، ج ٤٠/٧؛ وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ، كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابُ إِعْطَاءِ مَنْ سَأَلَ بِفَحْشٍ وَغُلْظَةٍ، ج ١٠٣/٣.

والأمثلة في حلمه ﷺ ما روي عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ : ((هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمٍ أُحُدٍ؟ قَالَ: لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدُّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعُقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلِ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ فَأَنْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِ، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ التَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظْلَمَتْنِي فَتَنْظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جَبْرِيلُ، فَنَادَانِي، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ. فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ فَقَالَ: ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنَّ شِئْتَ أَنْ أُطَبِّقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا)).^(١)

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: ((اسْتَأْذَنَ رَهْطٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالُوا: السَّأَمُ عَلَيْكَ. فَقُلْتُ: بَلْ عَلَيْكُمُ السَّأَمُ وَاللَّعْنَةُ، فَقَالَ: يَا عَائِشَةُ: إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ. قُلْتُ: أَوْ لَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ: قُلْتُ: عَلَيْكُمْ)).^(٢)

كما شهدت أم المؤمنين له ﷺ فيما يدل على حلمه. قالت: (ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما، ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه، إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها).^(٣)

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه، ج ٤/٨٣؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين، ج ٥/١٨١.

(٢) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله، ج ٧/٨٠؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، ج ٨/٢٢.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله، ج ٧/٨٠؛ رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب الرفق، ج ٨/٢٢.

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنه: (أن رسول الله ﷺ ركب على حمار عليه قطيفة فدكية، وأسامه وراءه، يعود سعد بن عبادَة في بني حارث بن الخزرج قبل وقعة بدر، فسارا حتى مرا بمجلس فيه عبد الله بن أبي ابن سلول وذلك قبل أن يسلم عبد الله بن أبي، فإذا في المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود. وفي المسلمين عبد الله بن رواحة. فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر ابن أبي أنفه بردائه وقال: لا تغبروا علينا فسلم رسول الله ﷺ عليهم ثم وقف فنزل، فدعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن. فقال له عبد الله بن أبي ابن سلول: أيها المرء لا أحسن مما تقول إن كان حقاً فلا تؤذنا به في مجالسنا، فمن جاءك فاقصص عليه. قال عبد الله بن رواحة: بلى يا رسول الله فاغشنا في مجالسنا فإننا نحب ذلك فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتثأرون. فلم يزل رسول الله ﷺ حتى سكتوا، ثم ركب رسول الله ﷺ دابته فسار حتى دخل على سعد بن عبادَة. فقال رسول الله ﷺ أي سعد ألم تسمع ما قال أبو حباب؟ يريد عبد الله بن أبي قال كذا وكذا؟ فقال سعد بن عبادَة: أي رسول الله، بأبي أنت اعف عنه واصفح، فوالذي أنزل عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق الذي أنزل عليك. ولقد اصطاح أهل هذه البحرة على أن يتوجه ويعصبوه بالعصاة، فلما رد الله ذلك بالحق الذي أعطاك شرق بذلك، فذلك فعل به ما رأيت فغفا عنه رسول الله ﷺ).^(١)

ولعل هذا الموقف وأمثاله ينطبق عليه ما أمر الله ﷻ نبيه ﷺ في قوله - تعالى -: ﴿ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٩].^(٢)

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب كنية المشرك، ج ٧/١٢٠.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/١٦٨٧.

وكان رسول الله ﷺ وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله ويصبرون على الأذى قال الله - تعالى -: ﴿لَتُبْلَوْنَ فِيْ أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيْرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران] وقال - تعالى -: ﴿وَدَّ كَثِيْرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بُنِنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاغْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ﴾ [البقرة]. فكان رسول الله ﷺ يتأول في العفو عنهم ما أمره الله به ، حتى أذن له فيهم. فلما غزا رسول الله ﷺ بدرًا ، فقتل الله بها من قتل من صناديد الكفار وسادة قريش فقتل رسول الله ﷺ وأصحابه منصورين غانمين معهم أسارى من صناديد الكفار وسادة قريش. قال ابن أبي ابن سلول ومن معه من المشركين عبدة الأوثان هذا أمر قد توجه فبايعوا رسول الله ﷺ على الإسلام فأسلموا.^(١)

وحلمه ﷺ وعفوه عن حاطب بن أبي بلتعة حينما كاتب المشركين يخبرهم أن الرسول ﷺ وجيشه في طريقهم لفتح مكة ، فقال عنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وطلب الإذن بقتله وقال إنه منافق فقال ﷺ : ((وما يدريك لعل الله قد اطلع إلى أهل بدر فقال قد غفرت لكم)).^(٢)

ومن أشهر أقوال الصحابة في الحلم قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه : (لَيْسَ الْخَيْرُ أَنْ يَكْثُرَ مَالُكَ وَوَلَدُكَ ، وَلَكِنَّ الْخَيْرَ أَنْ يَكْثُرَ عِلْمُكَ وَيَعْظُمَ حِلْمُكَ ، وَأَنْ لَا تُبَاهِيَ النَّاسَ بِعِبَادَةِ اللَّهِ ، وَإِذَا أَحْسَنْتَ حَمَدَتِ اللَّهُ تَعَالَى ، وَإِذَا أَسَأْتَ

(١) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب الأدب ، باب كنية المشرك ، ج ٧/ ١٢٠.

(٢) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب المغازي ، باب فضل من شهد بدرًا ، ج ٩/ ٥ ، ١٠.

اسْتَغْفَرَتِ اللَّهُ تَعَالَى. ^(١) وَقَالَ ﷻ: (إِنَّ أَوَّلَ مَا عَوَّضَ الْحَلِيمَ مِنْ حِلْمِهِ أَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ أَعْوَانُهُ عَلَى الْجَاهِلِ). ^(٢)

قال - تعالى -: ﴿فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ (١٩) ﴿النساء﴾. ^(٣)

وقال - تعالى -: ﴿إِنْ يُبْذَوْا خَيْرًا أَوْ تُخَفَّوْهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ (١٤٩) ﴿النساء﴾. ^(٤)

وقال - تعالى -: ﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَقَهُمْ لَعَنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَلْسِيَةً يَحِرُّونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٣) ﴿المائدة﴾. ^(٥)

وقال - تعالى -: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ (٨٥) ﴿الحجر﴾. ^(٦)

وقال - تعالى -: ﴿وَلَا يَأْتِلْ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢٢) ﴿النور﴾. ^(٧)

(١) الغزالي، إحياء علوم الدين، ج ٣/٨.

(٢) الغزالي، إحياء علوم الدين، ج ٣/٨.

(٣) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/٥٢٢.

(٤) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/٥٤٦.

(٥) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/٥٩٦.

(٦) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/١٠٥١.

(٧) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/١٣٢٢.

وقال - تعالى - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَدِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿١٤﴾ [التغابن].^(١)

وجاءت صفات رسول الله في القرآن، قال - تعالى - ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَأْمُرْ بِهِمْ لَبِثًا أَجَلٌ قَلِيلٌ لَعَلَّكُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ﴿١٥١﴾ [آل عمران].^(٢)

لرسول الله ﷺ مواقف كثيرة كلها تسامح وعفو عن مقدرة. وقد اختبر حلمه بعض يهود، الذين أسلموا، قبل إسلامه؛ ليتحققوا من صفاته التي عرفوها ومنها الحلم، كما في قصة زيد بن سعة اليهودي قبل أن يسلم.

فقد تحقق، وهو من أحبار اليهود، من عدد من علامات النبوة في رسول الله ﷺ. يقول زيد بن سعة رضي الله عنه: (لم يبق من علامات النبوة إلا وقد عرفته في وجهه ﷺ حين نظرت إليه، إلا اثنتين لم أخبرهما فيه: حلمه يسبق جهله، ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حِلماً. قال زيد: فكنت أتلطف لأن أخالطه، فأعرف حلمه وجهله، فابتعت منه تمرًا إلى أجل فلما كان قبل مجيء الأجل بيومين أو ثلاثة، أتيتُ محمدًا ﷺ فأخذت بمجامع قميصه، ورداؤه على عنقه، ثم قلت: ألا تقضين يا محمد حقي؟ فوالله إنكم يا بني عبد المطلب قوم مُطَّل.

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/ ١٨٨٢.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/ ٤١٣.

فنظر إليه عمر رضي الله عنه وقال: أي عدو الله تقول لرسول الله ما أسمع؟ ... قال: ورسول الله ﷺ ينظر إلى عمر بسكون وتؤدّة و تبسّم، ثم قال ﷺ: أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا منك يا عمر: أن تأمرني بحسن الأداء، وتأمره بحسن التّباعة، ثم قال ﷺ: "اذهب يا عمر فاقضيه حقّه وزدّه عشرين صاعاً مكان ما رُعتّه" ففعل ﷺ. ثم قال زيد لعمر ما حملني على ما رأيتني صنعت إلا أنّي كنت رأيت صفاته التي في التوراة كلّها إلا الحلم، فاخترت حلمه اليوم، فوجدته على وصف التوراة، وإنّي أشهدك أن هذا التمر وشطر مالي إلى فقراء المسلمين، وأسلم زيد وأهل بيته).^(١)

* * * * *

(١) انظر: ابن حجر، الإصابة، ج ١/٥٦٦؛ وانظر الرواية عند: ابن حبان في صحيحه، ج ١/٥٢١، وغيرهم بأسانيدهم، وضعف بعضهم القصة. وتعرض لها الذهبي في سير أعلام النبلاء، ج ١/٤٤٤.

الكرم والسخاء في حياة النبي ﷺ:

الكرم والسخاء والجود: كلمات مترادفة تعني العطاء والبذل وسخاء النفس وجودها، وهي ضد البخل واللؤم. الكرم في اللغة يعني: بذل الشيء وإعطائه والجود به. والبذل نقيض المنع، وكلُّ مَنْ طابت نفسه لشيء فهو باذلٌ. ورجلٌ بذالٌ، وبذُول: إذا كَثُرَ بذله. والكريم هو من يبذل بطيب نفس، والكرم يكون بالمال والأخلاق والمساعدة عموماً والصفات الحسنة. وهي فضيلة اشتهرت بين الناس، واتصف بها بعض العرب في الجاهلية.^(١)

والكريم من صفات الله وأسمائه الحسنى - تبارك وتعالى - التي اتصف بها ﷺ. ^(٢) وقد وردت تلك الصفة لله ﷻ في عدة مواضع من كتاب الله تعالى، منها قوله ﷻ: ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الانفطار].^(٣) وقال تعالى: ﴿أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ [العلق].^(٤)

وقال - تعالى -: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَانِيكَ بِهِ، قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ، قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌ كَرِيمٌ﴾ [النمل].^(٥)

وعرشه كريم ﷻ، قال ﷻ: ﴿فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون].^(٦)

(١) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ١٢/٥١٠؛

الزبيري، تاج العروس، ج ٩/٤١.

(٢) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ١٢/٥١١؛

الزبيري، تاج العروس، ج ٩/٤١.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٨٦٩.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/٢٠١١.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٣٠٨.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٣٩٦ - ١٣٩٧.

وهو يكرم من يشاء من خلقه. قال - تعالى - : ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَنُ إِذَا مَا أَبْلَلَهُ رَبُّهُ فَأَكَرَّمَهُ، وَنَعَّمَهُ، فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ [الفجر: (١)]

وتأكدت صفة الكرم عند الله ﷻ في أحاديث عن النبي ﷺ فقد روي عن سلمان الفارسي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((إن الله حيي كريم، يستحي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفرا خائبتين)).^(٢)

كما روى سهل بن سعد رضي الله عنه قال ﷺ: ((إن الله كريم يحب الكرم، ويحب معالي الأخلاق، ويكره سفاسفها)).^(٣)

وقد وصف الله نبيه موسى ﷺ بالكرم. قال - تعالى - : ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ [الدخان: (٤)]

ووصف جبريل ﷺ بأنه كريم، قال - تعالى - : ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [الحاقة: (٥)] وفي موضع آخر قال - تعالى - : ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [التكوير: (٦)]

ووصف الملائكة في موضع آخر بالكرم. قال - تعالى - : ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ، بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: (٧)]

قال - تعالى - : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: (٨)]

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٩٩٤.

(٢) رواه الترمذي في سننه، ج ٥/ ٥٧٥، ح برقم: ٣٥٥٦؛ وأبو داود في سننه، ص ٢٦٥، ح برقم: ١٤٨٨.

(٣) رواه الطبراني في السنن الكبير، ج ٣/ ٥٢١، ح برقم: ٥٧٩٥.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٦٩١.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٩١٦.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٩٦٦.

(٧) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٢٣٥.

(٨) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١١٢٧ - ١١٢٨.

قال - تعالى -: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُنِ اللَّهُ فَمَأَلَهُ، مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ۝﴾ [الحج: ١٨].^(١)

وأكرم الخلق على الله هو رسول الله ﷺ، كما ورد عن أنس بن مالك ؓ قال ﷺ: ((أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا، وأنا خطيبهم إذا وفدوا، وأنا مبشرهم إذا أيسوا، لواء الحمد يومئذ بيدي، وأنا أكرم ولد آدم على ربي، ولا فخر)).^(٢)

والله وعد المؤمنين بالتكريم في الجنة. قال - تعالى -: ﴿أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ ۝﴾ [المعارج: ٣٥].^(٣)

وكرم الله على عباده عظيم، يعرفها العقلاء منهم، قال - تعالى -: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْنَلَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ، وَنَعَّمَهُ، فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ۝﴾ [الفجر: ١٥].^(٤)

ومر أنبياء الله بإكرام من الناس، ومنهم يوسف ؑ. قال - تعالى -: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ، مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝﴾ [يوسف: ٢١].^(٥)

وقد كانت نساء مصر تصف يوسف ؑ بالملائكة الكرام. قال - تعالى -: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٢٦٥ - ١٢٦٦.

(٢) رواه الترمذي في سننه، ج ٥/ ٥٨٥، ح برقم: ٣٦١٠؛

انظر: مسند أبي يعلى الموصلي، ج ١/ ٩٤ - ٩٧، ح برقم: ١٥٧ حرف الخاء؛ والدارمي في سننه، ص ٢٦.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٩١٩ - ١٩٢٠.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٩٩٤.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٩٧٩ - ٩٨٠.

وَقَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيْنَ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ [يوسف: (١)]

وقد كرم الله آدم ﷺ مما أثار ابليس لعنه الله. قال - تعالى - : ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: (٢)]

وأكرم الله بعض عباده كما قال عن مؤمن القرية، قال - تعالى - : ﴿ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَلَيْتُ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ [يس: (٣)]

وقال - تعالى - : ﴿ فَوَكَهَهُمْ مُكْرِمُونَ ﴾ [الصافات: (٤)] منزهون مكرمون.

والله ﷻ بين من يستحقون الكرم من الله، قال - تعالى - : ﴿ يَتَأَيَّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: (٥)]

والضيوف أولى بالإكرام من غيرهم. وكان إبراهيم ﷺ مثلاً للمؤمنين في إكرام الضيف، قال - تعالى - : ﴿ وَنَبِّئُهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [الحجر: (٦)]
وتفصل الآيات إكرام إبراهيم للضيوف. قال - تعالى - : ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ [٢٤] إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٣٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٣٧﴾ [الذاريات: (٧)]

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٩٨٢ - ٩٨٣.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١١٢٦.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٥٦٦ - ١٥٦٧.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٥٨٣؛

ابن منظور، لسان العرب، ج ١٢/ ٥١٣.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٧٥١ - ١٧٥٢.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٠٤٩.

(٧) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٧٦٦.

وقال - تعالى -: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ﴾ ﴿٦١﴾ [هود: (١)]

ولوط ﷺ استقبل الضيوف وحاول قومه إيذاءهم. قال - تعالى -: ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمَنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَنْقُورُ هَؤُلَاءِ بِنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ ﴿٧٨﴾ [هود: (٢)]

ويستمر محاوراً لمن حاول الاعتداء على ضيوفه، قال - تعالى -: ﴿قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ﴾ ﴿٦٨﴾ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَوَلَمْ نَنهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٧٠﴾ [الحجر: (٣)]

وعن محاولتهم الاعتداء على ضيوفه. قال - تعالى -: ﴿وَلَقَدْ رَوَدُّهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرِ﴾ ﴿٣٧﴾ [القمر: (٤)]

وفي سورة الكهف ورد الحديث عن الضيافة. قال - تعالى -: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا آتَىٰ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ، قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ ﴿٧٧﴾ [الكهف: (٥)]

ولاشك أن أهل الصدقة من الكرام الذين يبذلون مع استحضار النية طلباً للمثوبة من الله، قال - تعالى -: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينِ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿١٣٤﴾ [آل عمران: (٦)]

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٩٦٠

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ٩٦٢.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٠٤٩.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٧٩١.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١١٦٧.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٤٠٠.

وقد أمر الله بإكرام اليتيم، قال - تعالى -: ﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ (١٧) [الفجر].^(١)

وقال رسول الله ﷺ: ((إن الله تعالى جواد يحب الجود ويحب معالي الأخلاق ويكره سفاسفها)).^(٢) وفي رواية: ((إن الله كريم يحب الكرماء جواد يحب الجود يحب معالي الأخلاق ويكره سفاسفها)).^(٣)

كان النَّبِيُّ ﷺ أَكْرَمَ الْخَلْقِ، وكان يُعْطِي عَطَاءً مَنْ لَا يَخْشَى الْفَقْرَ؛ فلا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يُعْطِيَ مِثْلَهُ. ومن ذلك أَنَّ الْخُمْسَ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ لَهُ مِنَ الْغَنِيمَةِ كان يَصْرِفُهُ فِي مَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ، ولا يَأْخُذُ مِنْهُ إِلَّا حَاجَتَهُ.^(٤)

كان ﷺ أجود النَّاسِ، وكان أجود ما يكون في رمضان، فهو أجود بالخير من الرِّيحِ المرسلة.^(٥)

عن أنسٍ رضي الله عنه. قال: ((ما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئاً إلا أعطاه، قال: فجاءه رجل فأعطاه غنماً بين جبلين، فرجع إلى قومه، فقال: يا قوم أسلموا، فإنَّ محمداً يعطي عطاءً لا يخشى الفاقة)).^(٦)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٩٩٤.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في، المصنف، ج ٩/ ١٠٠، ح برقم: ٦٦٦٨ ورقم: ١٠٨٤٠؛ أبو نعيم في، حلية الأولياء، ج ٥/ ٢٩.

(٣) انظر: الألباني في، صحيح الجامع، ج ١/ ٣٧٠، ح برقم: ١٨٠٠؛ صحيح؛ ورواه أبو نعيم في، حلية الأولياء، ج ٥/ ٢٩.

(٤) انظر: موقع <https://www.dorar.net/hadith>، الدرر السنية. بتاريخ ١٤٤٢/١/٧هـ.

(٥) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فيقول لا، ج ٧/ ٧٤.

(٦) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فيقول لا، ج ٧/ ٧٤.

وقال أبو هريرة رضي الله عنه قال ﷺ: ((لو كان لي مثل أحد ذهباً ما يسرني أن لا يمر علي ثلاث، وعندي منه شيء إلا شيء أرصده لدين)).^(١)

والرسول ﷺ يقدم بهذا النموذج المثل للقدوة الحسنة، لاسيما حينما نلاحظ أنه كان في عطاءاته الفعلية مطبّقاً لهذه الصورة القولية التي قالها، فسعادته ومسرته عظيمتان حينما كان يبذل كلّ ما عنده من مال.^(٢) ثمّ إنّه ﷺ يربّي المسلمين بقوله وفعله على خلق حبّ العطاء، إذ يريهم من نفسه أجمل صورة للعطاء وأكملها.^(٣)

وقد وضع البخاري في صحيحه في كتاب الأدب (باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل).^(٤)

وقد ورد أنه ﷺ قال: ((أحق ما يكرم الرجل به ابنته أو أخته)).^(٥)

وقد قال ﷺ: ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره. ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته. قيل: وما جائزته يا رسول الله؟ قال: يوم وليلة، والضيافة ثلاثة أيام، فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه. ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت)).^(٦)

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب ما أدي زكاته فليس بكنز، ج ٢/١١٢.

(٢) انظر: <https://www.dorar.net/hadith>، الدرر السنية. بتاريخ ١٤٤٢/١/٧هـ.

(٣) انظر: <https://www.dorar.net/hadith>، الدرر السنية. بتاريخ ١٤٤٢/١/٧هـ.

(٤) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء، وما يكره من البخل، ج ٧/٨٢.

(٥) رواه أبو داود في سننه، ص ٨٦٩، ح برقم: ٢١٢٩؛ وابن ماجه في سننه، ج ١/٦٢٨، ح برقم: ١٩٥٥؛ ورواه أحمد في مسنده، ج ٢/١٨٢.

(٦) رواه البخاري في صحيحه، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ج ٧/٧٩؛

كما قال ﷺ : ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت)).^(١)

وقد قال ﷺ : ((المؤمن غرّ كريم)).^(٢)

وعن جبير بن مطعم أنه ((بيننا هو مع رسول الله ﷺ ومعه الناس مقبلاً من حنين عِلَقَتْ رسول الله ﷺ الأعراب يسألونه حتى اضطرروه إلى سَمُرَةٍ، فَخُطِفَتْ رداءه، فوقف رسول الله ﷺ فقال: أعطوني ردائي، فلو كان عدد هذه العِضَاءِ نِعْماً لقسمته بينكم، ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذوباً ولا جباناً)).^(٣)

وكان ﷺ يُؤَثِّر على نفسه، فيعطي العطاء ويمضي عليه الشَّهْر والشَّهْرَان لا يُوقَد في بيته نارٌ.^(٤)

وكان كرمه ﷺ كرمًا في محله، ينفق المال لله وبالله، إمّا لفقير، أو محتاج، أو في سبيل الله، أو تأليفاً على الإسلام، أو تشريعاً للأمة، وغير ذلك.^(٥)

(١) انظر: مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف، ج ٤٨/١.

(٢) رواه أبو داود في سننه، ص ٨٩٦؛ والترمذي في سننه، ج ٤/٣٤٤، ح برقم: ١٩٦٤؛ وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج ٢/٦٠٦، ح برقم: ٩٣٥.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه، ج ٤/٦٠.

(٤) انظر: محمد بن عثيمين، مكارم الأخلاق، ص ٥٥، نقلاً عن <https://www.dorar.net/hadith>، الدرر السنية. بتاريخ ١٤٤٢/١/٧هـ.

(٥) انظر: محمد بن عثيمين، مكارم الأخلاق، ص ٥٥، نقلاً عن <https://www.dorar.net/hadith>، الدرر السنية. بتاريخ ١٤٤٢/١/٧هـ.

وعن كرمه ﷺ مع قلة المال بين يديه يحدث بلال ؓ قَالَ: (مَا كَانَ لَهُ شَيْءٌ كُنْتُ أَنَا الْمُتَوَلَّى أَمْرَ مَالِ رَسُولِ اللَّهِ، مُنْذُ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى أَنْ تُوفِّيَ وَكَانَ إِذَا أَتَاهُ إِنْسَانٌ فَرَأَاهُ عَارِيًّا يَأْمُرُنِي فَأَنْطَلِقُ فَأَسْتَقْرِضُ فَأَشْتَرِي لَهُ الْبُرْدَةَ فَأَكْسُوهُ وَأُطْعِمُهُ).^(١)

وحينما قسم الرسول ﷺ الغنائم أعطى منها القبائل والمؤلفة قلوبهم من مسلمة الفتح وغيرهم، ولم يعط الأنصار منها شيئاً. فوجد بعضهم في نفسه، فجمعهم الرسول ﷺ منفردين، وخطبهم. وكان مما قال: ((يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلّالاً فهداكم الله بي؟ وكنتم متفرقين فألفكم الله بي؟ وكنتم عالة فأغناكم الله بي؟)) كلما قال شيئاً قالوا: الله ورسوله أَمَنُ. قال: ((ما يمنعكم أن تجيبوا رسول الله؟ قال: لو شئتم لقلتم كذا وكذا. ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون بالنبي إلى رحالكُم؟ لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار. ولو سلك الناس وادياً وسلکوا شعباً لسلكت وادي الأنصار وشعبها، الأنصار شعار والناس دثار.))^(٢) فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم. وقالوا: (بلى رضينا برسول الله قسماً وحظاً وتفرقوا).^(٣)

لقد كان في كرم أخلاق النبي ﷺ مع الأنصار ما هو أهم من المال عنده وعندهم.

(١) انظر: رواية أبي داود في سننه، ص ٥٤٨، ح برقم: ٣٠٥٥.

(٢) من رواية البخاري في صحيحه، ج ٤/٦٠؛ وانظر شرحه، عند ابن حجر، في فتح الباري، ج ١٦٣/١٦٦ - ١٩٦؛ ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٣٨٧.

(٣) انظر: البخاري في صحيحه، ج ٤/٦٠؛ ابن حجر، (فتح الباري)، ج ١٦/١٧١، وشرح ابن حجر لما في الحديث؛ وابن الأثير، الكامل، ج ٤/٢٧٢.

عن المقداد ؓ قال: ((أقبلت أنا وصاحبان لي، وقد ذهبت أسمعنا وأبصارنا من الجهد، فجعلنا نعرض أنفسنا على أصحاب رسول الله ﷺ، فليس أحد منهم يقبلنا. فأتينا النبي ﷺ فانطلق بنا إلى أهله، فإذا ثلاثة أعنز. فقال النبي ﷺ: احتلبوا هذا اللبن بيننا. قال: فكنا نحتلب فيشرب كل إنسان منا نصيبه. ونرفع للنبي ﷺ نصيبه ... الحديث)).^(١) وكان ﷺ يكرم أصحابه. روى جرير بن عبد الله ﷺ قال: ((لما بعث النبي ﷺ أتيته، فقال: يا جرير! لأي شيء جئت؟ قال جرير ﷺ: جئت لأسلم على يدك، يا رسول الله! قال: فألقى إلي كساءه ثم أقبل على أصحابه، وقال: إذا جاءكم كريم قوم فأكرموه)).^(٢)

عن سهل بن سعد ؓ قال: ((جاءت امرأة إلى النبي ﷺ ببردة، فقال سهل للقوم: أتدرون ما البردة؟ فقال القوم: هي شملة. فقال سهل: هي شملة منسوجة فيها حاشيتها. فقالت: يا رسول الله! أكسوك هذه. فأخذها النبي ﷺ فلبسها، فرآها عليه رجل من الصحابة فقال: يا رسول الله ما أحسن هذه، فأكسنيه. فقال: نعم. فلما قام النبي ﷺ لأمه أصحابه، فقالوا: ما أحسنت حين رأيت النبي ﷺ أخذها محتاجاً إليها. ثم سألتها إياها وقد عرفت أنه لا يسأل شيئاً فيمنعه. فقال: رجوت بركتها حين لبسها النبي ﷺ لعلي أكفن فيها)).^(٣)

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الأشربة، باب إكرام الضيف وفَضْلُ إيثاره، ج/٦/١٢٨.
(٢) رواه ابن ماجه في سننه، ج/٢/١٢٢٢، ح رقم ٢٧١٢ وذكره الألباني في الصحيحة، ج/٣/٢٠٤، ح برقم: ١٢٠٥.
(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء، وما يكره من البخل، ج/٧/٨٢؛

ورواه ابن ماجه في سننه، باب لباسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ج/٢/١١٧٧، ح برقم: ٣٥٥٥.

وقد تعلم الصحابة منه ﷺ الكرم، فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: ((أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق، فوافق ذلك عندي مالاً، فقلت: اليوم أسبق أبا بكرٍ إن سبقته يوماً، قال: فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله ﷺ: ما أبقيت لأهلك؟ قلت: مثله، وأتى أبو بكرٍ بكل ما عنده، فقال: يا أبا بكرٍ ما أبقيت لأهلك؟ قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلت: لا أسبقه إلى شيء أبداً)).^(١)

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((خرج رسول الله ﷺ ذات يوم أو ليلة فإذا هو بأبي بكر وعمر رضي الله عنهما فقال: ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة؟ قالوا: الجوع. يا رسول الله! قال: وأنا. والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما، قوموا. فقاموا معه. فأتى رجلاً من الأنصار. فإذا هو ليس في بيته، فلما رآته المرأة قالت: مرحباً وأهلاً، فقال لها رسول الله ﷺ: أين فلان؟ قالت: ذهب يستعذب لنا من الماء، إذ جاء الأنصاري فنظر إلى رسول الله ﷺ وصاحبيه، ثم قال: الحمد لله، ما أحد اليوم أكرم أضيافاً مني، قال فانطلق فجاءهم بعذق فيه بسر وتمر ورطب فقال: كلوا من هذه، وأخذ المدينة فقال له ﷺ: إياك والحلوب، فذبح لهم، فأكلوا من الشاة. ومن ذلك العذق وشربوا؛ فلما أن شبعوا ورووا، قال ﷺ لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما: والذي نفسي بيده! لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة، أخرجكم من بيوتكم الجوع، ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم)).^(٢)

(١) رواه أبو داود، ص ٢٩١، ح برقم: ١٦٧٨؛ والترمذي، ج ٦١٤/٥، ح برقم: ٣٦٧٥.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الأشربة، باب جَوَازِ اسْتِئْجَارِهِ غَيْرَهُ إِلَى دَارٍ مَنْ يَثِقُ بِرِضَاهُ بِذَلِكَ...، ج ١١٦/٦، يستعذب الماء: أي يأتي بالماء العذب الصافي.

ومن الكرم المشترك بينه ﷺ وبين الصحابة ما روي عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: ((إنا يوم الخندق نحضر فعرضت كدية^(١) شديدة، فجاءوا النبي ﷺ فقالوا: هذه كدية عرضت في الخندق فقال: أنا نازل. ثم قام وبطنه معصوب بحجر، ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقاً. فأخذ النبي المعول فضرب في الكدية، فعاد كثيباً أهيل أو أهيم. فقلت: يا رسول الله! أئذن لي إلى البيت، فقلت لا مرأتي: رأيت بالنبي ﷺ شيئاً ما كان في ذلك صبر. فعندك شيء؟ فقالت: عندي شعير وعناق. فذبحت العناق وطحنت الشعير، حتى جعلنا اللحم بالبرمة ثم جئت النبي ﷺ والعجين قد انكسر، والبرمة بين الأثافي قد كادت أن تتضج، فقلت: طعيم لي، فقم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان. قال: كم هو؟ فذكرت له. فقال: كثير طيب. قال: قل لها لا تنزع البرمة ولا الخبز من التتور حتى آتي. فقال: قوموا. فقام المهاجرون والأنصار. فلما دخل على امرأته. قال: ويحك، جاء النبي ﷺ بالمهاجرين والأنصار ومن معهم. قالت: هل سألك؟ قلت: نعم. فقال: ادخلوا ولا تضاغطوا. فجعل يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم ويخمر البرمة والتتور إذا أخذ منه، ويقرب إلى أصحابه ثم ينزع فلم يزل يكسر الخبز ويغرف حتى شبعوا وبقي بقية. قال: كلي هذا وأهدي، فإن الناس أصابتهم مجاعة)).^(٢)

(١) الكدية: القطعة الشديدة الصلبة من الأرض.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب، ج ٤٥/٥ - ٤٦؛

ورواه مسلم، في صحيحه، باب جَوَازِ اسْتِثْبَاعِهِ غَيْرُهُ إِلَى دَارٍ مَنْ يَثِقُ بِرِضَاهُ بِذَلِكَ، ج ١١٧/٦.

وكثيباً أهيل: رمل منهالاً غير متماسك.

كما أن من أمثلة الكرم والعطاء ما كان من أبي طلحة أكثر أنصاري بالمدينة مالا، وكان أحب أمواله إليه بيرحى، وكانت مستقبله المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، قال أنس: فلما نزلت هذه الآية: ﴿لَنْ نَأْلُوَ الْبَرَحَ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ ^(١)، قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال: إن الله يقول في كتابه: ﴿لَنْ نَأْلُوَ الْبَرَحَ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ ^(٢). وإن أحب أموالي إلي بيرحى، وإنها صدقة لله، أرجو برّها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث شئت. قال ﷺ: "ذلك مال رابح، ذلك مال رابح، قد سمعت ما قلت فيها، وإنّي أرى أن تجعلها في الأقربين، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه". ^(٣)

عن أبي هريرة ؓ أن رجلاً أتى النبي ﷺ، فبعث إلى نسائه، فقلن: ما معنا إلا الماء. فقال ﷺ من يضم أو يضيف هذا؟ فقال رجل من الأنصار: أنا. فانطلق به إلى امرأته، فقال: أكرمي ضيف رسول الله ﷺ فقالت: ما عندنا إلا قوت صبياني فقال: هيئي طعامك وأصبحي سراجك ونومي صبيانك إذا أرادوا عشاء، فهيات طعامها وأصبحت سراجها ونومت صبيانها، ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته، فجعل يريانه أنهما يأكلان، فباتا طاويين، فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ، فقال: ضحك الله الليلة أو عجب من فعالكما، فأنزل الله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ ^(٤).

(١) من الآية ٩٢ من آل عمران.

(٢) من الآية ٩٢ من آل عمران.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب الزكاة على الأقارب، ج ٢/١٢٦؛

ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب فضل الصدقة والنفقة على الأقربين، ج ٣/٧٩.

(٤) رواه البخاري، في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، ج ٤/٢٢٦؛ ورواه مسلم في صحيحه،

كتاب الأشربة، باب إكرام الضيف وفضل إيثاره، ج ٦/١٢٧؛

وأصبحي السراج أوقديه، وطاويين. جائعين بلا طعام.

وقد وضع بعض المحدثين أبواباً في إكرام الضيف، منهم الإمام مسلم ﷺ في صحيحه.^(١)

وقد شهد الصحابة لجعفر بن أبي طالب ﷺ بالكرم. قال أبو هريرة ﷺ: (ما احتذى النعال ولا انتعل ولا ركب المطايا، ولا لبس الكور من رجل بعد رسول الله ﷺ أفضل من جعفر بن أبي طالب في الجود والكرم).^(٢)

ويرى الصحابة أن إكرام الضيف من سنة محمد ﷺ ومن سنن إبراهيم الخليل عليه السلام، التي طبقها ﷺ.^(٣)

كما أن الدعاء للوالدين وإكرام أصدقائهما بعد وفاتهما من استمرار البر بهما.^(٤)

وقال بعض السلف: (ليتق الرجل دناءة الأخلاق كما يتقي الحرام، فإن الكرم دين).^(٥)

وقد وضع الغزالي في كتابه: (إحياء علوم الدين) بيان فضيلة السخاء، وحكايات الأسخياء. أورد فيه عدداً من حكايات السخاء عند السلف.^(٦)

وقد مرّ قيس بن سعد بن عبادة ﷺ، فاستبطأ إخوانه، فقليل له: (إنهم يستحيون ممّا لك عليهم من الدّين، فقال: أخزى الله ما لا يمنع الإخوان من

(١) مسلم في صحيحه، كتاب الأشربة، باب إكرام الضيف وفضل إيثاره، ج ٦/ ١٢٧.

(٢) ابن حجر، الإصابة، ج ١/ ٢٣٧.

(٣) انظر: صالح بن حميد وآخرين، نضرة النعيم، ج ٨/ ٣٢٣٤.

(٤) <https://binbaz.org.sa/fatwas> موقع الشيخ ابن باز رحمه الله بتاريخ ١١/١/١٤٤٢هـ. وقد ذكر عددا من الشواهد على ذلك.

(٥) ابن أبي الدنيا، مكارم الأخلاق، نقلاً عن صالح بن حميد وآخرين، نضرة النعيم، ج ٨/ ٣٢٣٤.

(٦) انظر: الغزالي، إحياء علوم الدين، ج ٣/ ٢٤٣ - ٢٥٦.

الزَّيَّارَةُ، ثُمَّ أَمَرَ مُنَادِيًا فَنَادَى: مَنْ كَانَ عَلَيْهِ لَقَيْسُ بْنُ سَعْدٍ حَقٌّ فَهُوَ مِنْهُ بَرِيءٌ، قَالَ فَنَكَسَرَتْ دَرَجَتُهُ بِالْعَشْيِ لكَثْرَةِ مَنْ زَارَهُ وَعَادَهُ.^(١)

وَوَصَفَ ابْنَ عَبَّاسٍ ﷺ وَهُوَ مِنْ جَمْعٍ بَيْنَ الصَّحْبَةِ وَالْقُرْبَةِ، بِغَزَارَةِ عِلْمِهِ وَفَقْهِهِ، وَكَرَمِ خَلْقِهِ، وَإِكْرَامِ ضَيْوْفِهِ وَتِلَامِيذِهِ ﷺ.^(٢)

كَمَا وَرَدَتْ قِصَصٌ مُخْتَلِفَةٌ لِعَدَدٍ مِنْ أَسْخِيَاءِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ ﷺ.^(٣)

وَمِنْ كَرَمِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مَعَ الضُّيُوفِ مَا رَوَى أَنَّ رَجُلًا أَرَادَ أَنْ يَضَارَّ عَبِيدَ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ﷺ، فَأَتَى وَجْهَهُ قَرِيشٌ فَقَالَ: يَقُولُ لَكُمْ عَبِيدُ اللَّهِ: تَغْدُوا عِنْدِي الْيَوْمَ، فَأَتَوْهُ حَتَّى مَلَأُوا عَلَيْهِ الدَّارَ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ فَأُخْبِرَ الْخَبَرَ، فَأَمَرَ عَبِيدَ اللَّهِ بِشِرَاءِ فَاكْهَةٍ، وَأَمَرَ قَوْمًا فَطَبَخُوا وَخَبَزُوا، وَقَدَّمَتْ الْفَاكْهَةُ إِلَيْهِمْ، فَلَمْ يَفْرَغُوا مِنْهَا حَتَّى وُضِعَتِ الْمَوَائِدُ، فَأَكَلُوا حَتَّى صَدَرُوا، فَقَالَ عَبِيدُ اللَّهِ لَوُكَلَائِهِ: أَوْ مَوْجُودٌ لَنَا هَذَا كُلُّ يَوْمٍ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ فَلْيَتَغَدَّ عِنْدَنَا هَؤُلَاءِ فِي كُلِّ يَوْمٍ.^(٤)

(١) انظر: الغزالي، إحياء علوم الدين، ج ٣/٢٤٧.

(٢) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٣/٣٣١.

(٣) انظر: الغزالي، إحياء علوم الدين، ج ٣/٢٤٧.

(٤) انظر: الغزالي، إحياء علوم الدين، ج ٣/٢٤٧.

شجاعته ﷺ:

الشجاعة صفة كريمة توجد في بعض الناس. وتعني شدة القلب مع الجرأة والإقدام على الصعاب، وتحمل ذلك وثبات الجأش، والاستهانة بالموت.^(١)

وهي من الصفات المحمودة في الناس. وهي قرينة للسخاء. فالشجاع في الأصل كريم وجود بنفسه وهي أغلى شيء عنده. وهي عند المسلم من علامات الإيمان. والشجاعة المحمودة. هي التي تكون في الحق ومعه وفيما يرضي الله. وهي خُلِقَ كريم تحمل النفس على التحلي بالفضائل، والبعد عن الرذائل، وهي من الصفات الحميدة، مما يفتخر بها العرب وسائر الأمم. وهي الإقدام على المكاره.^(٢)

والشَّجَاعَةُ تَجْعَلُ الْإِنْسَانَ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ، وَيَتَكَلَّمُ بِالصِّدْقِ، وبها يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر. ولعل كتاب ابن القيم (الفروسية المحمدية) أشار لجملة من شمائله ﷺ التي تدل على شجاعته.^(٣)

وشهد الصحابة بشجاعته كما روى البراء بن مالك وهو من شجعان الصحابة ﷺ: قال: ((كُنَّا وَاللَّهِ إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ نَتَّقِي بِهِ، وَإِنَّ الشُّجَاعَ مِنَّا الَّذِي يُحَازِي بِهِ، يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ)).^(٤)

(١) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ٨/ ١٧٣؛

الجوهري، الصحاح، ج ٣/ ١٢٣٥.

(٢) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ٨/ ١٧٣؛

الجوهري، الصحاح، ج ٣/ ١٢٣٥.

(٣) انظر: ابن القيم، الفروسية المحمدية، تحقيق زائد أحمد النشيري، مكة المكرمة: دار عالم الفوائد ١٤٣٧هـ.

(٤) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين، ج ٥/ ١٦٨.

يقول القاضي عياض رحمته الله: (وَأَمَّا الشَّجَاعَةُ وَالنَّجْدَةُ، فَكَانَ رحمته الله مِنْهُمَا بِالْمَكَانِ الَّذِي لَا يُجْهَلُ، قَدْ حَضَرَ الْمَوَاقِفَ الصَّعْبَةَ، وَفَرَّ الْكُمَاةَ وَالْأَبْطَالَ عَنْهُ غَيْرَ مَرَّةٍ، وَهُوَ ثَابِتٌ لَا يَبْرَحُ، وَمَقْبَلٌ لَا يَدْبِرُ وَلَا يَتَزَحَّزَحُ، وَمَا شَجَاعٌ إِلَّا وَقَدْ أَحْصَيْتَ لَهُ فِرَةً، وَحَفِظْتَ عَنْهُ جَوْلَةً سِوَاهُ رحمته الله).^(١)

قال رحمته الله: ((لَا تَجِدُونِي بَخِيلًا، وَلَا كَذُوبًا، وَلَا جَبَانًا)).^(٢)

ورسول الله رحمته الله مع ممارسته للشجاعة كان يعلم أمته الشجاعة.

إننا نجد رسول الله رحمته الله يُعَلِّمُ أُمَّتَهُ الاستعاذة من الجبن فيقول رحمته الله: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجَبْنِ وَالْبُخْلِ)).^(٣)

ومن ميادين الشجاعة التي أَكَّدَ عَلَيْهَا رحمته الله مواجهة الظلم، يقول رحمته الله: ((أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةُ عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ)).^(٤)

(١) القاضي عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ص ١١٤.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب الشجاعة في الحرب والجبن، ج ٢٠٩/٣.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب التعوذ من البخل، ج ١٥٨/٧ - ١٦٠.

رواه البخاري في صحيحه: كتاب الدعوات، باب الاستعاذة من الجبن والكسل ج ١٥٩/٧؛ ورواه مسلم في صحيحه: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من العجز والكسل وغيره، ج ٧٥/٨، ٧٦؛

ورواه النسائي في سننه، كتاب الاستعاذة، باب الاستعاذة من الجبن، والاستعاذة من البخل والاستعاذة من الهم، ج ٢٥٦/٨ - ٢٥٨.

(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده، ج ٢٥١/٥؛ وأبو داود في سننه، كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، ج ١٢٢/٤، ح برقم: ٤٣٤٤؛ ورواه الترمذي في سننه، كتاب الفتن، باب ما جاء في أفضل الجهاد وكلمة عدل عند سلطان جائر، ج ٤٧١/٤، ح برقم: ٢١٧٤؛ ورواه ابن ماجه في سننه، كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ج ١٣٢٩/٢، حديث رقم ٤٠١١؛ وقال الألباني: صحيح؛ انظر: السلسلة الصحيحة، م ١ ق ٢، ص ٨٨١، ح برقم: ٤٩١.

عبادة بن الصامت عن أبيه عن جده قال: (بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة، في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وعلى أثرة علينا، وعلى أن لا ننازع الأمر أهله، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم).^(١)

كما يعلم الأمة أن الحافظ هو الله، مشجعاً لهم قال ﷺ: ((وَأَعْلَمُ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئِكَ، وَمَا أَخْطَاكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبِكَ)).^(٢)

عُرف ﷺ بشجاعته في مكة قبل البعثة وبعدها، حيث أنه ﷺ كان يخلو في غار حراء وحيداً الأيام والليالي ذوات العدد بعيداً عن الناس، وهذا دليل على جسارته وشجاعته ﷺ وقد ظهرت الشجاعة في كل حياة رسول الله ﷺ بعد بعثته.

ومن حوادث ما قبل البعثة يروي ابن هشام (أن رجلاً قدم مكة بإبل له، فابتاعها منه أبو جهل فمطله بأثمانها، فأقبل الرجل حتى وقف على نادٍ من قريش، ورسول الله ﷺ في ناحية المسجد جالسٌ. فقال: يا معشر قريش، من رجلٌ يؤدّيني على أبي الحكم بن هشام؛ فإني رجل غريب ابن سبيل، وقد غلبني على حقّي؟ فقال له أهل ذلك المجلس أترى ذلك الرجل الجالس؟ لرسول الله ﷺ وهم يهزؤون به لما يعلمون بينه وبين أبي جهل من العداوة - اذهب إليه فإنه يؤدّيك عليه.

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ سترون بعدي أموراً تنكرونها، ج ٨٧/٨ - ٨٨؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية، ج ١٦/٦؛

ورواه مسلم في صحيحه: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من العجز والكسل وغيره، ج ٧٥/٨، ٧٦؛

والنسائي عن عمر بن الخطاب ﷺ كتاب الاستعاذة، ج ٢٦٠/٨.

(٢) رواه أحمد في مسنده، ج ١٨/٥.

فَأَقْبَلَ الرَّجُلَ حَتَّى وَقَفَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، إِنْ أَبَا الْحَكَمِ بْنِ هِشَامٍ قَدْ غَلَبَنِي عَلَى حَقِّ لِي قَبْلَهُ، وَأَنَا رَجُلٌ غَرِيبٌ ابْنُ سَبِيلٍ، وَقَدْ سَأَلْتُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ عَنْ رَجُلٍ يُؤَدِّينِي عَلَيْهِ، يَأْخُذُ لِي حَقِّي مِنْهُ، فَأَشَارُوا لِي إِلَيْكَ، فَخُذْ لِي حَقِّي مِنْهُ يَرْحَمَكَ اللَّهُ.

قَالَ: "أُطْلِقُ إِلَيْهِ". وَقَامَ مَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمَّا رَأَوْهُ قَامَ مَعَهُ، قَالُوا لِرَجُلٍ مِمَّنْ مَعَهُمْ: اتَّبِعْهُ فَانْظُرْ مَاذَا يَصْنَعُ.

قَالَ: وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى جَاءَهُ فَضْرَبَ عَلَيْهِ بَابَهُ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: "مُحَمَّدٌ، فَأَخْرَجُ إِلَيَّ".

فَخَرَجَ إِلَيْهِ قَدْ انْتَقَعَ لَوْنُهُ، فَقَالَ ﷺ: "أَعْطِ هَذَا الرَّجُلَ حَقَّهُ". قَالَ: نَعَمْ، لَا تَبْرَحْ حَتَّى أُعْطِيَهُ الَّذِي لَهُ.

قَالَ: فَدَخَلَ فَخَرَجَ إِلَيْهِ بِحَقِّهِ فَدَفَعَهُ إِلَيْهِ. قَالَ: ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَقَالَ لِلرَّجُلِ: "الْحَقُّ بِشَأْنِكَ". فَأَقْبَلَ الرَّجُلَ حَتَّى وَقَفَ عَلَى ذَلِكَ الْمَجْلِسِ فَقَالَ: جَزَاهُ اللَّهُ خَيْرًا، فَقَدْ - وَاللَّهِ - أَخَذَ لِي حَقِّي. قَالَ: وَجَاءَ الرَّجُلَ الَّذِي بَعَثُوا مَعَهُ، فَقَالُوا: وَيَحْكُ مَاذَا رَأَيْتَ؟ قَالَ: عَجَبًا مِنَ الْعَجَبِ، وَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ ضَرَبَ عَلَيْهِ بَابَهُ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ وَمَا مَعَهُ رُوحُهُ، فَقَالَ لَهُ: "أَعْطِ هَذَا حَقَّهُ". فَقَالَ: نَعَمْ، لَا تَبْرَحْ حَتَّى أُخْرِجَ إِلَيْهِ حَقَّهُ. فَدَخَلَ فَخَرَجَ إِلَيْهِ بِحَقِّهِ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ.

قَالَ: ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَبُو جَهْلٍ أَنْ جَاءَ، فَقَالُوا لَهُ: وَيْلَكَ مَا لَكَ؟ وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا مِثْلَ مَا صَنَعْتَ قَطُّ. قَالَ: وَيَحْكُمُ وَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ ضَرَبَ عَلَيَّ بَابِي،

وسمعتُ صوته فملتُ رعباً، ثم خرجتُ إليه وإنَّ فوق رأسه لفحلاً من الإبل ما رأيت مثل هامته، ولا قصرته ولا أنيابه لفحل قطُّ، والله لو أبيتُ لأكلني^(١).

وها هو ذا أنس بن مالك ﷺ يصف شجاعة النبي ﷺ بقوله: (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ، وَأَجْوَدَ النَّاسِ، وَأَشْجَعَ النَّاسِ. قَالَ: وَقَدْ فَزَعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ لَيْلَةً؛ سَمِعُوا صَوْتًا. فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَاجِعٌ، وَقَدْ سَبَقَهُمْ إِلَى الصَّوْتِ وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرِيٍّ فِي عُنُقِهِ السَّيْفُ، وَهُوَ يَقُولُ: "لَمْ تُرَاعُوا، لَمْ تُرَاعُوا"، وَفِي رِوَايَةٍ: فَزَعَ النَّاسَ فَرَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَرَسًا لِأَبِي طَلْحَةَ بَطِيئًا، ثُمَّ خَرَجَ يَرْكُضُ وَحْدَهُ، فَرَكِبَ النَّاسُ يَرْكُضُونَ خَلْفَهُ، فَقَالَ: "لَمْ تُرَاعُوا"^(٢). فَتَلَقَّاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرِيٍّ وَهُوَ مُتَقَلِّدٌ سَيْفَهُ، فَقَالَ: "لَمْ تُرَاعُوا، لَمْ تُرَاعُوا".

ثم قال رسول الله ﷺ: "وَجَدْتُهُ بَحْرًا يَعْنِي الْفَرَسَ"^(٣).

شجاعة النبي ﷺ في ميادين القتال: كتب الله ﷻ القتال على الأمم السابقة وقص علينا من قصصهم في القرآن الكريم، قال - تعالى -: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى أَمَلٍ لَّ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ أَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُنْقِثَ فِي سَكِينٍ اللَّهُ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا

(١) انظر: ابن هشام: السيرة النبوية، ج ١/ ٣٨٩ - ٣٩١.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب إذا فزعوا بالليل، ج ٤/ ٢٧؛

ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب في شجاعة النبي ﷺ، وتقدمه للحرب، ج ٧/ ٧٢.

(٣) رواه البخاري في صحيحه: كتاب الجهاد والسير، باب الشجاعة في الحرب والجبن، ج ٣/ ٢٠٩؛

ورواه مسلم في صحيحه: كتاب الفضائل، باب في شجاعة النبي ﷺ وتقدمه للحرب، ج ٧/ ٧٢.

أَلَّا نُقْتَلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ [البقرة: (١)]

وقد خشي بعضهم وخاف من القتال في سبيل الله، فقال الله عنهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فِرَاقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كُتِبَ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْ لَا أَخْرَجْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَنَعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: (٢)]

كتب الله القتال على المؤمنين وعلى رأسهم رسول الله ﷺ قال - تعالى - : ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: (٣)]

فكان أشجع الناس ﷺ. يروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: ((كُنَّا إِذَا احْمَرَ الْبَاسُ وَلَقِيَ الْقَوْمُ الْقَوْمَ، اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَمَا يَكُونُ مِنَّا أَحَدٌ أَدْنَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْهُ)). (٤)

ويضرب رسول الله ﷺ المثل والقدوة في ميدان القتال فكانت شجاعته مثلاً وقدوة سار عليه الصحابة فيما بعد، خاطبه الله ﷻ قائلاً: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفِيَ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنَكِيلًا﴾ [النساء: (٥)]

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٣١٢.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٥٠٧.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٢٧٠.

(٤) رواه أحمد في مسنده، ج ١/١٥٦.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٥١١.

لقد كان ﷺ يطبق ما أمره الله به في جهاد أعداء الله ويحرضهم على ذلك مع مشاركته لهم، يقول - تعالى - : ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرَضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَدِيرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ ﴿٦٥﴾ [الأنفال].^(١)

وكان ﷺ مثلاً في الثبات على قتال أعداء الله، تنفيذاً لما في قوله ﷺ : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٤٥﴾ [الأنفال].^(٢)

ولم تخلوا الصفوف من الخلل مع ثباته ﷺ قال ﷺ : ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ﴾ ﴿٢٠﴾ [محمد].^(٣)

وقال - تعالى - : ﴿فَأَمَّا تَثَقَفَتْهُمُ فِي الْحَرْبِ فَشَرِدَ بِهْمُ مِّنْ خَلْفِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ ﴿٥٧﴾ [الأنفال].^(٤)

وقال - تعالى - : ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَتَخْتَمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَمَا مَنَّا بَعْدُ وَإِنَّمَا فِدَاءٌ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَآنصَرْنَا مِنْهُمْ وَلَكِنْ لَّيَبْلُوا بَعْضُكُمْ يَبْعُضٌ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ ﴿٤﴾ [محمد].^(٥)

وفي قوله - سبحانه - : ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ نَّبِيِّ قَتَلَ مَعَهُ رِيبُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ ﴿١٤٦﴾ [آل عمران].^(٦)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٨٥٣.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٨٤٦.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٧٢١.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٨٤٩.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٧١٧.

(٦) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/ ٤٠٤.

ودراسة حاله في غزواته المختلفة ﷺ تبين ثبات رسول الله ﷺ وشجاعته، ففي غزوة بدر قال ﷺ: ((هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ أكبادها))، مشيراً لقوله - تعالى -: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحَقِّقَ الْحَقَّ بِكَلِمَتِهِ وَيَقْطَعَ دَائِرَ الْكَافِرِينَ ٧﴾ [الأنفال].^(١) حيث تيقن الرسول ﷺ ومن معه أن المواجهة ستكون مع ذات الشوكة شجعان مكة وفرسانها، وأن العير قد فاتتهم.

ودلّت المواقف الكثيرة في غزواته على شجاعته ﷺ؛ إذ كان الصحابة ﷺ إذا اشتدّ البأس يلوذون به، وهو تلقاء أعدائه، ثابت في مكانه. قال عليّ ﷺ: (لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله ﷺ وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشدّ الناس يومئذ بأساً). وفي رواية: (كنّا إذا احمرّ البأس، ولقي القوم القوم، اتّقينا برسول الله ﷺ، فما يكون منّا أحد أدنى من القوم منه).^(٢)

وفي غزوة أُحُد. صمد رسول الله ﷺ وقاتل قتال الأبطال، وقتل بيده (أبي ابن خلف) الذي كان معانداً وحريصاً على قتل الرسول ﷺ ويردد: محمد...!! لا نجوت إن نجا، فرفض الرسول ﷺ أن يبادر إليه أحد من الصحابة غيره، حيث واجهه ﷺ بنفسه بحربة أصابته في عنقه فمات منها فيما بعد.^(٣) ثم إنه ﷺ وقع في أحد الحفر فشج رأسه وكسرت رباعيته وشُقت

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٨٢٠.

(٢) مسند الإمام أحمد، ج ١/ ١٥٦. (سبق ذكره وتخريجه).

(٣) ابن إسحاق، سيرة ابن إسحاق، ص ٣١٠، الواقدي، المغازي، ج ٢/ ٢٥٢؛ الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج ٤/ ٣٠٧؛ ابن أبي شيبه، المغازي، ص ٢٣٩.

شفته.^(١) وصمد نفر من الصحابة مع رسول الله ﷺ واستماتوا في الدفاع عنه، منهم أبو طلحة الأنصاري ﷺ، وسهل بن حنيف، ومصعب بن عمير حامل لواء المسلمين الذي استشهد بين يدي النبي ﷺ، وعلي بن أبي طالب وأبو دجانة وسعد بن أبي وقاص ﷺ، وقال رسول الله ﷺ لسعد وهو يرمي دفاعاً عنه: ((ارم فداك أبي وأمي)).^(٢)

كما كان معهم في الدفاع عن الرسول ﷺ أم عمارة ﷺ.^(٣)

لا والذي بعثه بالحق إن زال رسول الله ﷺ شبراً واحداً، إنه لفي وجه العدو، وتثوب إليه طائفة من أصحابه مرة، وتُصرف عنه مرة.

فربما رأيته قائماً يرمي على قوسيه، ويرمي بالحجر، حتى تحاجزوا، وثبت رسول الله ﷺ كما هو في عصابة صبروا معه).^(٤)

ومع إصابته ﷺ فقد أدركه أُبَيُّ بن خلف وهو يقول: أي محمد، لا نجوتُ إن نجوت. فقال القوم: يا رسول الله، أيعطف عليه رجل مثاً؟ فقال رسول الله: "دَعُوهُ". فلماً دنا، تناول رسول الله ﷺ الحربة ثم انتفض بها انتفاضة تطايرنا عنه تطايروا عنه ﷺ، ثم استقبله فطعنه في عنقه طعنة تدأداً منها عن فرسه مراراً، فمات وهم راجعون به إلى مكة.^(٥)

(١) انظر: صحيح البخاري (فتح الباري)، ج ٢٤٣/١٥؛ ابن إسحاق، سيرة ابن إسحاق، ص ٣١١، الواقدي، المغازي، ج ٢٤٧/١؛ الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج ٣١٠/٤؛ انظر: ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٢٤٥.

(٢) البخاري، فتح الباري، ج ٢٢٥/١٥؛ انظر: ابن أبي شيبة، ص ٢٣٨.

(٣) انظر: صحيح البخاري (فتح الباري)، ج ٢٣٥/١٥؛ ابن إسحاق، سيرة ابن إسحاق، ص ٣٠٧؛ الواقدي، المغازي، ج ٢٤٠/١، ٢٤٣، ٢٧٨.

(٤) البيهقي: دلائل النبوة، ج ٢٤٦/٣.

(٥) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٨٣/٢.

وفي غزوة الأحزاب. كان النبي ﷺ في مقدمة الصفوف في الاستعداد والعمل الجاد لمواجهة الأعداء يخطط، ينقل التراب يوم الخندق حتى أغبر بطنه ويردد معهم قول الصحابة:

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينه علينا وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الألى قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا^(١)

وفي هذه المشاركة تشجيع لأصحابه ﷺ، في وقت تسلل جماعة من المنافقين فارين من تأدية الواجب الملقى عليهم، وهم الذين ذكرهم الله - تعالى - في قوله: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]^(٢) وكان المؤمنون إذا احتاج الرجل منهم إلى حاجة لم ينصرف إليها حتى يأذن له رسول الله ﷺ، فامتدحهم الله في قوله - تعالى -: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوا إِنْ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْذِنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]^(٣).

وفي أثناء حفر الخندق اعترضت للمسلمين صخرة فقام الرسول ليحطمها، وحين ضربها برقت منها بارقة، فكبر وكبر المسلمون معه، ثم

(١) انظر: ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٢٥٧.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/١٣٤٨.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير، ج ٢/١٢٤٨؛ وله رأي عام في الآية ومخالفة المنافقون لأمر الرسول ﷺ عموماً.

ضربها ثانية فبرقت، فكبر وكبر المسلمون معه، ثم ضربها ثالثة فبرقت، فكبر وكبر المسلمون معه، وقد قال ﷺ إثر الضربة الأولى: ((الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام. والله إني لأبصر قصورها الحمراء الساعة، ثم ضربها الثانية فقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس، والله إني لأبصر قصر المدائن الأبيض، ثم ضربها الثالثة وقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني الساعة)).^(١) فاستبشر المسلمون. وبهذا تيقن ﷺ والمؤمنون معه أنهم سيغلبون أولئك الملوك وسيفتحون ديارهم وصدقوا ما وعد الله ورسوله.

أما المنافقون فقد أخذوا يتهاكمون بما ذكره الرسول ﷺ من موعود الله: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب].^(٢) ووصلت قريش ومعها الأحزاب، وعددهم عشرة آلاف مقاتل، وعسكروا حول المدينة، واستغربوا من وجود الخندق، حيث لم يكن للعرب عهد به، وعسكر الرسول ﷺ ومعه قرابة ثلاثة آلاف من المجاهدين، بعد أن جمعوا النساء والذرية في حصون الأنصار.^(٣)

وكان الوقت عصيباً جداً، إذ لم يكن المسلمون يأمنون على أنفسهم ليلاً ولا نهاراً، خصوصاً أن يهود بني قريظة كانوا في ناحية من المدينة،^(٤) والمسلمون قد عاهدوهم في الدفاع المشترك عن المدينة، ومع ذلك لا يأمنون

(١) رواه ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٢٦١؛ رواه أحمد في مسنده، ج ٤/٣٠٣.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/١٤٨٦.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣/٢١٩؛ الواقدي، المغازي، ج ٢/٤٤٣؛ الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج ٤/٥٢٤.

(٤) انظر: شوقي أبو خليل الخندق "غزوة الأحزاب"، ط ١ - دمشق: دار الفكر ١٤٠٦هـ، ص ١٠٩.

أن يستمر يهود على عهدهم، وبالتالي أحس المسلمون بالخطر يحدق بهم من كل جانب كما وصف الله ذلك بقوله: ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَنَظُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾ (١٠) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ [الأحزاب: (١)].

وبدأت قوات الاستطلاع للأحزاب بتحسس الخندق لعلمهم يجدون فرجة ينفذون منها، وتمكنت مجموعة من فرسانهم من اختراق الخندق في أحد المواضع، لكن جند الإسلام بقياته ﷺ وعلى رأسهم علي بن أبي طالب ﷺ تمكنوا من صددهم وقتل بعضهم، فأمر الرسول ﷺ بتسليم قتلى قريش، ولم يرض أن يأخذ مقابلاً لذلك. (٢) وقد استمر المسلمون ومعهم رسول الله ﷺ ليلاً ونهاراً في حراسة الخندق ومنع القوم من اختراقه. وكان الرسول ﷺ يهتم بنفسه في حراسة المناطق الضعيفة منه. حتى نصره الله ﷻ قال - تعالى :- ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ (٢٥) [الأحزاب: (٣)].

وفي غزوة الحديبية. كان توجه الرسول ﷺ للعمرة، رغم قوة قريش، في حد ذاته شجاعة. وحين بعث الرسول ﷺ عثمان بن عفان ﷺ إلى أهل مكة ليخبرهم أنه ﷺ جاء زائراً للبيت الحرام معظماً له ومعتماً ولم يأت لقتال، فطلبوا من عثمان أن يطوف بالبيت فرفض ﷺ إلا أن يؤذن لرسول الله ﷺ

(١) انظر: صحيح البخاري، (فتح الباري)، ج ٢٨٣/١٥؛ ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٢٥٥؛ انظر ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٤٨٤ - ١٤٨٦.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣/٢٢٥؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢/٦٨؛ الواقدي، ج ٢/٤٦٤، ٤٧٤؛ الصالحى الشامى، سبل الهدى والرشاد، ج ٤/٥٣٢، ٥٣٦؛ ابن أبي شيبة، المغازي، ص ٢٦٣.

(٣) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/١٤٨٩.

في ذلك، فحاولوا احتباس عثمان ؓ عندهم.^(١) وبلغ الرسول ﷺ أن عثمان قد قتل من قبل قريش. فجمع رسول الله ﷺ الناس تحت شجرة للبيع،^(٢) وقد تنافس المسلمون في بيعة رسول الله ﷺ. وقد أثنى الله ﷻ على المؤمنين المبايعين لرسول الله ﷺ في قوله - تعالى - : ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح].^(٣) وقد أثنى الرسول على أهل بيعة الرضوان فقال: ((أنتم اليوم خير أهل الأرض))،^(٤) وأن رسول الله ﷺ بايع لعثمان فضرب بإحدى يديه على الأخرى.^(٥)

وفي غزوة حنين ضرب رسول الله ﷺ أروع مَثَلٍ عرفته البشرية في الشجاعة والثبات؛ فحينما فرَّ الجيش من ساحة القتال نزل النبي ﷺ من على بغلته ودعا واستنصر، وهو يُرَدِّد معلناً عن مكانه بكل شجاعة.

((أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبَ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، اللَّهُمَّ نَزِّلْ نَصْرَكَ)).^(٦) وثبت مع رسول الله ﷺ ومعه بعض المهاجرين والأنصار، منهم عمه العباس وأبو بكر وعمر وعلي ؓ، وانحاز يمين الجيش وجعل ينادي. فنادى نداءين لم

(١) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣/٣١٥.

(٢) وضع البخاري في صحيحه، في كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية وقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾، الآية، ج ٥/٦١؛ ووضع ابن هشام في السيرة عنوان: "بيعة الرضوان"، ج ٣/٣١٦.

(٣) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/١٧٣٠.

(٤) انظر: رواية البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، ج ٥/٦٣؛ وانظر: ابن أبي شيبه، المغازي، ص ٢٨٣.

(٥) ابن أبي شيبه، المغازي، ص ٢٨٤؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣/٣١٦.

(٦) رواه البخاري في صحيحه: كتاب الجهاد والسير، باب من صف أصحابه عند الهزيمة، ج ٣/٢٣٣، ج ٤/٢٨؛

ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين، ج ٥/١٦٧، ١٦٨.

يخلط بينهما، التفت عن يمينه فقال يا معشر الأنصار، قالوا لبيك يا رسول الله، أبشر نحن معك. ثم التفت عن يساره فقال: يا معشر الأنصار، قالوا لبيك يا رسول الله أبشر نحن معك، وهو على بغلة بيضاء، فنزل فقال: أنا عبد الله ورسوله، ^(١) أيها الناس هلموا إلي أنا رسول الله أنا محمد بن عبد الله، ثم أمر الرسول ﷺ عمه العباس وكان جهور الصوت أن ينادي يا معشر الأنصار، يا أصحاب السمرة، وكان ﷺ ينادي ((أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب))، ^(٢) فلما سمع المهاجرون والأنصار النداء أجابوا لبيك لبيك، فاجتمعوا على رسول الله ﷺ فاستقبل بهم الأعداء. واشتد القتال بين المسلمين وهوازن حتى قال ﷺ: ((الآن حمي الوطيس))، ^(٣) فهو أول من قالها. ^(٤) وقاتل المسلمون مع رسول الله ﷺ قتال الأبطال، وأخذ الرسول حفنة من التراب فرمى بها وجوه القوم وهو يقول: ((شاهت الوجوه))، ^(٥) فانهزموا. وبعد وقت قصير تأكدت الهزيمة في صفوف الأعداء، ورجع المسلمون بالأسرى والغنائم، ^(٦) وقتل من الأعداء ما يزيد على سبعين رجلاً، واستشهد جماعة من المسلمين. ^(٧)

(١) رواه البخاري، فتح الباري، ج ١٦/ ١٧٢.

(٢) من رواية البخاري، فتح الباري، ج ١٦/ ١٤٣؛ وانظر: ابن هشام، السيرة النبوية ج ٣/ ٤٤٤، ٤٤٥؛ الصالحى الشامى، سبل الهدى والرشاد، ج ٥/ ٤٧١؛ ابن أبى شيبه، المغازى، ص ٣٧٨.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤/ ٤٤٥؛

وانظر تخريجها في: رزق الله، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص ٥٨٩.

(٤) انظر: السهيلي، الروض الأنف، ج ٤/ ١٣٨.

(٥) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسيرة، باب في غزوة حنين، ج ٥/ ١٦٩؛ وأحمد في مسنده، ج ١/ ٣٠٣؛ والدارمي في سننه، كتاب السير، باب قول النبي ﷺ: شاهت الوجوه، ج ٢/ ٢١٩ - ٢٢٠؛

انظر: رزق الله، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص ٥٨٩.

(٦) انظر: البخاري، فتح الباري، ج ١٦/ ١٧٢.

(٧) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤/ ٤٤٩.

فَمَا رُئِيَ أَحَدٌ يَوْمئِذٍ كَانَ أَثْبَتَ وَلَا أَقْرَبَ لِلْعَدُوِّ مِنْهُ فَقَدْ وَقَفَ فِي وَجْهِ الْعَدُوِّ مُتَحَدِّيًا.^(١)

وَأَخَذَ كَفًّا مِنْ حَصَى وَضَرَبَ وَجُوهَهُمْ، وَقَالَ ﷺ: ((شَاهَتِ الْوُجُوهُ)).^(٢)

وَأَخَذَ ﷺ يَصُولُ فِي الْمَعْرَكَةِ وَهُوَ يَقُولُ: ((إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ)) حَتَّى عَادَ أَصْحَابُهُ إِلَيْهِ وَعَاوَدُوا الْكُرَّةَ عَلَى الْعَدُوِّ؛ فَهَزَمُوهُ فِي السَّاعَةِ. وَمَا اسْتَطَاعَ أَحَدٌ أَنْ يَمْسَهُ بِسَوْءٍ.^(٣) وَتَحَقَّقَ النِّصْرُ كَمَا قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ ﷻ [التوبة].^(٤)

وَلَعَلَّ خُرُوجَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ رَغْمَ قُوَّةِ الرُّومِ شَجَاعَةً كَبِيرَةً مِنْهُ ﷺ وَمِمَّنْ مَعَهُ، أَمَامَ تِلْكَ الْقُوَّةِ الْعَالِمِيَةِ الْكُبْرَى.

وَكَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَجْعَانًا ضَحَى بَعْضُهُمْ بِنَفْسِهِ فِي مَكَّةَ عَلَى يَدِ الْكُفَّارِ صَامِدِينَ مُحْتَسِبِينَ، مِنْهُمْ آلُ يَاسِرٍ. وَاسْتَشْهَدَ بَعْضُهُمْ فِي سَاحَاتِ الْجِهَادِ بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، مِنْهُمْ عَمَّهُ "سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ" حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلُبِ ﷺ، وَبَقِيَّةُ شُهَدَاءِ أَحَدٍ وَبَدْرٍ وَحُنَيْنٍ وَغَيْرِهَا.^(٥)

وَقَدْ أَثْبَتُوا شَجَاعَةً مُنْقَطِعَةَ النَّظِيرِ إِبَانِ فَتُوحِ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ وَمِصْرَ، وَفِي كُلِّ مَعَارِكِهِمُ الَّتِي أَذْهَلَتْ الْأَعْدَاءَ ﷻ.^(٦)

(١) ابن سيد الناس: عيون الأثر، ج ٢/٤٢٢؛ وابن قيم الجوزية: زاد المعاد، ج ٣/٩٠.

(٢) انظر: مجموع روايات مسلم المتعددة في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين، ج ٥/١٦٧ - ١٦٩؛ وانظر: أحداث غزوة حنين عند ابن كثير، السيرة النبوية، ج ٣/٦١٠، وما بعدها؛ وشاهت الوجوه أي: قبحت.

(٣) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ١/٦٢٨؛ والسهيلي، الروض الأنف، ج ١/٢٢٨، ٢٢٩.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٨٦٩.

(٥) انظر كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين)، القسم الثالث (إنا فتحنا لك...).

(٦) انظر كتابي: (الفتوح الإسلامية عبر العصور).

حزمه وعزمه ﷺ:

الحَزْمُ في اللغة العربية: مأخوذ من الحاء والزاء والميم، وهي أصل واحد، وهو شدُّ الشيء وجمعه. وهو قياس مطَّرد. فالْحَزْمُ والحَزَامَةُ: جودة الرأي، واجتماعه وألا يكون مضطرباً منتشراً، والحزام للسرّج من هذا. والمتحزِّم: المتلبِّب. والحُزْمَةُ من الحطب وغيره معروفة. والحَيَزُوم والحَزِيم: الصدر؛ لأنه مجتمع عظامه ومشدّها. حزمه ﷺ وعدم ترده .

والْحَزْمُ: ضَبْطُ الأمر والأخذُ فيه بالثِّقَّة والحذر من فواته وذهابه.^(١)

والعزم لعله أقوى من الحزم، ووصف به بعض الأنبياء، قال - تعالى -: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَانَهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَغَ فُهْلُ يَهُلِكَ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الأحقاف: ٣٥].^(٢)

وقيل من الحزم أن تستشير أهل الرأي وتطيعهم. وهو العزم وقد حَزَمَ فهو حازِمٌ وحَزِيمٌ. أي: عاقل مُميِّز ذو حنْكَة. وفي الحديث: مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لُبَّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ. أي: أَذْهَبَ لِعَقْلِ الرَّجُلِ الْمُحْتَرِزِ فِي الْأُمُورِ الْمُسْتَظْهَرِ فِيهَا. والحازم من يتصرّف بحزم وحسم، فهو قد وقف موقفاً كله الحزم. والعزم والحزم يأتي بمعنى واحد ومنه قوله - تعالى -: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَأْتِ بِدَلِيلٍ لَوِ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].^(٣)

(١) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ١٢/ ١٣١.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٧١٥.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٤١٣.

وقد وردت لفظة الحزم في الحديث عن صلاة الوتر، أنه ﷺ قال لأبي بكر: ((أخذت بالحزم)).^(١)

ومع أنه ﷺ كان مثلاً للتسامح إلا أنه كان حازماً في اتخاذ الأمور لا يتردد في إصدار القرارات واتخاذ المواقف الواضحة والجريئة، حينما يستدعي الأمر ذلك. ومن ذلك أمره بهدم مسجد الضرار الذي بناه المنافقون إرساداً لمن حارب الله ورسوله، وقصته: أن استأذن بعض المنافقين من النبي ﷺ أن يبنوا مسجداً في نواحي المدينة، حين كان ﷺ عازماً على التوجه إلى تبوك في غزوته المشهورة، مظهرين الخير مبطنين غير ذلك. وطلبوا منه ﷺ أن يصلى فيه فأذن لهم ﷺ ووعدهم أن يأتي مسجدهم ويصلي فيه بعد عودته من تبوك.^(٢)

وحين أقبل ﷺ عائداً، وقبل دخوله المدينة ﷺ، نزل عليه قوله - تعالى -: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضَرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَاداً لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [التوبة: ١٠٧] ^(٣).

فأمر النبي بحرق مسجد الضرار وهدمه، في قرار فوري ونافذ وحازم، في وقت كان ﷺ يبنى المساجد ويحث على ذلك. أما هذا المسجد فلم يكن لشيء سوى الإضرار بالرسول ﷺ وبدعوته وبالمسلمين.^(٤)

(١) رواه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب في الوتر قبل النوم، ج ٦٧/٢، ح برقم: ١٤٣٤؛ أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في الوتر، ج ٣٧٩/١، حديث رقم: ١٢٠٢.

(٢) انظر: ابن كثير، السيرة النبوية، ج ٩٠٧/١.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٩٠٧/١؛ وكتابي: (رسول الله وخاتم النبيين)، القسم الثالث، ص ٨٢٢.

(٤) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٥١/٣؛ والمغازي للواقدي، ج ١٨٤/١.

كما كان حازماً مع بعض أعدائه ممن كانوا لا يستحقون الشفقة، مع أنه ﷺ كان أرحم الناس. ومن ذلك انتدابه سرية بقيادة محمد بن مسلمة لقتل كعب بن الأشرف الذي آذى الله ورسوله كثيراً، وكان يجمع الأعداء لقتل الرسول ﷺ والقضاء على دعوته. وكذلك موقفه ممن خان العهد من بني قريظة وحارب مع الأحزاب ضد المسلمين من الداخل.^(١)

وموقفه ﷺ من أبي عزة الذي كان ممن أسرى في غزوة بدر، قال: وكان محتاجاً ذا بنات فقال: يا رسول الله لقد عرفت مالي من مال وإني لذو حاجة وذو عيال فامنن عليّ، فمن عليه رسول الله ﷺ، وأخذ عليه أن لا يظهر عليه أحداً، ثم إنه نقض ما كان عاهد عليه الرسول، فلما كان يوم أحد أسر فسأل النبي ﷺ أن يمن عليه أيضاً فقال النبي ﷺ: ((لا أدعك تمسح عارضيك وتقول خدعت محمداً مرتين)) ثم أمر به فقتل، وكان مستحقاً لذلك.^(٢)

وكذلك النضر بن الحارث، فقد قتل يوم بدر صبراً مع اثنين آخرين من المشركين، هما عقبة بن أبي معيط وطعيمة بن عدي. وكانوا قد آذوا الرسول ﷺ وشاركوا في قتل بعض الصحابة فاستحقوا العقوبة بهذا الموقف الحازم منه ﷺ.^(٣)

كما عُرِفَت قصة الذين قتلوا راعي رسول الله ﷺ وسرقوا إبله، فكان ﷺ حازماً في القصاص منهم وفيه نزل قوله - تعالى -: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣].^(٤)

(١) ابن هشام ن السيرة النبوية، ج ٣/ ٢٣٣؛ وانظر: كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين)، القسم الثالث.

(٢) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤/ ٦٤١.

(٣) انظر: كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين)، القسم الثالث.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٦٠٩؛

وكتابي: (بناء المجتمع المدني في السيرة النبوية)، ص ٦٢.

وليس هذا فحسب، بل كان حازماً في إقامة الحدود على مستحقيها.

كما كان ﷺ حازماً في الحرب يظهر كل ما يمكن من قوة أمام الأعداء، من مظهر وصوت وغيره. وقد وضع البخاري في صحيحه (باب الرَّجَزِ فِي الْحَرْبِ وَرَفْعِ الصَّوْتِ فِي حَفْرِ الْخَنْدَقِ)^(١)

وعن أنس بن مالك: ((أن النبي ﷺ دخل مكة عام الفتح وعلى رأسه مغفر. فلما نزعه جاءه رجل فقال: ابن خطل متعلق بأستار الكعبة. فقال: اقتلوه)).^(٢)

واللين عند الحاجة وسمو الأخلاق لا يمنع الحزم في المواقف التي تتطلب ذلك. ولعل من اطلع على تصرفاته الإدارية ﷺ يدرك ذلك بعمق، وكذلك تطبيقه الحدود على من يستحقها لم يمنعه من الرحمة في حق الآخرين، فلا تناقض بين الحزم ولين الجانب وحسن الخلق، والعدل في الحدود، وهي من متطلبات القيادة للزعماء.^(٣)

كان الرسول ﷺ يتشاور مع المسلمين، ويستمع إلى آرائهم، ثم يعزم ويحزم أمره، ومن ذلك أخذه بمشورة سلمان الفارسي ﷺ يوم الأحزاب حينما أشار عليه بحفر الخندق.

* * * * *

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب الرجز في الحرب ورفع الصوت في حفر الخندق، ج ٤/٢٥.

(٢) انظر: رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح، ج ٥/٩٢.

(٣) انظر كتابي: (التخطيط والإدارة في السيرة النبوية).

التيسير:

مَصْدَرُ يَسْرَ، وَهُوَ مَأْخُودٌ مِنْ مَادَّةٍ (ي س ر) الَّتِي تَدُلُّ عَلَى انْفِتَاحِ شَيْءٍ مَا وَخَفَتْهِ^(١).

وَمِنْهُ الْيُسْرُ ضِدُّ الْعُسْرِ، وَمِنْهُ يَسَّرَتِ الْغَنَمُ إِذَا كَثُرَ لِبَنُهَا وَنَسَلُهَا، وَيُقَالُ: رَجُلٌ يَسِرُّ وَيَسَّرُ أَيُّ حَسَنُ الْإِتْقَادِ، وَالْيَسَارُ: الْغَنَى،^(٢) يُقَالُ: تَيَسَّرَ كَذَا وَاسْتَيْسَرَ أَيُّ تَسَهَّلَ.^(٣)

وَالْيَسِيرُ وَالْمَيْسُورُ: السَّهْلُ، وَالْيَسِيرُ يُقَالُ فِي الشَّيْءِ الْقَلِيلِ. وَالْمَيْسَرَةُ: الْمُلَايَنَةُ. وَفِي الْحَدِيثِ ((إِنَّ هَذَا الدِّينَ يُسْرٌ))،^(٤) أَرَادَ أَنَّهُ سَهْلٌ سَمَحٌ قَلِيلٌ التَّشْدِيدِ، يُقَالُ يَسَّرَهُ اللَّهُ لِلْيُسْرَى: أَيُّ وَفَّقَهُ لَهَا، وَفِي الْحَدِيثِ ((يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا))^(٥) وَفِي الْحَدِيثِ الْآخِرِ ((مَنْ أَطَاعَ الْإِمَامَ وَيَاسَرَ الشَّرِيكَ))^(٦) أَيُّ سَاهَلَهُ. أَمَّا مَا جَاءَ فِي قَوْلِهِ ﷺ: ((تَيَاسَرُوا فِي الصَّدَاقِ)) فَمَعْنَاهُ: لِينُوا تَسَاهَلُوا فِيهِ وَلَا تُغَالُوا.^(٧)

وَالْيُسْرُ لِينٌ وَسُهُولَةٌ وَإِتْقَادٌ وَرَفْعٌ لِلْمَشَقَّةِ وَالْحَرَجِ عَنِ الْمُكَلَّفِ بِأَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ لَا يُجْهَدُ النَّفْسَ وَلَا يُثْقَلُ عَلَى الْإِنْسَانِ فِي الْعِبَادَاتِ وَغَيْرِهَا.^(٨)

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج ١/٢ - ٩؛ والصاحح للجوهري، ج ٥/٣٤.

(٢) الزبيدي، تاج العروس، ج ٣/٦٢٦.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٢٣٨.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدين يسر، ج ١/١٥٠.

(٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، ج ١/٢٥٠.

(٦) رواه النسائي في سننه، كتاب الجهاد، باب فضل الصدقة في سبيل الله ﷺ، ج ٦/٤٩، ٥٠.

(٧) انظر: عبد الرزاق في مصنفه، كتاب النكاح، باب غلاء الصداق، ج ٦/١٧٤، ح برقم: ١٠٣٩٨.

(٨) انظر: صالح بن حميد وآخرين، ج ٤/١٣٩٩.

وَالْيُسْرُ وَالْيُسْرَ يُسْتَعْمَلَانِ فِي مَعْنَى اللَّيْنِ وَالانْقِيَادِ، أَمَّا الْيُسْرُ بِضَمِّ الْيَاءِ وَالْيُسْرُ (بِضْمَتَيْنِ) فَهُوَ نَقِيضُ الْعُسْرِ، وَالْعُسْرُ وَالْيُسْرَى: الْأَمْرُ السَّهْلُ. ^(١)
وَفِي مَفْهُومِ قَوْلِ اللَّهِ - تَعَالَى -: ﴿...يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ...﴾ [البقرة].

قَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ أَرِيدُوا لِأَنْفُسِكُمْ الَّذِي أَرَادَ اللَّهُ لَكُمْ مَعَ الْعَمَلِ بِمَا يَرْضَاهُ اللَّهُ مِنْهُ فِي الدُّنْيَا. وَهُوَ مِنْ قَوْلِهِمْ قَدْ يَسَّرْتَ غَنَمُ فُلَانٍ إِذَا تَهَيَّأَتْ لِلْوِلَادَةِ. ^(٢)

قَالَ الشَّعْبِيُّ رحمه الله وغيره: (إِذَا اخْتَلَفَ عَلَيْكَ أَمْرَانِ فَإِنَّ أَيْسَرَهُمَا أَقْرَبُهُمَا إِلَى الْحَقِّ لِقَوْلِهِ - تَعَالَى -: لِيُرِيدَ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدَ بِكُمُ الْعُسْرَ). وبالتالي فالفطر أيسر وأفضل عندهم. ^(٣)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رحمه الله قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدَّلْجَةِ)). ^(٤)

وَقَدْ قَالَ - تَعَالَى -: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج].

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج ٥/٢٩٥.

(٢) ابن كثير، تفسيره، ج ١/٢٣٩؛

وابن منظور، لسان العرب، ج ٥/٢٩٥.

(٣) المغني، ج ٣/١٥٠ - ١٥١.

(٤) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدين يسر، ج ١/١٥٠.

كما قال ﷺ: ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ (٣٨) [الأحزاب].

كما قال - تعالى -: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٦) [المائدة].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّ أَعْرَابِيًّا بَالَ فِي الْمَسْجِدِ، فَتَارَ إِلَيْهِ النَّاسُ لِيَقْعُوا بِهِ. فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((دَعُوهُ وَأَهْرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ دُبُوبًا مِنْ مَاءٍ أَوْ سَجَلًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسَّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسَّرِينَ)).^(١)

عَنْ مِجْنَنِ بْنِ الْأَدْرَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ((إِنَّ خَيْرَ دِينِكُمْ أَيْسَرُهُ إِنَّ خَيْرَ دِينِكُمْ أَيْسَرُهُ، إِنَّ خَيْرَ دِينِكُمْ أَيْسَرُهُ)) وَقَالَ فِي لَفْظٍ آخَرَ: ((إِنَّكُمْ أُمَّةٌ أُرِيدَ بِكُمْ الْيُسْرُ)).^(٢)

عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا بَعَثَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ فِي بَعْضِ أَمْرِهِ قَالَ: "بَشِّرُوا وَلَا تُتَفَرُّوا، وَيَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا").^(٣)

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء، باب صب الماء على البول في المسجد، ج ١/٦١؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد، ج ١/١٦٣، من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده، ج ٥/٣٢.

(٣) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم الموعظة والعلم كي لا ينفروا، ج ١/٢٥؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب في الأمر بالتيسير وترك التعسير، ج ٥/١٤١.

عَنْ عُرْوَةَ الْفُقَيْمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: كُنَّا نُنْتَظِرُ النَّبِيَّ ﷺ فَخَرَجَ رَجُلًا يَقْطُرُ رَأْسُهُ مِنْ وُضُوءٍ أَوْ غُسْلٍ فَصَلَّى، فَلَمَّا قَضَى الصَّلَاةَ جَعَلَ النَّاسُ يَسْأَلُونَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعَلَيْنَا حَرَجٌ فِي كَذَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ دَيْنَ اللَّهِ ﷻ فِي يُسْرِ (ثَلَاثًا يَقُولُهَا)".^(١)

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى رُخْصَتُهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ تُؤْتَى مَعْصِيَتُهُ)).^(٢) عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَا أَكَادُ أَدْرِكُ الصَّلَاةَ مِمَّا يُطَوِّلُ بِنَا فَلَانَ فَمَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي مَوْعِظَةٍ أَشَدَّ غَضَبًا مِنْ يَوْمِئِذٍ. فَقَالَ: ((أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ مُنْفَرُونَ، فَمَنْ صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ؛ فَإِنَّ فِيهِمُ الْمَرِيضَ وَالضَّعِيفَ وَذَا الْحَاجَةِ)).^(٣) وَقَدْ دَعَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْيُسْرِ. قَالَ - تَعَالَى -: ﴿أَذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ (٢٤) قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٥) وَبَسِّرْ لِي أَمْرِي (٢٦) وَأَحْلِلْ عُقْدَةَ مِنِّ لِسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي (٢٨) [طه].^(٤)

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((اللَّهُمَّ لَا سَهْلَ إِلَّا مَا جَعَلْتَهُ سَهْلًا، وَأَنْتَ تَجْعَلُ الْحَزْنَ إِذَا شِئْتَ سَهْلًا إِنْ شِئْتَ)).^(٥)

وقال - تَعَالَى -: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (٥) ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (٦) [الشرح].

(١) رواه أحمد في مسنده، ج ٦٩/٥؛ و ابن حجر في ترجمته لعقبة في الإصابة، ج ٤٧٩/٢.

(٢) رواه أحمد في مسنده، ج ١٠٨/٢.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب الغضب في الموعظة والتعليم إذا رأى ما يكره، ج ٣١/١؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام، ج ٤٢/٢، ٤٣.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١٢٠٩/٢.

(٥) رواه ابن حبان في صحيحه، ج ٢٥٥/٣، ح برقم: ٩٧٤.

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ عليه السلام كَانُوا يَقُولُونَ: (لَا يَغْلِبُ عُسْرٌ وَاحِدٌ يُسْرَيْنِ اثْنَيْنِ).^(١)

وقال - تعالى -: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِفُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ، فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَنَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ، حَاضِرِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ البقرة.^(٢)

وكتاب الله ميسر لرسوله عليه السلام وللأمة قال - تعالى -: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ٥٨ ﴿فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ﴾ ٥٩ [الدخان].^(٣)

وقال - تعالى -: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ ١٧ ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ﴾ ١٨ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ﴾ ١٩ [القمر].^(٤)

وقال - تعالى -: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ ٤٠ [القمر].^(٥)

وقال - تعالى -: ﴿سَنُفَرِّقُكَ فَلَا تَنْسَى﴾ ٦ ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾ ٧ ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى﴾ ٨ [الأعلى].^(٦)

قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عليه السلام: ((سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ عَلَى غَيْرِ مَا أَقْرَأُهَا، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ عليه السلام أَقْرَأَ نَبِيَّهَا، وَكَدْتُ أَنْ

(١) تفسير ابن كثير، ج ٢/ ٢٠٠٩.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٢٥١.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٦٩٥.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٧٨٩ - ١٧٩٠.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٧٩١.

(٦) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٩٨٥.

أَعْجَلَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَمَهَلْتُهُ حَتَّى انْصَرَفَ، ثُمَّ لَبَيْتُهُ بِرِدَائِهِ فَجِئْتُ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ عَلَى غَيْرِ مَا أَقْرَأْتِيهَا. فَقَالَ لِي: أَرْسِلْهُ. ثُمَّ قَالَ لَهُ: اقْرَأْ فَقَرَأَ. قَالَ: هَكَذَا أُنْزِلَتْ. ثُمَّ قَالَ لِي: اقْرَأْ. فَقَرَأْتُ. فَقَالَ: هَكَذَا أُنْزِلَتْ. إِنَّ الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ، فَاقْرَءُوا مِنْهُ مَا تَيْسَرُ)).^(١)

عَنْ أُسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: (أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ عِنْدَهُ، كَأَنَّمَا عَلَى رُءُوسِهِمُ الطَّيْرُ. قَالَ: فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَقَعَدْتُ قَالَ: فَجَاءَتِ الْأَعْرَابُ فَسَأَلُوهُ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ تَتَدَاوَى. قَالَ: "نَعَمْ تَدَاوَوْا؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ دَوَاءً غَيْرَ دَاءٍ وَاحِدٍ الْهَرَمَ" قَالَ: وَسَأَلُوهُ عَنْ أَشْيَاءَ هَلْ عَلَيْنَا حَرَجٌ فِي كَذَا وَكَذَا؟ قَالَ: "يَا عِبَادَ اللَّهِ وَضَعَ اللَّهُ الْحَرَجَ إِلَّا أَمْرًا اقْتَضَى أَمْرًا مُسْلِمًا ظُلُمًا فَذَلِكَ حَرَجٌ وَهَلْكَ". قَالُوا: مَا خَيْرُ مَا أُعْطِيَ النَّاسُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "خُلُقٌ حَسَنٌ").^(٢)

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((إِنَّ مِنْ يُمْنِ الْمَرْأَةِ تَيْسِيرَ خِطْبَتِهَا وَتَيْسِيرَ صَدَاقِهَا وَتَيْسِيرَ رَحِمِهَا)).^(٣)

عن عطاء بن فروخ مولى القرشيين، أن عثمان اشترى من رجل أرضاً فأبطأ عليه فلقبته، فقال له: (مَا مَنَعَكَ مِنْ قَبْضِ مَالِكَ؟ قَالَ: إِنَّكَ غَبَنْتَنِي،

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، ج ٦ / ١٠٠؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه، ج ٢ / ٢٠٢.

(٢) رواه أبو داود في سننه، كتاب الطب، باب في الرجل يتداوى، ج ٤ / ٣، ح برقم: ٣٨٥٥؛ وفي كتاب المناسك، باب فيمن قدم شيئاً في حجه، ج ٢ / ٢١٨، ح برقم: ٢٠١٥؛ ورواه ابن ماجه في سننه، كتاب الطب، باب ما أنزل الله داءً إلا أنزل له شفاءً، ج ٢ / ١١٣٧، ح برقم: ٣٤٣٦؛ وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب الطب، باب ما جاء في الدواء، ج ٤ / ٣٨٣، ح برقم: ٢٠٣٨؛ وأحمد في مسنده، ج ٤ / ٢٧٨.

(٣) رواه أحمد في مسنده، ج ٦ / ٧٧، ٩١؛ ورواه الحاكم، ج ٢ / ١؛ والبيهقي في السنن الكبرى، ج ٧ / ٢٣٥.

فَمَا أَلْقَى مِنَ النَّاسِ أَحَدًا إِلَّا وَهُوَ يَلُومُنِي، قَالَ: أَوَذَلِكَ يَمْنَعُكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَاخْتَرْ بَيْنَ أَرْضِكَ وَمَالِكَ، ثُمَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَدْخَلَ اللَّهُ ﷻ الْجَنَّةَ رَجُلًا كَانَ سَهْلًا مُشْتَرِيًا وَبَائِعًا وَقَاضِيًا وَمُقْتَضِيًا".^(١)

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((حُرِّمَ عَلَى النَّارِ كُلُّ هَيْنٍ لَيْنٍ سَهْلٍ قَرِيبٍ مِنَ النَّاسِ)).^(٢)

وَالسَّمَاحَةَ جُزْءًا مِنَ التَّيْسِيرِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((دَخَلَ رَجُلٌ الْجَنَّةَ بِسَمَاحَتِهِ قَاضِيًا وَمُقْتَضِيًا)).^(٣)

وَمِنَ التَّيْسِيرِ السَّمَاحَةُ فِي الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمَحًا إِذَا بَاعَ وَإِذَا اشْتَرَى وَإِذَا اقْتَضَى)).^(٤)

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ((مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا - أَوْ وَضَعَ عَنْهُ - أَظْلَمَ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ)).^(٥)

عَنْ بُرَيْدَةَ الْأَسْلَمِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا كَانَ لَهُ كُلُّ يَوْمٍ صَدَقَةٌ، وَمَنْ أَنْظَرَهُ بَعْدَ حِلِّهِ كَانَ لَهُ مِثْلُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ صَدَقَةً)).^(٦)

(١) رواه النسائي في سننه، كتاب البيوع، حسن المعاملة والرفق في المطالبة، ج ٣١٨/٧، ٣١٩؛ ورواه ابن ماجه في سننه، كتاب التجارات، باب السماحة في البيع، ج ٧٤٢/٢؛ ورواه أحمد في المسند، ج ٥٨/١؛ وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب البيوع، ج ٦١٠/٣، ح برقم: ١٣٢٠.

(٢) رواه الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة الرقائق والورع، ج ٦٥٤/٤؛ ح برقم: ٢٤٨٨؛ ورواه أحمد في مسنده، ج ٤١٥/١.

(٣) رواه أحمد في مسنده، ج ٢١٠/٢.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع ومن طلب حقاً فليطلبه في عفاف، ج ٩/٣.

(٥) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد الرقائق، باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر، ج ٢٣١/٨، ٢٣٢.

(٦) رواه أحمد في مسنده، ج ٣٥١/٥.

عَنْ أَبِي قَتَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: كَانَ لَهُ دَيْنٌ عَلَى رَجُلٍ وَكَانَ يَأْتِيهِ يَتَقَاضَاهُ فَيَخْتَبِئُ مِنْهُ فَجَاءَ ذَاتَ يَوْمٍ فَخَرَجَ صَبِيٌّ فَسَأَلَهُ عَنْهُ؛ فَقَالَ: نَعَمْ، هُوَ فِي الْبَيْتِ يَأْكُلُ خَرِيْزَةً فَنَادَاهُ. فَقَالَ: يَا فُلَانُ اخْرُجْ فَقَدْ أَخْبَرْتُ أَنَّكَ هَاهُنَا، فَخَرَجَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: مَا يُغِيْبُكَ عَنِّي؟ فَقَالَ: إِنِّي مُعْسِرٌ وَلَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ، قَالَ: اللَّهُ إِيَّاكَ مُعْسِرٌ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَبَكَى أَبُو قَتَادَةَ ثُمَّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: ((مَنْ نَفَسَ عَنْ غَرِيْمِهِ أَوْ مَحَا عَنْهُ كَانَ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))، وَفِي لَفْظٍ: ((مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنْجِيَهُ اللَّهُ مِنْ كَرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلْيُنْفَسْ عَنْ مُعْسِرٍ أَوْ يَضَعْ)).^(١)

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: ((أَلَمْ أُخْبَرَ أَنَّكَ تَقُومُ اللَّيْلَ وَتَصُومُ النَّهَارَ؟ قُلْتُ: بَلَى. قَالَ: فَلَا تَفْعَلْ، قُمْ وَنَمْ وَصُمْ وَأَفْطِرْ، فَإِنَّ لِحَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِرُؤُوكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِرُؤُوجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّكَ عَسَى أَنْ يَطُولَ بِكَ عُمْرٌ وَإِنَّ مِنْ حَسْبِكَ أَنْ تَصُومَ كُلَّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنَّ بِكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرَ أَمْثَالِهَا، فَذَلِكَ الدَّهْرُ كُلُّهُ، قَالَ: فَشَدَدْتُ فَشَدَدَ عَلَيَّ قُلْتُ: فَإِنِّي أَطِيقُ غَيْرَ ذَلِكَ. قَالَ: فَصُمْ مِنْ كُلِّ جُمُعَةٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، قَالَ: فَشَدَدْتُ فَشَدَدَ عَلَيَّ، قُلْتُ: إِنِّي أَطِيقُ غَيْرَ ذَلِكَ، قَالَ: فَصُمْ صَوْمَ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ. قُلْتُ: وَمَا صَوْمُ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ؟ قَالَ: نَصْفُ الدَّهْرِ)).^(٢)

وَمِنْ أَمْثَلِهِ تَسَامُحُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: (دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَعِنْدِي جَارِيَتَانِ تُغْنِيَانِ بَغْنَاءَ بُعَاثٍ، فَاضْطَجَعَ عَلَى الْفِرَاشِ وَحَوَّلَ وَجْهَهُ. وَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَانْتَهَرَنِي. وَقَالَ: مَرْمَارَةُ الشَّيْطَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: "دَعُهُمَا". فَلَمَّا غَفَلَ غَمَزَتْهُمَا فَخَرَجَتَا، وَكَانَ يَوْمٌ

(١) انظر: مسلم في صحيحه، كتاب البيوع، باب إنظار المعسر، ج ٣٣/٥ - ٣٤.

(٢) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب حق الجسم في الصوم، ج ٢٤٥/٢.

عِيدٍ يَلْعَبُ فِيهِ السُّودَانُ بِالْدَّرَقِ وَالْحَرَابِ. فَإِمَّا سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ، وَإِمَّا قَالَ: تَشْتَهِينَ تَنْظُرِينَ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ. فَأَقَامَنِي وَرَأَاهُ خَدِّي عَلَى خَدِّهِ وَهُوَ يَقُولُ: "دُونَكُمْ يَا بَنِي أَرْفَدَةَ". حَتَّى إِذَا مَلَكْتُ قَالَ: "حَسْبُكَ؟" قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: "فَادْهَبِي".^(١)

وقد تعلم أصحاب النبي ﷺ من السماحة وعدم الضغط على النفس. آخَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ سَلْمَانَ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ، فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَدِّلَةً، فَقَالَ لَهَا: مَا سَأَلُكَ؟ قَالَتْ: أَحُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا. فَجَاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ، فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا، فَقَالَ: كُلْ فَإِنِّي صَائِمٌ. فَقَالَ: مَا أَنَا بِأَكِلٍ حَتَّى تَأْكُلَ، فَأَكَلَ. فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقُومُ، فَقَالَ: نَمْ، فَنَامَ، ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ، فَقَالَ: نَمْ، فَنَامَ فَلَمَّا كَانَ آخِرَ اللَّيْلِ قَالَ سَلْمَانُ: قُمْ الْآنَ، قَالَ: فَصَلَّيَا. فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلَأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ. فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "صَدَقَ سَلْمَانُ".^(٢)

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ فَرَأَى رَجُلًا قَدِ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيْهِ، وَقَدْ ظَلَّلَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَا لَهُ؟ قَالُوا: رَجُلٌ صَائِمٌ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((لَيْسَ مِنَ الْبِرِّ أَنْ تَصُومُوا فِي السَّفَرِ. عَلَيْكُمْ بِرُخْصَةِ اللَّهِ الَّذِي رَخَّصَ لَكُمْ)).^(٣)

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب العيدين، باب الحراب والدَّرَق يوم العيد، ج ٢/ ٢ - ٣؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة العيدين، باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه في أيام العيد، ج ٣/ ٢٢.
(٢) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع ولم ير عليه قضاءً إذا كان أوقف له، ج ٢/ ٢٤٣.
(٣) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب قول النبي ﷺ لَمَنْ ظَلَّلَ عَلَيْهِ واشتد الحر ليس من البر الصوم في السفر، ج ٢/ ٢٣٨؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر في غير معصية ...، ج ٢/ ١٦٢.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ؓ لِمَنْ سَأَلَهُ عَنِ الصَّوْمِ فِي السَّفَرِ: يُسْرٌ وَعُسْرٌ. فَخُذْ يُسْرَ اللَّهِ.^(١)

عن سلمان الفارسي ؓ، بلفظ: (سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ السَّيِّئِ وَالْجَبَنِ وَالْفِرَاءِ فَقَالَ: الْحَلَالُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ، وَالْحَرَامُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ، وَمَا سَكَتَ عَنْهُ فَهُوَ مِمَّا عَفَا عَنْهُ).^(٢)

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ؓ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((مَا أَحَلَّ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ حَلَالٌ، وَمَا حَرَّمَ فَهُوَ حَرَامٌ، وَمَا سَكَتَ عَنْهُ فَهُوَ عَافِيَةٌ فَاقْبَلُوا مِنَ اللَّهِ الْعَافِيَةَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُنْ نَسِيًّا ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ ﴿٦٤﴾ (مريم)).^(٣)

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ؓ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ عَائِشَةَ ؓ فِي حِجَّةِ النَّبِيِّ ﷺ، أَهَلَّتْ وَفِيهِ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا سَهْلًا إِذَا هَوَيْتِ الشَّيْءَ تَابَعَهَا عَلَيْهِ فَأَرْسَلَهَا مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ فَأَهَلَّتْ بِعُمْرَةٍ مِنَ التَّعْطِيمِ.^(٤)

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ؓ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((إِنِّي لَأَدْخُلُ الصَّلَاةَ أُرِيدُ إِطَالَتَهَا فَاسْمَعْ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَأُخَفِّفُ مِنْ شِدَّةِ وَجَدِ أُمِّهِ بِهِ)).^(٥)

(١) انظر: الطبري، تفسيره، ج ٢/١٦٢.

(٢) أخرجه الترمذي، في سننه، ج ٤/٢٢٠، ح برقم: ١٧٢٦؛ ورواه ابن ماجه في سننه، ج ٢/١١٧ ح رقم ٣٣٦٧.

(٣) رواه الحاكم في المستدرک، ج ٢/٤٠٦، وقال: صحيح الاسناد، تحقيق: محمد عطا، طبعة دار الكتب العلمية؛

انظر كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين)، القسم الرابع، حجة الوداع.

(٤) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب بيان وجوه الإحرام، ج ٤/٣٥ - ٣٦.

(٥) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب من أخف الصلاة عند بكاء الصبي، ج ١/١٧٣، ١٧٤؛ رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام، ج ٢/٤٤.

وقد قال ﷺ: ((وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلَا أَنْ يَشُقَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مَا قَعَدْتُ خِلَافَ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَبَدًا. وَلَكِنْ لَا أَجِدُ سَعَةً فَأَحْمِلُهُمْ. وَلَا يَجِدُونَ سَعَةً وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأُقْتَلُ، ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ، ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ)).^(١)

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: مَا خَيْرُ رَسُولٍ لِلَّهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ قَطُّ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ قَطُّ، إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ فَيَنْتَقِمُ بِهَا لِلَّهِ.^(٢)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ بِالسَّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ)).^(٣)

وكان أصحاب رسول الله ﷺ يختلفون في العمل أحياناً، ولا يتجاوز خلافهم الحدود الشرعية وقد نفع الله بهذا الاختلاف لأصحاب النبي ﷺ في أعمالهم القابلة لهذا الاختلاف، فلا يعملُ العامِلُ بعملِ رجلٍ منهم إلا رأى أنه في سعة ورأى أنه خيرٌ منه قد عملهُ)).^(٤)

(١) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب تمنى الشهادة، ج ٢/٢٠٣؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله، ج ٦/٣٣، ٣٤.

(٢) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب قول النبي ﷺ: ليسروا ولا تعسروا[وكان يجب التخفيف واليسر على الناس، ج ٧/١٠١؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب مباحته ﷺ للأثار واختياره من المباح أسهله وانتقامه لله عند انتهاك حرماته، ج ٧/٨٠. (٣) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة، باب السواك يوم الجمعة، ج ١/٢١٤؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب السواك، ج ١/١٥١، ١٥٢.

(٤) صالح بن حميد وآخرين، نضرة النعيم، ج ٤/١٤٨١، (بتصرف).

قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ﷺ: (مَا أَحَبُّ أَنْ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَخْتَلَفُوا؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانُوا قَوْلًا وَاحِدًا كَانَ النَّاسُ فِي ضَيْقٍ، وَإِنَّهُمْ أَيْمَةٌ يُقْتَدَى بِهِمْ فَلَوْ أَخَذَ رَجُلٌ يَقُولُ أَحَدِهِمْ كَانَ فِي سَعَةٍ).^(١)

قَالَ الْخَطَّابِيُّ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ: (اكَفُّوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ: هَذَا أَمْرٌ بِالْاِقْتِصَادِ وَتَرْكِ الْحَمْلِ عَلَى النَّفْسِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِنَّمَا أَوْجَبَ عَلَى الْعِبَادِ وَظَائِفَ مِنَ الطَّاعَاتِ فِي وَقْتٍ دُونَ وَقْتٍ تَيْسِيرًا وَرَحْمَةً).^(٢)

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ ﷺ: (جَمَعَ اللَّهُ ﷻ فِي هَذِهِ الشَّرِيعَةِ بَيْنَ كَوْنِهَا حَنِيفِيَّةً وَكَوْنِهَا سَمْحَةً. فَهِيَ حَنِيفِيَّةٌ فِي التَّوْحِيدِ. سَمْحَةٌ فِي الْعَمَلِ).^(٣)

قال - تعالى - فِي وَصْفِ نَبِيِّنَا ﷺ: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَحْدُثُ لَهُمْ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [١٥٧] [الأعراف].^(٤)

ويرى ابنُ كثيرٍ ﷺ: (أَنَّ النَّبِيَّ جَاءَ بِالتَّيْسِيرِ وَالسَّامِحَةِ. وَقَدْ كَانَتْ الْأُمَّةُ الَّتِي قَبْلُنَا فِي شَرَائِعِهِمْ ضَيْقٌ عَلَيْهِمْ، فَوَسَّعَ اللَّهُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ أُمُورَهَا وَسَهَّلَهَا لَهُمْ).^(٥)

(١) صالح بن حميد وآخرين، نضرة النعيم، ج ٤/١٤٨١؛ نقلاً عن: (ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله "انظر: ج ٣/١١٩").

(٢) ابن القيم، إغاثة اللهفان، ج ٨/١.

(٣) ابن القيم، إغاثة اللهفان، ج ١/١٥٨.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٧٨٨.

(٥) ابن كثير في تفسيره، ج ١/٧٩١ (بتصرف).

قَالَ الطبري رحمه الله: (من اتبع محمداً ﷺ ودينه وضع عنهم ما كان عليهم من التشديد في دينهم).^(١)

أبو برزة الأسلمي رحمه الله ذكر أنه قد صحب النبي ﷺ فرأى من تيسيره.^(٢)

* * * * *

(١) الطبري، تفسيره، ج ٦/ ٨٦.

(٢) البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب قول النبي ﷺ: (يسروا ولا تعسروا)، ج ٧/ ١٠١ - ١٠٢.

الستر:

الستر هو تَعْطِية الشيء، وهو مصدر سَتَرَ الشيء بمعنى غَطَّاهُ أو أخفاهُ. وكلُّ شيء سَتَرْتَهُ فهو مَسْتُور، والذي تَسْتُرُهُ به سِتْرٌ له. والسِتْرُ والسُتْرَةُ ما يستتر به.^(١)

ولا شك أن الناس يقع منهم الخطأ. وإن حصل ذلك فالطريق الصحيح لإصلاحهم فتح طرق الصلاح وتعزيزها في النفوس، ويأتي في مقدمة ذلك الستر عليهم. الستر هو إخفاء ما يظهر من زلات الناس وعيوبهم. وخصوصاً من كان غير مجاهر في معصيته. فالستر وسيلة لإصلاح حال المستور بأن يرجع عن معصيته ويتوب إلى ﷻ. أما إذا كان المستور ممن يُصِرُّ على الوقوع في المعصية، وممن يفسد في الأرض، فهنا يجب عدم ستره حتى لا يترتب على الستر ضرر يجعل العاصي يتمادي.^(٢) وقد وردت الأوامر النبوية في الستر على المسلمين وعدم فضحهم.^(٣)

وكذلك ستر المسلم على نفسه، عند البخاري رحمه الله في صحيحه (باب ستر المؤمن على نفسه).^(٤)

كما عند الهيثمي (باب الستر على المسلمين).^(٥)

ومن أسباب ستر الله للمسلم في الدنيا والآخرة أن يستر على أخيه المسلم ولا يفضحه إن رأى منه ما يكره، أو رآه في موضع معصية، عن أبي

(١) انظر: الزبيرى، تاج العروس، ج ٣/٢٥٤؛

ابن منظور، لسان العرب، ج ٤/٣٤٣.

(٢) انظر: صالح بن حميد وآخرين نضرة النعيم، ج ٦/٢٢٣٥.

(٣) انظر: صالح بن حميد وآخرين نضرة النعيم، ج ٦/٢٢٣٥ - ٢٢٤٩.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب ستر المؤمن على نفسه، ج ٧/٨٩.

(٥) الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج ٦/٢٨٦.

هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: ((من نفس عن مؤمن كربةً من كُرب الدنيا، نفس الله عنه كربةً من كُرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه، ومن ستر على مسلم ستره الله في الدنيا والآخرة...)). الحديث^(١).

وذلك يساعد على ألا يكون الستر وسيلة لإذلال المستور واستغلاله وتعييره بذنوبه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ يقول: ((كل أمتي معافى إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يصبح وقد ستره الله عليه فيقول يا فلان عملت البارحة كذا وكذا وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه)).^(٢) وعن ابن عمر رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى: ((يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه فيقول عملت كذا وكذا فيقول نعم ويقول عملت كذا وكذا فيقول نعم فيقرره ثم يقول إني سترت عليك في الدنيا فأنا أغفرها لك اليوم)).^(٣)

عن أم هانئ بنت أبي طالب تقول: (ذهبت إلى رسول الله ﷺ عام الفتح فوجدته يغتسل، وفاطمة ابنته تستره فسلمت عليه، فقال: "من هذه"، فقلت: أنا أم هانئ بنت أبي طالب فقال: "مرحباً بأم هانئ"، فلما فرغ من غسله قام فصلى ثماني ركعات ملتحفاً في ثوب واحد. فلما انصرف قلت: يا رسول الله زعم ابن أُمي أنه قاتل رجلاً قد أجرته فلان بن هبيرة، فقال رسول الله ﷺ: "قد أجرنا من أجرنا يا أم هانئ"، قالت أم هانئ: وذاك ضحى).^(٤)

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، ج ٨/٧١؛ وأبو داود في سننه، ص ٨٩٤، ح برقم: ٤٩٤٦؛ والترمذي في سننه؛ ج ٤/٣٢٦، ح برقم: ١٩٣٠؛ وابن ماجه في سننه، ج ٢/٨٥٠، ح برقم: ٢٥٤٤.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب ستر المؤمن على نفسه، ج ٧/٨٩.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب ستر المؤمن على نفسه، ج ٧/٨٩.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب ما جاء في زعموا، ج ٧/١١٠.

عن عائشة ؓ زوج النبي ﷺ حدثته قالت: جاءتني امرأة معها ابنتان تسألني فلم تجد عندي غير تمر واحدة، فأعطيتها فقسمتها بين ابنتيها، ثم قامت فخرجت. فدخل النبي ﷺ فحدثته فقال: ((من يلي من هذه البنات شيئاً فأحسن إليهن كن له ستراً من النار)).^(١)

ولا شك أن مما يعين على الستر عدم تتبع عورات الناس. وقد نهانا الرسول ﷺ عن تتبع عورات الناس وفضح سترهم، قال ﷺ: ((يا معشر من آمن بلسانه، ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته)).^(٢)

كما روي عنه ﷺ: ((من رأى عورة فسترها كان كمن أحيأ مؤودة)).^(٣) ومن أسمائه ﷺ الستار، كما أن من صفاته الستر والعفو. وقال ﷺ: ((إنَّ الله ﷻ حيي ستر، يحب الحياء والستر)).^(٤) والعورات الجسدية يلزم سترها. وقال ﷺ: ((لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل، ولا المرأة إلى عورة المرأة)).^(٥)

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، ج ٧/٧٤.

(٢) رواه أحمد في مسنده، ج ٤/٤٢٤.

(٣) رواه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في الستر عن المسلم، ج ٤/٢٧٤، ح برقم: ٤٨٩١.

(٤) رواه أبو داود في سننه، كتاب الحمام، باب النهي عن التعري، ج ٤/٣٨، ح برقم: ٤٠١٢؛ ورواه النسائي في سننه، كتاب الغسل والتميم، باب الاستتار عن الاغتسال، ج ١/٢٠٠؛ رواه أحمد في مسنده، ج ٤/٢٢٤.

(٥) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الحيض، باب تحريم النظر إلى العورات، ج ١/١٨٣.

وقد سئل النبي ﷺ: يا رسول الله، عوراتنا ما نأتي وما نذر؟ فقال ﷺ: ((احفظ عورتك إلا من زوجك أو ما ملكت يمينك)). فقال السائل: يا نبي الله، إذا كان القوم بعضهم في بعض؟ فقال ﷺ: ((إن استطعت أن لا يراها أحد، فلا يرينها)). قال السائل: إذا كان أحدنا خالياً؟ فقال النبي ﷺ: ((فالله أحق أن يستحيا منه من الناس)).^(١)

والستر يكون عند الاغتسال، فيجب على المسلم إذا أراد أن يغتسل أو يستحم أن يستتر؛ حتى لا يطلع على عورته أحد لا يحق له الاطلاع عليها، ولقد كان النبي ﷺ إذا أراد أن يغتسل استتر عن الناس، ثم اغتسل.

وقد قال ﷺ: ((إن الله ﷻ حيي ستر يحب الحياء والستر، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر)).^(٢)

ومن أبواب الستر إخفاء إحسان الإنسان للناس، ففي الصدقة المسلم لا يبتغي بصدقته إلا وجه الله ﷻ لذا فهو يسترها ويخفيها حتى لا يراها أحد سوى الله ﷻ قال - تعالى -: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْإِتْيَالِ وَالْتِهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٤].^(٣)

(١) رواه أبو داود في سننه، كتاب الحمام، باب ما جاء في التعري، ج ٣٩/٤ - ٤٠، ح برقم: ٤٠١٧؛ رواه الترمذي في سننه، كتاب الأدب، باب ما جاء في حفظ العورة، ج ٩٧/٥، ح برقم: ٢٧٦٩؛ ورواه ابن ماجه في سننه، كتاب النكاح، باب التستر عن الجماع، ج ١٩٢٠/١.

(٢) رواه أبو داود في سننه، كتاب الحمام، باب النهي عن التعري، ج ٣٨/٤، ح برقم: ٤٠١٢؛ ورواه النسائي في سننه، كتاب الغسل والتميم، باب الاستتار عن الاغتسال، ج ٢٠٠/١؛ رواه أحمد في مسنده، ج ٢٢٤/٤.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٣٣١/١.

وقال - تعالى -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ ﴿٢٩﴾ [فاطر].^(١)

وقال - تعالى -: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿٢٧٤﴾ [البقرة].^(٢)

وقال - تعالى -: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا أَبْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ ﴿٢٢﴾ [الرعد].^(٣)

وقال - تعالى -: ﴿قُلْ لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾ ﴿٣١﴾ [إبراهيم].^(٤)

و الله ﷻ عالم بالأسرار لا يخفى عليه شيء. قال - تعالى -: ﴿وَإِن تَجَهَّرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ ﴿٧﴾ [طه].^(٥)

كما أخبرنا النبي ﷺ أن أَحَدَ السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم القيامة رجلٌ تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه. وقال ﷺ: ((صدقة السر تطفئ غضب الرب)).^(٦)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٥٥٤.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٣٣١.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ١٠١٠.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٠٣٦.

(٥) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٢٠٥.

(٦) رواه الطبراني في المعجم الأوسط، ج ١/ ٢٨٩، ح برقم: ٩٤٣؛ وله طرق متعددة يحسن بعضها

بعضاً، (انظر: موقع الدرر السنية) <https://www.dorar.net/h/> بتاريخ ٢٥/١٢/١٤٤١هـ؛

وقال الألباني: (حملة القول إن الحديث بمجموع طرقه وشواهد صحیح بلا ريب، بل يلحق

بالمتواتر عند بعض المحدثين المتأخرين)، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج ٤/ ٥٣٩، ح برقم:

فهكذا يكون الستر في الآخرة، نتيجة لما يقوم به المسلم من ستر لأخيه في الدنيا، والثواب يكون في الدنيا أيضاً، فقد قال ﷺ: ((ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة)).^(١)

والستر ثوابه الجنة. فقد قال رسول الله ﷺ: ((لا يرى مؤمن من أخيه عورة فيسترها عليه، إلا أدخله الله بها الجنة)).^(٢)

والذين لا يسترون الناس وويتحدثون عن معاصي الآخرين قد يدخلون مع الذين يشيعون بينهم الفاحشة، وقد توعد الله أولئك بالعذاب الأليم كما في قوله - تعالى -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور].^(٣)

وبالتالي السنة هي الاقتداء بالرسول ﷺ وامتثال أمره كما في قوله ﷺ: ((المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة)).^(٤)

وعن أبي برزة الأسلمي، قال: قال رسول الله ﷺ: ((يا معشر من آمن بلسانه، ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته)).^(٥)

(١) رواه الترمذي في سننه، كتاب الحدود، باب ما جاء في الستر على المسلم، ج ٤/٣٤، ح برقم: ١٤٢٥.

(٢) الميهني، مجمع الزوائد ومنبع الزوائد، ج ٦/٢٤٦.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/١٣٢١.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم والغضب، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، ج ٣/٩٨.

(٥) ورواه أحمد في مسنده، ج ٤/٤٢٤؛

ورواه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في الغيبة، ج ٤/٢٧١، ح برقم: ٤٨٨٠.

وفي إحدى روايات حديث ماعز رضي الله عنه أنه جاء إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه فقال له: ((إن الآخر زنى - يريد نفسه - فقال له أبو بكر رضي الله عنه: هل ذكرت هذا لأحد غيري؟ فقال: لا. فقال له أبو بكر رضي الله عنه: فثب إلى الله، واستتر بستر الله؛ فإن الله يقبل التوبة عن عباده. فلم تُقرره نفسه، حتى أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال له مثل ما قال لأبي بكر رضي الله عنه، فقال له عمر مثل ما قال له أبو بكر رضي الله عنه. فلم تُقرره نفسه حتى جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له: إن الآخر زنى. فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرّات، كل ذلك يُعرض عنه صلى الله عليه وسلم، حتى إذا أكثر عليه بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله فقال: أيشتكى، أم به جنّة؟ فقالوا: يا رسول الله، والله إنّه لصحيح، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أبكر أم ثيب؟ فقالوا: بل ثيب يا رسول الله، فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرجم^(١))).

ولاشك أن ظن السوء بالناس أعظم من كشف سترهم، وقد نهى الله عن ذلك. قال - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَحْسَبُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحجرات].^(٢)

قال - تعالى -: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [فصلت].^(٣)

وقد أتى رجل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: (إن ابنة لي أصابت حداً، فعمدت إلى الشفرة، فذبحت نفسها، فأدركتها، وقد قطعت بعض

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الحدود، باب لا يرمج المجنون والمجنونة، باب الرجم بالمصلى، ج ٢١/٨ - ٢٣.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١٧٤٧/٢.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١٦٥٤/٢.

أوداجها، فداويتها فبرأت، ثم أُنْهَـا نَسَكْت، فأقبلت على القرآن، فهي تُخْطِب إليّ، فأخبر من شأنها بالذي كان، فقال له عمر: تعمد إلى سِتْر سَتْره الله فتكشفه؟ لئن بلغني أنك ذكرت شيئاً من أمرها لأجعلنك نكالا لأهل الأمصار، بل أنكِحها نكاح العفيفة المسلمة).^(١)

والستر لا يمنع من أداء الشهادة إذا طلبت، قال - تعالى -: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ ءِثْمٌ قَلْبُهُ﴾ (٦٨٣) [البقرة].^(٢)

وهذا من الواجبات الشرعية العدلية، ولا يدخل في كشف الستر.

* * * * *

(١) انظر: رواية عبد الرزاق الصنعاني، في مصنفه، ج ٦/٢٤٦ - ٢٤٧.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٣٤٣.

السكينة:

السكينة خلاف الاضطراب والحركة، يقال: سكن الشيء إذا استقر وثبت. والسكينة تعني الوقار، والوداعة، كما تعني التآني والهدوء، والبعد عن الرعب والعجلة،^(١) وقد يراد بها الرحمة. والسكينة للجوارح مربوط بهدوء في القلب الذي هو موضع السكينة. والسكينة نعمة يهبها الله لبعض عباده، وبها يكون لطفهم مع الخلق وحسن تصرفهم. وصواب فعلهم. وهي صفة للحكماء والعلماء والصالحين، وقد تكون السكينة مصحوبة بالملائكة من عند الله ﷻ.^(٢)

قال ابن القيم رحمه الله في تعريف السكينة: (هي الطمأنينة والوقار والسكون، الذي ينزله الله في قلب عبده عند اضطرابه من شدة المخاوف، فلا ينزعج بعد ذلك لما يرد عليه، ويوجب له زيادة الإيمان، وقوة اليقين والتثبت).^(٣)

وقد ورد الحديث عن السكينة في القرآن الكريم في عدة مواضع منها ما من الله به من سكينة على رسول الله ﷺ وأدت لطمأنينته، ومزيد من الثقة بنصر الله، وصواب في العمل وقوة وشجاعة وانتصاره ﷻ وقد أنزلها الله على رسوله ﷺ ومن معه من أصحابه كما في غزوة حنين.^(٤)

(١) انظر: ابن القيم، مدارج السالكين، (منزلة السكينة)، ج ٢/٤٠٤.

(٢) انظر: ابن منظور لسان العرب، ج ١٣/٢١١؛

الزبيدي، تاج العروس، ج ٩/٣٣٧؛

صالح بن حميد وآخرون، نضرة النعيم، ج ٦/٢٢٦٧.

(٣) انظر: ابن القيم، مدارج السالكين، ج ٢/٤٠٥.

(٤) انظر: كتابي: (رسول الله وخاتم النبيين)، القسم الثالث.

قال - تعالى - : ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٣٥﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [التوبة: (١)]

وما منَّ الله به عليه ﷺ يوم الهجرة. وأنزل من السكينة عليه ونصره على أعدائه. قال - تعالى - : ﴿إِلَّا نُنْصِرُهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [التوبة: (٢)]

وكذلك في غزوة الحديبية. قال - تعالى - : ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤١﴾﴾ [الفتح: (٣)]

وقوله - تعالى - في الحديبية: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةً النَّفْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٢﴾﴾ [الفتح: (٤)]

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٨٦٩.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/ ٨٨٣.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٧٢٥.

(٤) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ٢/ ١٧٣٣.

وقد أرسل الله السكينة لبني إسرائيل كما قال - تعالى - : ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آءَالُ مُوسَىٰ وَآءَالُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤٨] وتعني السكينة شيئاً فيه الوقار والجلالة والقوة والشجاعة.^(١)

والسكينة هبة من الله وصفة في بعض عبادته وسلوك. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون، وأتوها تمشون، عليكم السكينة. فما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فأتموا)).^(٢)

وعن الفضل بن عباس رضي الله عنه، وكان رديف رسول الله ﷺ، أنه قال في عشية عرفة وغداة جمع للناس حين دفعوا: ((عليكم بالسكينة)).^(٣)

وعن أبي قتادة رضي الله عنه عن النبي ﷺ، قال: ((لا تقوموا حتى تروني وعليكم السكينة)).^(٤)

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((يسروا ولا تعسروا، وسكنوا ولا تنفروا)).^(٥)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٣١٣.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة، باب المشي إلى الجمعة، ج ١/٢١٨؛ ومسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب استحباب إتيان الصلاة بوقار وسكينة، ج ٢/١٠٠.

(٣) انظر: مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب استحباب إقامة الحاج التلبية حتى يشرع في رمي جمره العقبة يوم النحر، ج ٤/٧١.

(٤) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب لا يسعى إلى الصلاة مستعجلاً وليقم بالسكينة والوقار، ج ١/١٥٧.

(٥) انظر: البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب قول النبي ﷺ يسروا ولا تعسروا، ج ٧/١٠١.

وكان ﷺ يدعو أن ينزل الله عليه ومن معه السكينة، عن البراء بن عازب ؓ قال: رأيت رسول الله ﷺ يوم الأحزاب ينقل التراب - وقد وارى التراب بياض بطنه - وهو يقول:

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لا قبنا
إن الألى قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أيينا.^(١)

وعن البراء ؓ قال: كان رجل يقرأ سورة الكهف، وعنده فرس مربوط بشطنين فتغشته سحابة، فجعلت تدور وتدنو، وجعل فرسه ينفر منها. فلما أصبح أتى النبي ﷺ فذكر ذلك له. فقال ﷺ: ((تلك السكينة، تنزلت للقرآن)).^(٢)

عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: ((ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده)).^(٣)

وعن أبي هريرة ؓ قال: سمعت ﷺ يقول: ((الفخر والخيلاء في الفدادين، أهل الوبر والسكينة في أهل الغنم. والإيمان يمان والحكمة يمانية)).^(٤)

(١) انظر: البخارى في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب حفر الخندق، ج ٣/٢١٣.
(٢) انظر: البخارى في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب فضل الكهف، ج ٦/١٠٤.
(٣) انظر: مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، ج ٨/٧١.
(٤) انظر: مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان فيه ورجحان أهل اليمن فيه، ج ١/٥٢، ٥٣.

وقد أقتدى الأمة وخصوصاً العلماء برسول الله ﷺ في السكينة، فكان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إذا اشتدت عليه الأمور قرأ آيات السكينة، وكان يقول في واقعة عظيمة جرت له في مرضه؛ (لما اشتد عليَّ الأمر، قلت لأقاربي ومن حولي: اقرءوا آيات السكينة. قال: ثم أقلع عني ذلك الحال).^(١)

وقال تلميذه ابن القيم أيضاً: (قد جربت أنا أيضاً قراءة هذه الآيات عند اضطراب القلب بما يرد عليه، فرأيت لها تأثيراً عظيماً في سكونه وطمأنينته).^(٢)

كما قال: (السكينة الثانية هي... السكينة التي تنطق على لسان المحدثين ليست شيئاً يملك، وإنما هي شيء من لطائف صنع الله - تعالى - تلقي على لسان المحدث الحكمة كما يلقي الملك الوحي على قلوب الأولياء، وتنطق المحدثين بنكت الحقائق مع ترويح الأسرار وكشف الشبه).^(٣)

(١) انظر: ابن القيم، مدارج السالكين، ج ٢/٤٠٤.

(٢) ابن القيم، مدارج السالكين، ج ٢/٤٠٤.

(٣) ابن القيم، مدارج السالكين، ج ٢/٤٠٧.

حِياؤه ﷺ:

الحياء: الحشمة، ضد الوقاحة. وقد حيى منه حياءً واستحيا واستحى فهو حيٌّ، وهو انقباض النَّفس من شيء وتركه حذرًا عن اللوم فيه.^(١)

وهو خُلُق يبعث صاحبه على اجتناب القبيح، ويمنع من التقصير في الحق. وقيل هو: (تغيُّر وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يُعَاب به ويُذَمُّ). والحياء من الحشمة. ويتداخل الحياء مع الخجل ويفترق عنه الخجل: يظهر في الوجه عند ذهاب حجَّة، أو ريبة، وما أشبه ذلك، فهو شيء تتغير به الهيئة. وقد يكون في موضع ريبة.^(٢)

والحياء: هو الارتداع بقوة الحياء، والخجل في الغالب مما كان، والحياء مما يكون.^(٣)

وقد يُستعمل الحياء موضع الخجل حسب الموقف، وقد اتفقت الشريعة والعقول الصحيحة على أن الحياء مانع للإنسان من ارتكاب القبائح والمنكرات التي تشينه، ولا يمنعه من الدفاع عن الحق وقبوله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.^(٤)

والخجل مذموم في كثير من الأحيان، بينما الحياء ممدوح ومستحسن.

(١) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج ٣/٣٢٢.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ج ١٤/٢١٧.

(٣) الزبيري، تاج العروس، ج ١٠/١٠٦.

(٤) انظر: الجزء الثالث من هذه الموسوعة.

وقد قال ﷺ: ((الْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ)).^(١) وفي الحديث: ((إن لكل دين خلقاً، وخلقُ الإسلام الحياء)).^(٢) وفي الحديث: ((الحياء والإيمان قرنا جميعاً، فإذا رفع أحدهما رفع الآخر)).^(٣)

وقد وردت لفظة الحياء في القرآن الكريم عدة مرات منها قوله - تعالى -: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٦].^(٤)

وحياء الله يليق بجلاله وهو كرم وبر وجود ورحمة.

قال ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ حَيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلَ إِلَيْهِ يَدِيهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صَفْرًا خَائِبَتَيْنِ)).^(٥) وورد قوله ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ - تعالى - حَيٌّ سَتِيرٌ يَحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ، فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَتِرْ)).^(٦)

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان وقول الله تعالى ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ [البقرة: ١٧٧]، ج ١/٨؛ ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان، ج ١/٤٦.

(٢) رواه ابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب الحياء، ج ٢/١٣٩٩، ح برقم: ٤١٨١، ٤١٨٢.

(٣) رواه البيهقي في (شعب الإيمان) (٧٣٣١)؛ موقع الدرر السنية في الشبكة. والحاكم في المستدرک (٥٨) وأبو نعيم في حلية الأولياء، ج ٤/٢٩٧.

(٤) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/١٠٥.

(٥) سنن الترمذی، كتاب الدعوات، باب ١٥، ج ٥/٥٥٦، ح برقم: ٣٥٥٦؛ ورواه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب الدعاء، ج ٢/٧٩، ح برقم: ١٤٨٨.

(٦) رواه أبو داود في سننه، كتاب الحمام، باب النهي عن التعري، ج ٤/٣٨، ح برقم: ٤٠١٢؛ رواه النسائي في سننه، كتاب الغسل والتيمم، باب الاستتار عن الاغتسال، ج ١/٢٠٠.

وحياء العبد من الله هو أعظم الحياء، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: ((استحيوا من الله حق الحياء. قال: قلنا: يا رسول الله! إنا نستحي والحمد لله. قال: ليس ذاك، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، وتذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء)).^(١)

والحياء من الله أساس الحياء والإيمان والعمل الصالح، قال ابن رجب: (يدخل فيه حفظ السَّمْع والبصر واللِّسان من المحرّمات، وحفظ البطن وما حوى، يتضمّن حفظ القلب عن الإصرار على ما حرّم الله، ويتضمّن أيضاً حفظ البطن من إدخال الحرام إليه من المأكّل [وتحفظ البطن]. أي: عن أكل الحرام. [وما حوى]. أي ما اتصل اجتماعه به من الفرج والرّجلين واليدين والقلب، فإنّ هذه الأعضاء متّصلة بالجوف، وحفظها بأن لا تستعملها في المعاصي، بل في مرضاة الله تعالى).^(٢)

وقد ورد: أن موسى ﷺ كان رجلاً حياً ستيراً لا يرى من جلده شيء.^(٣) والملائكة تستحي كما ثبت في قوله ﷺ عن عثمان: ((ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة)).^(٤) ولذلك قال بعض الصحابة: إن معكم من لا

(١) رواه الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، ج ٤/٦٣٧، ح برقم: ٢٤٥٨؛ ورواه أحمد في مسنده، ج ١/٣٨٧.

(٢) انظر: ابن رجب، جامع العلوم والحكم، ص ٣٦٣. [وتتذكّر الموت والبلى]. من بلى الشيء إذا صار خلقاً متفتّناً.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى ﷺ، ج ٤/١٢٩.

(٤) رواه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب من فضائل عثمان عفان ﷺ، ج ٧/١١٦، ١١٧؛

وانظر: الهيثمي، مجمع الزوائد، باب في حياته، عثمان ﷺ، ج ٨١/٩.

يفارقكم، فاستحيوا منهم، وأكرمواهم.^(١) وقد نبه - سبحانه - على هذا المعنى بقوله: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۖ كِرَامًا كُنِينَ ۚ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (١٢) ﴿الأنفطار﴾.^(٢)

ويظهر أن أول حياء كان من آدم وحواء، حينما أكلَا من الشجرة التي نهاهما الله عن الأكل منها، حيث بدت لهما سوءاتهما، فأسرعا يأخذان من أوراق الجنة ليسترا عورتيهما، فتحدث القرآن الكريم عن ذلك بقوله ﷻ: ﴿فَدَلَّيْهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ (٢٢) ﴿الأعراف﴾^(٣) وهذا يدلُّ على أنَّ الإنسان مفطورٌ على الحياء.

وقد ورد حياء النبي ﷺ من ربه في عدة حوادث، منها في حادثة المعراج، لما طلب موسى ﷺ من نبيِّنا ﷺ في ليلة الإسراء أن يراجع ربه في تخفيف فرض الصلاة، قال النبيُّ ﷺ لموسى ﷺ: ((استحييت من ربِّي)).^(٤) وورد عند البخاري في صحيحه، كتاب الأدب (باب ذكر أن الله لا يستحي من الحق) في حادثة أمام النبي ﷺ روى فيه عن أم سلمة ﷺ قالت: ((جاءت أم سليم إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن الله لا يستحي من الحق فهل على المرأة غسل إذا احتلمت فقال ﷺ: نعم إذا رأت الماء)).^(٥)

(١) انظر: الترمذي في صحيحه، ح برقم: ٢٨٠٠؛

الشوكاني، نيل الأوطار، ج ٣٤٥/٦.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/١٩٦٩.

(٣) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ١/٧٤٩.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب المعراج، ج ٤/٢٥٠.

(٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الغسل، باب إذا احتملت المرأة، ج ١/٧٤.

وجاء في قصة موسى ﷺ قوله - تعالى - : ﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّكِ أَنْتِ مُدْعَوَةٌ لِجَعَزِكَ أَجْرٌ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ، وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [٢٥] ﴿ القصص. (١)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : ((إن موسى كان رجلاً حياً ستيراً، لا يرى من جلده شيء استحياء منه، فإذا من آذاه من بنى إسرائيل، فقالوا: ما يستتر هذا التستر إلا من عيب بجلده، إما برص وإما أذرة وإما آفة. وإن الله أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى فخلا يوماً وحده، فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل، فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها، وإن الحجر عدا بثوبه، فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر، فجعل يقول: ثوبى حجر! ثوبى حجر! حتى انتهى إلى ملا من بنى إسرائيل، فأروه عرياناً أحسن ما خلق الله، وأبراه مما يقولون. وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه، وطفق بالحجر ضرباً بعصاه، فو الله إن بالحجر لندباً من أثر ضربه ثلاثاً، أو أربعاً، أو خمساً، فذلك قوله - تعالى - : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً ﴾ [٦١] [الأحزاب. (٢)]

وقد شهد القرآن للنبي ﷺ بالحياء كما في قوله - تعالى - : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَبِيطٍ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَعْسِنِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذَى النَّبَى فَيَسْتَحْيِ مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِ مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ

(١) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/ ١٤١٢.

(٢) انظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/ ١٥٢٧.

أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ [الأحزاب: (١)]

وقد وضع البخاري في كتاب الأدب في صحيحه (باب الحياء) (٢) روى فيه عن عمران بن حصين ؓ قال: قال النبي ﷺ: ((الحياء لا يأتي إلا بخير)). فقال بشير بن كعب: مكتوب في الحكمة إن من الحياء وقاراً وإن من الحياء سكينه، فقال له عمران: أحدثك عن رسول الله ﷺ وتحديثي عن صحيفتك. (٣) وقد أشار الصحابة لعظيم حياء النبي ﷺ. فعن أبي سعيد الخدري ؓ قال: ((كان النبي ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها فإذا رأى شيئاً يكرهه عرفناه في وجهه)). (٤)

عن عبد الله بن عمر ؓ مر النبي ﷺ على رجل وهو يعاتب أخاه في الحياء يقول إنك لتستحيي حتى كأنه يقول قد أضربك. فقال رسول الله ﷺ: ((دعه فإن الحياء من الإيمان)). (٥)

وكان الصحابة يستحيون من رسول الله ﷺ فكانوا مع حبهم للنظر إليه ﷺ لا يركزون في نظرهم له حياءً منه ﷺ ومن قصص الصحابة في الحياء حياء فاطمة بنت محمد ﷺ روى أنها احتاجت ﷺ، إلى خادم، فالحال شديد: تطحن بالرحى والغسل، فاحتاجت إلى خادم من مشقة العمل

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاءً﴾ [الأحزاب: ٥٣]، ج ٦/٢٤. وفي الباب جزء من الآية ٥٣ من سورة الأحزاب؛

وانظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/١٥١٤.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الحياء، ج ٧/١٠٠.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الحياء، ج ٧/١٠٠.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب من لم يواجهه الناس بالعتاب، ج ٧/٩٦.

(٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الحياء، ج ٧/١٠٠.

فزوجهها على ﷺ ليس صاحب تجارة وأموال، فمن أين الخادم؟ فذهبت فاطمة ﷺ للنبي ﷺ تسأله خادماً، فقال: ما جاء بك يا بنية؟ قالت جئت أسلم عليك واستحيت أن تقول جئت أطلب خادماً، قالت: "جئت أسلم عليك" وفي الليلة القابلة أتته فقالت مثل ذلك، فاستحيت أن تسأل أباهما الخادم، وكانت بحاجة إليه، ثم النبي ﷺ علمهما ما هو خير لهما من الخادم: "سبحان الله ثلاثاً وثلاثين الحمد لله ثلاثاً وثلاثين والله أكبر أربعاً وثلاثين قبل النوم يغنيان عن الخادم".^(١)

وعن عائشة ﷺ قالت: (كان رسول الله ﷺ مضطجاً في بيتي، كاشفاً عن فخذه أو ساقيه فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلك الحال، فتحدثت، ثم استأذن عمر، فأذن له وهو كذلك، فتحدثت، ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله ﷺ وسوى ثيابه ... فدخل فتحدثت، فلما خرج، قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتش له ولم تباله، ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تباله، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك، فقال: "ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة".^(٢)

(١) الترمذي في سننه، كتاب الدعوات، باب ما جاء في التسبيح والتكبير والتحميد عند

المنام، ج ٥/٧٧، ح برقم: ٣٤٠٨

وانظر: رواية البخاري في صحيحه كتاب الدعوات، باب التكبير والتسبيح عند النوم،

ج ٧/١٤٨ - ١٤٩؛ ورواية مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار،

باب التسبيح أول النهار وعند النوم، ج ٨/٨٤ - ٨٥.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب من فضائل عثمان ﷺ،

ج ٧/١١٦، ١١٧.

عن أبي واقد الليثي أن رسول الله ﷺ بينما هو جالس في المسجد والناس معه، وذكر قصة الثلاثة: حيث إن واحداً منهم جلس خلف، قال النبي ﷺ في شأنه: ((وَأَمَّا الْآخِرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللَّهُ مِنْهُ))^(١).

روت عائشة رضي الله عنها أن امرأة من الأنصار قالت للنبي ﷺ: كيف أغتسل من الحيض؟ قال: ((خذي فِرْصَةَ مَسْلَكٍ، فَتَطْهَرِي بِهَا)) قالت: كيف أتطهر؟ قال: ((تَطْهَرِي بِهَا)) قالت: كيف؟ قال: ((سَبْحَانَ اللَّهِ، تَطْهَرِي)) فاجتذبتها إلى، فقلت: تتبعني بها أثر الدم. وفي رواية: ثم إن النبي ﷺ استحى فأعرض بوجهه^(٢).

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال النبي ﷺ: ((مِثْلُ الْمُؤْمِنِ كَمِثْلِ شَجَرَةِ خَضِرَاءٍ لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا وَلَا يَتَحَاتُّ))، فقال القوم: هي شجرة كذا هي شجرة كذا، فأردت أن أقول هي النخلة وأنا غلام شاب فاستحييت فقال: ((هي النخلة ...)) فحدثت به عمر فقال: لو كنت قلتها لكان أحب إلي من كذا وكذا^(٣).

ومن حياء الصحابة رضي الله عنهم بين يديه ﷺ عن علي رضي الله عنه قال: (كنت رجلاً مدأً فكنت أستحي أن أسأل رسول الله ﷺ لمكان ابنته، فأمرت المقداد فسأله، فقال: يغسل ذكره ويتوضأ)^(٤).

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب الحلق والجلوس في المسجد، ج ١/١٢١ - ١٢٢.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الحيض، باب غسل الحيض، ج ١/٨٠، ٨١؛ ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الحيض، باب استحباب استعمال المغتسلة من الحيض فرصة من مسك في موضع الدم، ج ١/١٧٩.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب ما لا يستحيا من الخف للفقهاء في الدين، ج ٧/١٠٠.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء، باب من لم ير الوضوء إلا من المخرجين، ج ١/٥٢؛ رواه مسلم في صحيحه، كتاب الحيض، باب المذي، ج ١/١٦٩، ١٧٠.

عن أنس رضي الله عنه قال: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ تعرض عليه نفسها فقالت: هل لك حاجة في فقالت ابنته: ما أقل حياءها فقال: ((هي خير منك عرضت على رسول الله ﷺ نفسها)).^(١)

عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كنت أدخل بيتي الذي دُفِنَ فيه رسول الله ﷺ وأبي، فأضع ثوبي، فأقول إنما هو زوجي وأبي، فلما دُفِنَ عمر معهم، فوالله ما دخلت إلا وأنا مشدودة علي ثيابي؛ حياءً من عمر).^(٢)

عن عائشة رضي الله عنها قالت: (جاءت فاطمة بنت عتبة بن ربيعة بتابع النبي ﷺ، فأخذ عليها ﴿أَنْ لَا يُشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقَنَّ وَلَا يَزْنِيَ﴾^(٣)). قالت: فوضعت يدها على رأسها حياءً، فأعجب رسول الله ﷺ ما رأى منها، فقالت عائشة: أَقْرِي أَيْتَهَا الْمَرْأَةُ، فوالله ما بايعنا إلا على هذا. قالت: فنعم إذاً. فبايعها بالآية).^(٤)

والحياء فضيلة من فضائل الفطرة، وهو مادة الخير والفضيلة، وبهذا وصفه النبي ﷺ بقوله: ((الحياء خير كله)).^(٥)

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ، مرَّ على رجل، وهو يعاتب أخاه في الحياء، يقول: إِنَّكَ لتستحيى حتى كأنه يقول: قد أضرَّ بك، فقال رسول الله ﷺ: "دعه، فإنَّ الحياء من الإيمان".^(١)

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب عرض المرأة نفسها على الرجل الصالح، ج ٦/ ١٢٩؛ لمزيد من التوسع انظر: موقع، الدرر السنية السقاف <https://dorar.net/akhlaq> بتاريخ ٢٣/٩/١٤٤١هـ.

(٢) رواه أحمد في مسنده، ج ٦/ ٢٠٢.

(٣) من الآية ١٢ من سورة الممتحنة: وانظر: ابن كثير، تفسيره، ج ٢/ ١٨٦٣.

(٤) رواه أحمد، ج ٦/ ١٥١؛ وابن حبان، ج ١٠/ ٤١٨، وبيعة النساء مذكورة في الصحيحين.

(٥) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان، ج ١/ ٤٦، ٤٧.

(وإنما أفرد ﷺ هذه الخصلة من خصال الإيمان في هذا الحديث، وخصّها بالذكر دون غيرها من باقي شعب الإيمان؛ لأنّ الحياء كالدّاعي إلى باقي الشُّعب، فإنّ صاحب الحياء يخاف فضيحة الدُّنيا والآخرة فيأتمر وينزجر، فلمّا كان الحياء كالسبب لفعل باقي الشُّعب؛ خُصّ بالذكر ولم يذكر غيره معه).^(٢)

قال ابن رجب نقلاً عن ابن عباس ؓ: (الحياء والإيمان في قرن فإذا نزع الحياء تبعه الآخر).^(٣)

وقد رأى رسول الله ﷺ رجلاً يغتسل بالبرّاز،^(٤) فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: ((إِنَّ اللَّهَ ﷻ حَلِيمٌ حَيُّ سِتِيرٌ، يَحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ، فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتِرْ)).^(٥)

عن أنس ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: ((ما كان الفُحْشُ في شيء إلا شانه، وما كان الحياء في شيء إلا زانه)).^(٦)

عن أبي مسعود البديري ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبُوَّةِ الْأُولَى: إِذَا لَمْ تَسْتَحْ فَاصْنَعْ مَا شَتَّ)).^(٧)

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الحياء، ج ١٠٠/٧. (وقد سبق الاستدلال به في موقع آخر).

(٢) وانظر: صالح بن حميد وآخرين، نضرة النعيم، ج ١٧٩٥/٥.

(٣) ابن رجب، جامع العلوم والحكم، ج ٣٦٢/١.

(٤) البراز: المكان البارز الظاهر أمام الناس، غير مستتر عنهم.

(٥) رواه النسائي في سننه، كتاب الغسل والتميم، باب الاستتار عن الاغتسال، ج ١/ ٢٠٠.

(٦) رواه أحمد في مسنده، ج ١٦٥/٣، مع اختلاف في اللفظ.

(٧) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب إذا لم تستح فاصنع ما شئت، ج ١٠٠/٧.

وهذا يؤكد أن الحياء مربوط بالإيمان وبالتالي كان من عمل الأنبياء السابقين ﷺ، وأخالقهم المتقاربة، وأن الحياء من ثوابتهم وهو واجب لديهم، وأنه ما من نبي إلا وقد اتصف به وندب إلى الحياء وبُعث عليه، وأنه مما بقي من شرائعهم.^(١)

قال ابن القيم: (خلق الحياء من أفضل الأخلاق وأجلها وأعظمها قدرًا وأكثرها نفعًا، بل هو خاصّة الإنسانية، فمن لا حياء فيه، فليس معه من الإنسانية إلا اللحم والدّم وصورتها الظاهرة، كما أنه ليس معه من الخير شيء).^(٢)

* * * * *

(١) وانظر: صالح بن حميد وآخرون، نضرة النعيم، ج ٥/١٧٩٥.

(٢) انظر: ابن القيم، مفتاح دار السعادة، ج ١/٢٧٧.

مُزَاحِه:

هو المداعبة، والدُّعَابَةُ المِزَاح. والمُزَاح بضم الميم: كلام أو فعل يراد به المباسطة، بحيث لا يفضى إلى ضرر، مَزَحَ الشَّخْصُ دَعَبَ وَهَزَلَ وتكَلَّمَ بما يُستملح مُتَلَاطِفًا. وتمازح الشخصان: تداعبا. ويقال رجل كثير المزاح، أى يشتهر به، وهو ضدُّ جدٍّ. والمزاح يدخل شيئاً من السرور بين المتمازحين،^(١) ولذلك يمارسه الكبار مع الأطفال الصغار من باب إدخال السرور عليهم، ويكون له مناسبته عند العقلاء، وهو أمر جبل عليه الناس. ويكثر عند بعضهم، ويقل عند آخرين، ويدخل في التسلية، كما يدخل في التعليم أحياناً، وقد ألف أبو البركات الغزي كتاب المراح في المزاح.^(٢) ويحتوي الكتاب على طريف فيه نواذر أدب المزاح. في العصر النبوي وما تلاه من عصر الصحابة. وما ورد في ذم المزاح ومدحه. وقدم له بمقدمة حول أخلاق المزاح وآدابه وشروطه.^(٣)

كان ﷺ جاداً حازماً، ومع ذلك فمن هديه وخلقه ﷺ المِزَاح المتزن دون الخروج عن الصدق. ولا شك أن مزاحه ﷺ كان من باب إدخال السرور والابتسامة على من حوله ﷺ، وجزء من تربيته وتعليمه لأصحابه وللأمة المطالبة بالتأسي به ﷺ. والأصل في المزاح الإباحة في حدود السنة وعدم ضرر الآخرين.^(٤)

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج٢/٥٩٣.

(٢) أبو البركات محمد بن محمد الغزي العامري الدمشقي، المراح في المزاح، بيروت: دار ابن حزم ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.

(٣) أبو البركات الغزي، المراح في المزاح، ص ١ - ٤٠.

(٤) انظر: موقع الدرر السنية، موضوع ضوابط المزاح، <https://www.dorar.net/akhlaq> بتاريخ، ٢٧/١٢/١٤٤١هـ؛

وانظر موقع طريق الإسلام بتاريخ ٢٤/١٠/١٤٤١هـ [/https://ar.islamway.net](https://ar.islamway.net)

ولذلك ما كان ﷺ يُفْرِطُ فِي المَزَاحِ أَوْ يَكْثُرُ الضَّحْكَ، وَهُوَ القَائِلُ ﷺ
لَأَبِي ذَرٍّ ﷺ: ((إِيَّاكَ وَكَثْرَةُ الضَّحْكِ؛ فَإِنَّهُ يَمِيتُ القَلْبَ، وَيَذْهَبُ بِنُورِ
الوَجْهِ)).^(١)

وَمِنَ المَعْرُوفِ أَنَّ المَزَاحَ يَدْعُو لِلضَّحْكِ أَحْيَاءً، لَكِنْ جُلُّ ضَحْكَه ﷺ
التَّبَسُّمُ، وَتَبْدُو نَوَاجِذُهُ أَحْيَاءً.

قَالَ: ((لَا تَكْثُرُوا الضَّحْكَ؛ فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحْكِ تَمِيتُ القَلْبَ)).^(٢) وَفِي
رِوَايَةٍ: ((فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحْكِ فَسَادٌ لِّلْقَلْبِ)).

كَانَ ﷺ مَعَ مَزَاحِهِ يَنْبَسِطُ مَعَ الجَمِيعِ صَغَارًا وَكِبَارًا. وَقَدْ وَضَعَ
التِّرْمِذِيُّ فِي كِتَابِ الشَّمَائِلِ (بَابُ مَا جَاءَ فِي مَزَاحِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ)،^(٣) أَوْرَدَ
فِيهِ عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ تَدَاعِبُنَا قَالَ: ((إِنِّي لَا أَقُولُ
إِلَّا حَقًّا)).^(٤)

كَمَا أَكَّدَ ﷺ عَلَى مَنَعِ الكَذِبِ فِي المَزَاحِ، قَالَ ﷺ: ((وَيْلٌ لِّلَّذِي يَحْدِثُ
بِالحَدِيثِ لِيَضْحَكَ بِهِ القَوْمُ فَيَكْذِبُ، وَيِلُّ لَهُ، وَيِلُّ لَهُ)).^(٥)

(١) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ فِي سُنَنِهِ، كِتَابُ الزُّهْدِ، بَابُ مَنِ اتَّقَى المَحَارِمَ فَهُوَ أَعْبَدُ النَّاسِ، ج ٤/٥٥١.
(٢) انْظُرْ: ابْنُ مَاجَهَ فِي سُنَنِهِ، كِتَابُ الزُّهْدِ، بَابُ الوَرَعِ وَالتَّقْوَى، ج ٢/١٤١٠، ح بِرَقْم: ٤٢١٧؛
وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ فِي سُنَنِهِ كِتَابُ الزُّهْدِ، بَابُ مَنِ اتَّقَى المَحَارِمَ فَهُوَ أَعْبَدُ النَّاسِ، ج ٤/٥٥١، ح
بِرَقْم: ٢٣٠٥.

(٣) التِّرْمِذِيُّ، الشَّمَائِلُ النَبَوِيَّةُ، (اِخْتَصَرَهُ) الألباني، ص ١٢٣؛

وَسُنَنِهِ، كِتَابُ البِرِّ وَالصَّلَةِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي المَزَاحِ، ج ٤/٣٥٧ - ٣٥٨.

(٤) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ فِي سُنَنِهِ، كِتَابُ البِرِّ وَالصَّلَةِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي المَزَاحِ، ج ٤/٣٥٧.

(٥) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ فِي سُنَنِهِ، كِتَابُ الزُّهْدِ، بَابُ فِيمَنْ تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ يَضْحَكُ بِهَا النَّاسُ،
ج ٤/٥٥٧، ح بِرَقْم: ٢٣١٥؛ وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ، كِتَابُ الأَدَبِ، بَابُ فِي التَّشْدِيدِ فِي
الكَذِبِ، ج ٤/٢٩٩، ح بِرَقْم: ٤٩٩٠.

عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((أنا زعيم ببیت فی ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محققاً، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه)).^(١)

كتب الإمام الغزالي رحمه الله متقمصاً كلاً من شخصية المعارض والمؤيد: (فإن قلت: قد نقل المزاح عن رسول الله ﷺ وأصحابه فكيف يُنهى عنه؟ فأقول: إن قدرت على ما قدر عليه رسول الله ﷺ وأصحابه وهو: أن تمزح ولا تقول إلا حقاً، ولا تؤذي قلباً، ولا تُفِرط فيه، وتقتصر عليه أحياناً على الندور، فلا حرج عليك فيه، ولكن من الغلط العظيم أن يتخذ الإنسان المزاح حرفة يواظب عليه).^(٢)

والمزاح الشرعي والضحك، ينبغي أن لا يقوم على تحقير الناس، أو الاستهزاء بهم والسخرية منهم، وينطبق عليه وعلى غيره قوله - تعالى -: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُونَ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءِ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحجرات].^(٣)

كما أن المزاح لا يقوم على تحقير الناس. قال رحمه الله: ((بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم)).^(٤)

(١) رواه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في حسن الخلق، ج٤/٢٥٤، ح برقم: ٤٨٠٠.

(٢) انظر: الإمام الغزالي، إحياء علوم الدين للغزالي، كتاب آفات اللسان، باب الآفة العاشرة: المزاح، ج٣/١٢٩.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج٢/١٧٤٧.

(٤) رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، ج٨/١٠، ١١.

ويصبح المزاح حراماً إذا صاحبه مخالفة شرعية من أي نوع كانت وقد روي عنه ﷺ: ((إن الرجل ليتكلم الكلمة لا يريد بها بأساً إلا ليضحك بها القوم فإنه يقع فيها أبعد ما بين السماء والأرض)).^(١) ولذلك يحرم المزاح الذي تنتهك فيه حدود الله.^(٢)

وقد وجه الرسول ﷺ الصحابة بالبعد عما يروع وإن كان مزاحاً قال ﷺ: ((لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً)).^(٣)

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ: ((لا يشير أحدكم إلى أخيه بالسلاح، فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزع في يده، فيقع في حفرة من النار)).^(٤)

وفي مسلم أنه ﷺ قال: ((من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى يدعه، وإن كان أخاه لأبيه وأمه)).^(٥)

وقال ﷺ: ((لا يأخذن أحدكم متاع صاحبه جاداً ولا لاعباً، وإذا وجد أحدكم عصا صاحبه فليردها عليه)).^(٦)

(١) رواه أحمد في سننه، ج ٣٨/٣.

(٢) انظر: الإمام الغزالي، إحياء علوم الدين للغزالي، كتاب آفات اللسان، باب الآفة العاشرة: المزاح، ج ١٢٩/٣.

(٣) رواه أحمد في سننه، ج ٣٦٢/٥؛ وأبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب من يأخذ الشيء على المزاح، ج ٣٠٣/٤، ح برقم: ٥٠٠٤.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن، باب من حمل علينا السلاح فليس منا، ج ٩٠/٨.

(٥) رواه مسلم في صحيحه، باب النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم، ج ٣٣/٨، ٣٤.

(٦) رواه أحمد في سننه، ج ٢٢١/٤؛ وأبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب من يأخذ الشيء على المزاح، ج ٣٠٢/٤، ح برقم: ٥٠٠٣.

وقد يمتد المزاح إلى باب كبير من أبواب الكبائر، كالاستهزاء ببعض القرآن أو النبي ﷺ أو الأحكام الفقهية أو الصحابة أو العلماء، كما وقع من بعض المنافقين يوم تبوك حين استهزؤا برسول الله ﷺ وأصحابه، فنزل: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِإِلَهِهِمْ وَعِبَادِهِمْ وَرُسُلِهِمْ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْزِدُوهُمْ فَذُكْرَتْكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَآئِفَةٍ مِّنْكُمْ نَعَذِّبُ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [التوبة].^(١)

وقال ﷺ: ﴿وَقَدْ نَزَلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِذْ أَنْتُمْ مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾ [النساء].^(٢)

وقد حذر الله من مجالسة الذين يمزحون خائضين في آيات الله أو مستهزئين بشعره وأهل دينه، قال ﷺ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنعام].^(٣)

روي عن أنس بن مالك ﷺ قال: (إن كان النبي ﷺ ليخالطنا، حتى يقول لأخ لي صغير: "يا أبا عمير ما فعل النغير").^(٤) والنغير: طائر صغير، وكان ﷺ يمازح أنس بن مالك بـ: "يا ذا الأذنين".^(٥)

(١) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٨٩٠.

(٢) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٥٤٣.

(٣) انظر: ابن كثير في تفسيره، ج ١/٦٩٣.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الانبساط إلى الناس، ج ٧/١٠٢.

(٥) رواه الترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب مناقب لأنس بن مالك ﷺ، ج ٥/٦٨١، ح

عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقاً، فأرسلني يوماً لحاجة، فقلت: والله لا أذهب، وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به نبي الله ﷺ، فخرجت حتى أمر على صبيان وهم يلعبون في السوق، فإذا رسول الله ﷺ قد قبض بقفاي من ورائي، قال: فنظرت إليه وهو يضحك، فقال: ((يا أنيس، أذهبت حيث أمرتك؟)) قال: قلت: نعم، أنا أذهب يا رسول الله. ^(١)

وقد مرَّ رسول الله ﷺ بالسوق فرأى رجلاً من أصحابه فأمسكه من خلفه وقال: ((من يشتري هذا العبد)) - ممازحاً - فقال يا رسول الله: إذا تجدني كاسداً! قال: ((لكنك عند الله لست بكاسد)). ^(٢)

وتأتيه امرأة رضي الله عنها فيقول لها: ((أزوجك الذي بعينه بياض؟)). قالت: والله ما بعينه بياض. فقال رضي الله عنه: ((بلى إن بعينه بياضاً))، فقالت: لا والله. فقال: ((ما من أحد إلا بعينه بياض)). ^(٣)

كما روي من مزاحه رضي الله عنه أن امرأة عجوزاً فقالت: يا رسول الله! ادع الله أن يدخلني الجنة، فقال لها النبي ﷺ: ((يا أم فلان إن الجنة لا تدخلها عجوز))، فولت تبكي، فقال: ((أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز، إن الله - تعالى - يقول: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنثَاءً ۖ فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا ۖ عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥

كان ﷺ يمزح مع علي بن أبي طالب ﷺ وهو مضطجع في المسجد ، بعد أن سأل عنه ، فقالت فاطمة: (كان بيني وبينه شيء فغاضبني فخرج فخطبه ﷺ قائلاً: "قم أبا التراب قم أبا التراب").^(١)

وعن أنس ﷺ: (أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله: احملني ، قال النبي ﷺ: "إنا حاملوك على ولد ناقة"، قال: وما أصنع بولد الناقة؟ فقال ﷺ: "وهل تلد الإبل إلا النوق").^(٢)

كان رجل يدعى زاهراً ، من أهل البادية يهدي إلى النبي ﷺ هدية من البادية فيجهزه ﷺ إذا أراد أن يخرج ، فقال ﷺ: ((إن زاهراً باديتنا ونحن حاضروه)). وكان ﷺ يحبه فأتاه ﷺ يوماً وهو يبيع متاعه فاحتضنه من خلفه وهو لا يبصره فقال: من هذا؟ أرسلني. فالتفت فعرف النبي ﷺ فجعل لا يألو ما ألصق ظهره بصدر النبي ﷺ حين عرفه فجعل ﷺ يقول: ((من يشتري هذا العبد؟)) فقال زاهر: يا رسول الله إذاً والله تجدني كاسداً. فقال ﷺ: ((لكنك عن الله لست بكاسد)).^(٣) كما ورد أنه كان رجل يلقب حماراً يضحك النبي ﷺ.^(٤)

(١) رواه البخارى في صحيحه ، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب مناقب علي بن أبي طالب القرشى الهاشمى أبى الحسن ﷺ ، ج٤/٢٠٧ ، ٢٠٨ ؛
ورواه مسلم في صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة ﷺ ، باب من فضائل علي بن أبي طالب ﷺ ، ج٧/١٢٣ ، ١٢٤ .

(٢) رواه أبو داود في سننه ، كتاب الأدب ، باب ما جاء في المزاح ، ج٤/٣٠١ ، ح برقم: ٤٩٩٨ ؛
ورواه الترمذي في سننه ، كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في المزاح ، ج٤/ ٣٥٧ ، ح برقم: ١٩٩١ .

(٣) رواه أحمد في مسنده ، ج٣/١٦١ .

(٤) رواه البخارى في صحيحه ، كتاب الحدود ، باب ما يكره من لعن شارب الخمر وأنه ليس بخارج من الملة ، ج٨/١٤ .

وكان الصحابة رضي الله عنهم يمازحون النبي ﷺ. فعن عوف الأشجعي قال: ((أتيت رسول الله ﷺ في غزوة تبوك وهو في قبّة من آدم، فسلمت، فردّ وقال: ادخل، فقلت: أكلّي يا رسول الله؟ قال: كلّك، فدخلت)).^(١)

وعرف بالمزاح من الصحابة (نعيّمان بن عمرو)، وكان لا يدخل المدينة طرفة أو فاكهة إلا اشترى منها، وأكل بعضها، وأهدى الباقي إلى النبي ﷺ، فإذا جاء صاحبها يطلب ثمنها من نعيّمان أحضره إلى النبي ﷺ وقال: (أعط هذا ثمن متاعه!! فيقول ﷺ: "أولم تهده لي؟"، فيقول: نعم، ولكن، والله ليس عندي ثمنه، ولقد أحببت أن تأكله. فيضحك ﷺ ويأمر لصاحبه بالثمن).^(٢)

وكان يسمر مع نسائه ويمازحهن أحياناً، روى أبو يعلى عن عائشة رضي الله عنها قالت: (أتيت رسول الله ﷺ بخزيرة طبختها له، فقلت لسودة والنبي ﷺ بيني وبينها، فقلت لها: كلى، فأبت، فقلت: لتأكلنّ أو لألطحن وجهك، فأبت، فوضعت يدي في الخزيرة فطلّيت بها وجهها، فضحك النبي ﷺ فوضع فخذه لها، وقال لسودة: "الطخي وجهها"، فلطخت وجهي، فضحك ﷺ).^(٣)

وقدم صهيب على النبي ﷺ وبين يديه تمر وخبز قال: "أدن فكل"، فأخذ يأكل من التمر، فقال له النبي ﷺ: "إن بعينك رمداً"، فقال: يا رسول الله: إنما أكل من الناحية الأخرى. فتبسم رسول الله ﷺ.^(٤)

(١) رواه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب ما جاء في المزاح، ج ٤/٣٠٢، ح برقم: ٥٠٠٠؛

وانظر: ابن كثير، الشرائع النبوية، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، وقد خرج الرواية.

(٢) إحياء علوم الدين للغزالي، ج ٣/١٣٠، ١٣١، كتاب آفات اللسان، الآفة العاشرة: المزاح.

(٣) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد، كتاب النكاح، باب عشرة الناس، ج ٤/٣١٥، ٣١٦؛

إحياء علوم الدين للغزالي، كتاب آفات اللسان، الآفة العاشرة: المزاح، ج ٣/١٢٩، ١٣٠.

(٤) رواه النسائي، ح برقم: ٣١٤٤، موقع الدرر السنية، صحيح ابن ماجه، (٢٧٩٣)؛ ورواه

أحمد في مسنده، ج ٥/٣٧٤.

وقد وردت رواية عن رجل يسمى أسيد ؓ كان يحدث وفيه مزاح، فيضحكهم، فطعنه النبي ﷺ في خاصرته بعود فقال: أصبرني، فقال: (اصطبر)، قال: إن عليك قميصاً وليس عليّ قميص، فرفع ؓ فاحتضنه، وجعل يقبل كشحه قال: إنما أردت هذا يا رسول الله.^(١)

ويتمازح الصحابة فيما بينهم، دون اعتداء أو ضرر أو منهي عنه من كذب ونحوه. سئل ابن عمر ؓ هل كان أصحاب رسول الله ﷺ يضحكون؟ قال: (نعم، والإيمان في قلوبهم أعظم من الجبل).^(٢)

وقال بلال بن سعد: (أدركتهم يضحك بعضهم إلى بعض، فإذا كان الليل كانوا رهباناً).^(٣)

عن بكر بن عبد الله قال: (كَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ يَتَبَادَحُونَ بِالْبَطِيْخِ، فَإِذَا كَانَتْ الْحَقَائِقُ كَانُوا هُمُ الرِّجَالِ).^(٤)

(١) رواه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في قبلة الجسد، ج٤/٣٥٨، ح برقم: ٥٢٢٤.

(٢) انظر: التبريزي، مشكاة المصابيح، ج٤/٣٥٣؛ والإمام أحمد، الزهد، باب العمل والذكر الخفي، دار الكتب العلمية، ص ٨٢.

(٣) التبريزي، مشكاة المصابيح، من شرحه لمعات النقيح، تأليف عبد الحق الدهلوي، تحقيق: تقي الدين الندوي، (باب الضحك)، ج٨/٩٠، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت)؛ (يتبادحون بالبطيخ) أي: يتراوون به.

(٤) خرَّجه البخاري في الأدب المفرد، باب المزاح ٢٦٦؛ نقلاً من كتاب (رش البرد شرح الأدب المفرد) للإمام البخاري ؓ، تأليف الشيخ الدكتور، محمد لقمان السلفي؛ صححه الألباني ؓ.

الخاتمة

في ختام هذا الجزء الخاص بالأدب في حياة النبي ﷺ لا بد من التذكير بأهمية الأدب وما ورد عنه في السنة النبوية، ومن ذلك شمائله ﷺ، التي وردت فيها أبواب متعددة في كتب الصحاح والسنن، مما يعجز الإنسان عن حصره وقد استشهدت بالكثير منها في هذا القسم وخصوصاً ما ورد عند البخاري ومسلم - رحمهما الله - . ولا شك أن الأدب في حياة الرسول ﷺ ثمرة من ثمرات التربية الإلهية له ﷺ والتشريعات الربانية. ويأتي في مقدمة ذلك أدب الرسول ﷺ مع ربه، وهذا جزء رئيس من موضوعات هذه الموسوعة وخصوصاً في هذا القسم.

وكذلك أدب النبي ﷺ مع الأنبياء ﷺ وقبل ذلك أدب الأنبياء ﷺ مع الله ﷻ وهم أسوة لرسول الله ﷺ.

كما رأينا في هذا القسم أيضاً أدب النبي ﷺ مع كتاب الله ﷻ وكلام الله المنزل في القرآن الكريم.

وذكرنا في هذا الجزء قسم رئيس يمس حياة الإنسان المسلم وغيره. ومن ذلك أدب الرسول ﷺ مع الخلق، والتأليف بين الناس وزيادة الترابط بينهم وما يرتبط بذلك مما علمه الناس ﷺ والعباد من الأدب مع الوالدين وبرهما، والأدب مع الأقارب، والأدب مع الزوجات، والأدب مع الأولاد. كما تطرق هذا القسم للأدب في المجالس وأدب البيوت. ومما تطرق له هذا القسم ما يرتبط بأمانته ﷺ وما يرتبط بصدقه وما يرتبط بعدله وما يرتبط بوفائه وما يرتبط بصبره وما يرتبط بحلمه وعفوه وما يرتبط بالتيشير في حياته ﷺ وما يرتبط بالسكينة والستر وما يرتبط كذلك بمزاحه ﷺ وبشجاعته وجده

وحزمه وحيائه ، وكل هذه الموضوعات التي تطرق لها هذا المجلد تعتمد على روايات صحيحة نقلت عنه ﷺ ، إضافة إلى ربط تلك الروايات بأدبه العام ﷺ في كل ناحية مع ما يرتبط بذلك مما ورد في كتاب الله ﷻ بشيء من التوسع الذي ربما يظن البعض أنه زياده. وكلما تذكرنا أن الرسول ﷺ كان خلقه القرآن وجدت من الضروري في أي حال من هذه الأحوال الأدبية في حياته ﷺ أن نربط ما فيها بما في كتاب الله ﷻ وبما في حياة الأنبياء قبله وهم أسوة له ﷺ .

آمل أن يكون في هذا المجلد ما يثري الحديث عن شمائل الرسول ﷺ ويربط المتأسي به ﷺ كما قال - تعالى -: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ۝ ﴾ [الأحزاب] وأنا على ثقة أن كل موضوع من هذه الموضوعات قد يأخذ مجلداً كاملاً ، لكنني راعيت ما يمكن أن يستفيد منه القارئ من خلال تلك الشواهد والتحليلات ، وإن كنت ركزت على الشواهد بالدرجة الأولى مقدماً البخاري ومسلم على غيرهما ، معللاً من آرائي وزياداتي الخاصة في هذا الموضوع على خاتم النبيين ﷺ قدوة المؤمنين وشمائله مما ينبغي لكل مسلم أن يتعلمها ويتأسى بها ﷺ في أدبه مع ربه ﷻ أو في أدبه مع الخلق بمختلف فئاتهم وشرائعهم. والحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

- ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد.
- المغازي، تحقيق عبد العزيز بن إبراهيم العمري، ط١- الرياض: دار اشبيليا ١٤٢١هـ.
- المصنف، صححه عبد الخالق الأفغاني، كراتشي - باكستان: إدارة القرآن والعلوم الإسلامية ١٤٠٦هـ.
- أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم (ت، ١٨٢هـ).
- كتاب الخراج، تحقيق قصي الدين الخطيب، ط٥ - القاهرة: المطبعة السلفية ١٣٩٦هـ.
- ابن الأثير الجزري، المبارك بن محمد بن عبد الكريم، أبو السعادات (ت، ٦٠٦هـ).
- النهاية في غريب الأثر، تحقيق محمد الزاوي ومحمود الطناحي، بيروت: المكتبة الإسلامية (د. ت).
- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت، ٦٣٠هـ، ١٢٣٨م).
- الكامل في التاريخ - بيروت: دار صادر ١٣٨٥هـ.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة - بيروت: دار إحياء التراث العربي (د. ت).
- ابن إسحاق، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي (ت، ١٥١هـ).
- سيرة ابن إسحاق، المسماة بكتاب المبتدأ والمبعث والمغازي، تحقيق محمد حميد الله، ط٢ - قونية تركيا: الوقف للخدمات الخيرية ١٤٠١هـ.

الأصبهاني، أبو نعيم أحمد عبد الله (ت، ٤٣٠هـ).

- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ط٤ - بيروت: دار الكتاب العربي ١٤٠٥هـ.

الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين (ت، ١٤٢٠هـ).

- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، الرياض: مكتبة المعارف ١٤١٥هـ.

- صحيح الجامع الصغير وزيادته، بيروت: المكتب الإسلامي ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

البخاري، الحافظ أبو عبد الله إسماعيل بن إبراهيم (ت، ٢٥٦هـ).

- صحيح البخاري (الجامع الصحيح) - الرياض: دار إشبيلية -؛ ط١ - بيروت: دار الفكر ١٤١١هـ. (بالصفحات).

- الرياض: دار السلام ١٤١٧هـ (بالأرقام) حسب المعجم المفهرس.

- الأدب المفرد - بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية ١٤٠٦هـ.

البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البغدادي (ت، ٢٧٩هـ).

- فتوح البلدان - بيروت: دار الكتب العلمية ١٣٩٨هـ.

- أنساب الأشراف، الجزء الأول، تحقيق محمد ضمير الله، القاهرة: دار المعارف ١٩٥٩م.

- أنساب الأشراف، القسم الثالث، تحقيق عبد العزيز الدوري، القسم الرابع، تحقيق إحسان عباس - بيروت: ١٣٩٨هـ، ١٤٠٠هـ.

البيهقي، أبوبكر أحمد بن الحسين (ت، ٤٥٨ هـ).

- دلائل النبوة، تحقيق عبد المعطي قلعجي، ط ١ - بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٠٥ هـ.

- السنن الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ط ٣ - لبنان: دار الكتب العلمية ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م.

الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت، ٢٧٩ هـ).

- الجامع الصحيح (صحيح الترمذي)، تحقيق أحمد محمود شاكر - بيروت: دار إحياء التراث العربي (بدون تاريخ).

- سنن الترمذي تحقيق أحمد محمود شاكر - بيروت: دار إحياء التراث العربي (د. ت).

- شمائل النبي ﷺ، تحقيق ماهر ياسين فحل، ط ١ - بيروت: دار الغرب الإسلامي ١٤٢٣ هـ.

- مختصر الشمائل المحمدية، اختصار وتحقيق محمد ناصر الدين الألباني - عمان الأردن: المكتبة الإسلامية - بالرياض: مكتبة المعارف ١٤٢١ هـ.

- أوصاف النبي، تحقيق سميح عباس، ط ١ - بيروت: دار الجيل (د. ت).

ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد السلام (ت، ٧٢٨ هـ).

- السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، ط ٤ - بيروت: دار إحياء التراث العربي (د. ت)؛ بيروت: دار المعرفة ١٩٦٩ م.

- مجموعة فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن ابن محمد بن قاسم وابنه محمد، ط ٢ - القاهرة: مكتبة ابن تيمية ١٣٩٩هـ.
- القرمانية - قاعدة تتضمن ذكر ملابس النبي ﷺ وسلاحه ودوابه -، تحقيق أبي محمد أشرف عبد المقصود، ط ١ - الرياض: أضواء السلف ١٤٢٢هـ.
- منهاج السنة - بيروت: دار الكتب العلمية (د. ت).
- أهل الصُّفَّة وأحوالهم، دراسة وتحقيق مجدي فتحي السيد، ط ١ - طنطا: دار الصحابة للتراث ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.
- الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف (ت، ٨١٦هـ).
- التعريفات، بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٠٣هـ.
- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت، ٥٩٧هـ).
- صفة الصفوة، ط ٢ - بيروت: دار المعرفة ١٣٩٩هـ.
- تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير - القاهرة: مكتبة الآداب (د. ت).
- رسائل ورسل رسول الله ﷺ إلى الملوك والأشراف، تحقيق محمد عبدالرحيم، ط ١ - دمشق: دار سعد الدين ١٤٢٥هـ.
- صفة الصفوة - بيروت: دار المعرفة ١٣٩٩هـ.
- الوفاء بأحوال المصطفى - بيروت: دار الكتب العلمية (د. ت).

- مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، تحقيق زينب إبراهيم القاروط، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت)

الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت، ٣٩٣هـ).

- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط٤ - بيروت: دار العلم للملايين ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري (ت، ٤٠٥هـ).

- المستدرک على الصحيحین بذيله التلخیص للذهبي - القاهرة: مكتبة المطبوعات الإسلامية ١٣٩٠هـ.

ابن حبان، محمد بن أحمد التميمي البستي (ت، ٣٥٤هـ).

- السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، ط١ - بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية ١٤٠٧هـ.

- صحيح ابن حبان، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط٢ - بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.

ابن حجر، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني (ت، ٨٥٢هـ).

- الإصابة في تمييز الصحابة - القاهرة، مطبعة السعادة ١٣٢٨هـ.

- فتح الباري شرح صحيح البخاري، مراجعة عبد الرؤوف سعد وآخرين - القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٩٨هـ.

ابن حنبل، الإمام أبو عبد الله أحمد (ت، ٢٤١هـ).

- مسند الإمام أحمد - بيروت: المكتبة الإسلامية ١٣٩٨هـ.
- فضائل الصحابة، تحقيق وصي الله بن محمد عباس، ط١ - بيروت: مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى مكة ومؤسسة الرسالة ١٤٠٣هـ.
- الزهد، دار الكتب العلمية، باب العمل والذكر الخفي، ص ٨٢.
- خليفة بن خياط، ابن أبي هُبيرة الليثي العصفري (١٦٠ - ٢٤٠هـ).
- تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم ضياء العمرى، ط٢ - بيروت: مؤسسة الرسالة ١٣٩٨هـ.
- الطبقات، تحقيق أكرم ضياء العمرى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢ - ١٣٩٧هـ.
- الدارقطني، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار بن عبد الله البغدادي (ت، ٣٨٥هـ).
- سننه، عالم الكتب، بيروت، (د.ت).
- الدارمي، أبو عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام (ت، ٢٥٥هـ).
- سنن الدارمي، عناية محمد أحمد دهمان، (د.م) و(د.ت).
- أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت، ٢٧٥هـ).
- سنن أبي داود، تعليق عزت عبير، ط١ - حمص: دار الحديث ١٣٩١هـ.
- الذهبي، الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت، ٨٤٧هـ).
- سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين، ط٢ - بيروت : مؤسسة الرسالة ١٤٠٢هـ .

ابن رجب، أبو الفرج عبد الرحمن الحنبلي (ت، ٧٩٥هـ).

- مجالس في سيرة النبي، تحقيق ياسين محمد السواس ومحمود الأرناؤوط، ط ١ - دمشق: دار ابن كثير ١٤٠٨هـ.

- الاستخراج في أحكام الخراج - بيروت: دار المعرفة ١٣٩٩هـ.

- جامع العلوم والحكم، تحقيق ماهر ياسين الفحل، ط ٢ - القاهرة: الدار العالمية ٢٠١٦م.

الزبيدي، أبو الفضل محمد مرتضى (ت، ١٢٠٥هـ).

- تاج العروس من جواهر القاموس، ط ١ - القاهرة: المكتبة الخيرية ١٣٠٦هـ.

الزبيري، أبو عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب (١٥٦-٢٣٦هـ).

- نسب قریش، تحقيق ليفي بروفنسال، ط ٣ - القاهرة: دار المعارف ١٩٨٢م.

الزرقاني، محمد بن عبد الباقي (ت، ١١٢٢هـ).

- شرح المواهب اللدنية، تحقيق محمد عبد العزيز الخالدي - بيروت: دار الكتب ١٤١٧هـ.

ابن سعد، محمد بن منيع الزهري (ت، ٢٣٠هـ).

- السيرة النبوية من الطبقات الكبرى، ط ١ - القاهرة: الزهراء للإعلام العربي ١٤٠٩هـ.

- سنن النبي ﷺ وأيامه، استخرجه ورتبه عبد السلام محمد عمر علوش، ط ١ - المكتب الإسلامي ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.
- الطبقات الكبرى - بيروت: دار صادر (د. ت).
- السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي (ت، ٥٨١هـ).
- الروض الأنف في تفسير السيرة لابن هشام، ضبط طه عبد الرؤوف سعد - بيروت: دار المعرفة ١٣٩٨هـ.
- ابن سيد الناس، محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى (ت، ٧٣٤هـ).
- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، ط ٢. دار الآفاق الجديدة ١٤٠٠هـ.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، أبو الفضل (ت، ٩١١هـ).
- الخصائص الكبرى (كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب) - بيروت: دار الكتب العلمية (د. ت).
- الرياض الأنيفة في شرح أسماء خير الخليقة، تحقيق محمد السعيد بسيوني - بيروت: دار الكتب العلمية.
- مسانيد أمهات المؤمنين، تحقيق محمد غوث الندوي - الهند: الدار السلفية ١٤٠٣هـ.
- الصالحي الشامي، محمد بن يوسف (ت، ٩٤٢هـ).
- سبل الهدى والرشاد في هدي خير العباد، تحقيق مصطفى عبد الواحد وآخرين - القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ١٣٩٢هـ - ١٣٩٩هـ.

- أزواج النبي ﷺ، تحقيق محمد نظام الدين الفتيح، ط ١ - دمشق: دار ابن كثير ١٤١٣هـ.

الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت، ٣٦٠هـ).

- المعجم الأوسط، تحقيق طارق عوض الله ومحمد الحسني، ط ١ - الرياض: دار الحرمين ١٤١٥هـ.

- المعجم الكبير، ضبط وتخريج: أبو محمد الأسيوطي، بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية ١٤٣٣هـ.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت، ٣١٠هـ).

- السيرة النبوية، تحقيق جمال بدران، ط ١ - القاهرة: الدار المصرية اللبنانية ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.

- تفسير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن - بيروت: دار الكتب العلمية ١٤١٢هـ.

- تاريخ الأمم والملوك - بيروت: دار الفكر (د. ت).

ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله النمري القرطبي (ت، ٤٦٣هـ).

- جامع بيان العلم وفضله، (موقع جامع الحديث).

عبد الرزاق، أبو بكر بن همام الصنعاني.

- المصنف، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، ط ٢ - بيروت: المكتب الإسلامي ١٤٠٣هـ.

الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت، ٨١٧هـ).

- القاموس المحيط، ط ٢ - القاهرة: مكتبة مصطفى البابي الحلبي ١٣٧١هـ.

- الصلوات والبشر في الصلاة على خير البشر، حققه وعلق عليه محمد نور الدين عدنان الجزائري، عبد القادر الخياري، محمد مطيع الحافظ، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٦م.

ابن قدامة، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي (ت، ٦٢٠هـ).

- المغني، بيروت: عالم الكتب (د. ت).

القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح (ت، ٦٧١هـ).

- الجامع لأحكام القرآن، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١ - بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٢٧هـ.

مسلم، الإمام أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت، ٢٦١هـ).

- الجامع الصحيح - بيروت: دار الآفاق الجديدة (د. ت).

ابن القيم، محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي (ت، ٧٥١هـ).

- جلاء الأفهام في فضل الصلاة على خير الأنام، تحقيق عبد القادر وشعيب الأرناؤوط، ط٢ - الرياض: مكتبة المؤيد.

- جلاء الأفهام في فضل الصلاة على خير الأنام، تحقيق زائد بن عبد الله النشيري، الرياض: مكتبة المؤيد.

- زاد المعاد في هدي خير العباد - بيروت: المكتبة العلمية (د. ت).

- إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - بيروت: دار الفكر العربي (د. ت).

- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، تحقيق محمد حامد الفقي - بيروت: دار الكتب العلمية (د.ت).
- الطب النبوي، تحقيق عبد الغني عبد الخالق وآخرون - الرياض: مكتبة الرياض الحديثة (د.ت).
- الفروسية المحمدية، تحقيق زائد بن أحمد النشيري، ط ٣ - مكة المكرمة: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع ١٤٣٧هـ.
- مدارج السالكين، تحقيق عماد عمار، القاهرة: دار الحديث ١٤٢٦هـ.
- ابن كثير، إسماعيل بن كثير، أبو الفداء الدمشقي (ت، ٧٧٤هـ).
- حجة الوداع، تحقيق خالد أبو صالح، ط ١ - الرياض: دار الوطن ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.
- السيرة النبوية، تحقيق مصطفى عبد الواحد - بيروت: دار المعرفة ١٣٩٦هـ.
- الفصول في اختصار سيرة الرسول، تحقيق محمد العيد الخطراوي ومحبي الدين مستو، ط ١ - دمشق: مؤسسة علوم القرآن ١٣٩٩هـ.
- تفسير القرآن العظيم، ط ٢ - الرياض: دار كنوز إشبيليا ١٤٣٠هـ.
- البداية والنهاية، ط ٣ - بيروت: مكتبة المعارف ١٩٧٨م.
- شمائل الرسول ﷺ، تحقيق مصطفى عبد الواحد، ط ١ - القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ٢٠١٠م.
- قصص الأنبياء، الإسكندرية: دار عمر بن الخطاب ١٤٠١هـ.

- مالك بن أنس، الإمام (ت، ١٧٩هـ).
- الموطأ، مراجعة فاروق سعد، ط ٨ - بيروت: دار الآفاق الجديدة ١٤٠١هـ.
- ابن هشام، أبو محمد عبد الملك المعافري (ت، ٢١٨هـ).
- السيرة النبوية، حققها مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي - القاهرة: دار الكنوز الأدبية (د. ت).
- ابن ماجه، الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (٢٠٧ - ٢٧٥م)
- سنن ابن ماجه، حققها محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد (ت، ٤٥٠هـ).
- أعلام النبوة - بيروت: دار الكتب العلمية (د. ت).
- الأحكام السلطانية، بيروت: دار الفكر (د. ت).
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري (ت، ٧١١هـ).
- لسان العرب - بيروت: دار صادر (د. ت).
- ابن الملقن الشافعي، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي (ت، ٨٠٤هـ).
- خصائص النبي ﷺ، تحقيق أبي عبد الرحمن عادل بن سعد، ط ١ - القاهرة: مكتبة أبي حذيفة السلفي ١٤٢١هـ.
- النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف (ت، ٦٧٦هـ).
- شرح صحيح مسلم، إشراف علي أبو الخير، تقديم وهبة الزحيلي، ط ٣ - دار الخير ١٤١٦هـ.

- النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي (٢١٤ - ٣٠٣هـ).
- كتاب الوفاة، وفاة النبي ﷺ، تحقيق دار الفتح، ط١- الشارقة: دار الفتح ١٤١٥هـ.
- سنن النسائي، بشرح جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي - بيروت: دار إحياء التراث العربي ١٤٠١هـ.
- السنن الكبرى، بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي، بيروت: دار إحياء التراث العربي (د. ت)
- الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر (ت، ٨٠٧هـ).
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٠٨هـ.
- اليحصبي، القاضي عياض بن موسى (ت، ٥٤٤هـ).
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى - بيروت: دار الكتب العلمية (د. ت).
- الواقدي، محمد بن عمر (ت، ٢٠٧هـ).
- المغازي، تحقيق مارسدن جونس - بيروت: عالم الكتب (د. ت).
- أبو يعلى الموصلي، أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي (ت، ٣٠٧هـ).
- مسند أبي يعلى، أبو يعلى الموصلي، تحقيق حسين أسلم، ط١- دمشق: دار المأمون للتراث ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

ثانياً: المراجع:

- أنيس، د. إبراهيم، وآخرون.
- المعجم الوسيط، إعداد مجمع اللغة العربية القاهرة - إسطنبول: المكتبة الإسلامية (د. ت).
- الترمانيني، عبد السلام.
- أزمنة التاريخ الإسلامي، الجزء الأول، المجلد الأول (أهم أحداث التاريخ الإسلامي) - الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون ١٤٠٢ هـ.
- جاد، أحمد.
- وفاة الحبيب وما كان في الأيام الأخيرة من حياة الرسول ﷺ، القاهرة: دار الغد ٢٠٠٣ م.
- الجميل، محمد فارس.
- بيوت النبي ﷺ وحجراتها (وصفة معيشية)، ط ١ - بيروت: جداول للنشر والتوزيع ٢٠١٦ م.
- الحمد، محمد بن إبراهيم.
- الحوار في السيرة النبوية - الكويت: وزارة الأوقاف ١٤٢٩ هـ.
- رسائل في العقيدة - الرياض: دار ابن خزيمة ١٤٢٣ هـ.
- ابن حميد، صالح بن عبد الله، وعبد الرحمن بن ملوح - إشراف مع مجموعة من المختصين.
- نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ، ط ٢ - جدة: دار الوسيلة ١٤٣١ هـ.

حميد الله، محمد.

- مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ط٤- بيروت: دار النفائس ١٤٠٣هـ.

الحداد، أحمد عبد العزيز بن قاسم.

- أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة، ط٢- بيروت: دار الغرب الإسلامي ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.

أبو خليل، شوقي.

- أطلس السيرة النبوية، ط٢ - دمشق: دار الفكر ١٤٢٣هـ.
- دراسة في السيرة، ط١٥- بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٢٢هـ.
- المستشرقون والسيرة - الدوحة: دار الثقافة ١٤١٠هـ.
- الخندق "غزوة الأحزاب"، ط١- دمشق: دار الفكر ١٤٠٦هـ، ص ١٠٩.

الخميس، عثمان محمد.

- كنوز السيرة، ط٢ - الكويت: غراس للنشر والتوزيع ١٤٢٨هـ.

داوودي، صفوان.

- الحجرات الشريفة، سيرة وتاريخ، ط٢- وقف البركة الخيري، المدينة المنورة ١٤٢٢هـ.

الدهلوي، عبد الحق.

- لمعات النقيح، تأليف عبد الحق الدهلوي، تحقيق تقي الدين الندوي، بيروت: دار الكتب العلمية (د.ت).

رزق الله، أحمد مهدي.

- السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ط١- الرياض: مركز الملك فيصل ١٤١٢هـ.

- صفوة السيرة النبوية في سيرة خير البرية، ط١- دار إمام الدعوة ١٤٢٧هـ.

السلفي، محمد لقمان:

- رش البرد شرح الأدب المفرد للإمام البخاري، الرياض: دار الداعي للنشر والتوزيع ١٤٢٨هـ.

الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجنكي الشنقيطي.

- السيرة النبوية لابن حجر في فتح الباري، الكويت، ١٤١٤هـ.

أبو شهبه، محمد بن محمد بن سويلم (ت، ١٤٠٣هـ).

- السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، ط٧ - دمشق: دار القلم ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

الصلابي، علي بن محمد بن محمد.

- أصح الكلام في سيرة خير الأنام (السيرة النبوية)، ط٣ - دمشق: دار ابن كثير ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

- أمير المؤمنين الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ شخصيته وعصره، القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية ١٤٢٥هـ.

الظاهري، أبو تراب.

- ذهول العقول بوفاة الرسول، جدة: دار القبلة ١٤٠٤هـ .

عبد الرحمن بن سعد الشثري.

- حجرة النبي ﷺ تاريخها وأحكامها، الرياض: دار الفضيلة ١٤٣٥هـ.

عبد الغني، محمد إلياس.

- بيوت الصحابة حول المسجد النبوي الشريف، ط٢. المدينة: مركز طيبة ١٤١٨هـ.

العزي، صالح أحمد العلي.

- تهذيب مدارج السالكين في منازل إياك نعبد وإياك نستعين، القاهرة: دار ابن الهيثم ٢٠٠٤م

العلي، إبراهيم.

- صحيح السيرة النبوية، ط٢ - بيروت: دار النفائس ١٤١٦هـ.

العُمري، أكرم ضياء.

- الرسالة والرسول، ط١ - ١٤١٠هـ (د.م).

- المجتمع المدني في عهد النبوة الجهاد ضد المشركين، ط١ - المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية ١٤٠٤هـ.

- الحياة الاجتماعية والاقتصادية في عصر النبوة، ط١ - الرياض: دار إشبيليا ١٤١٧هـ.

- المجتمع المدني في عهد النبوة خصائصه وتنظيماته الأولى، ط١ - المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

- السيرة النبوية الصحيحة، ط٣ - المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم ١٤٢٥هـ.

- موقف الاستشراق من السيرة النبوية - الرياض: دار إشبيليا ١٤١٦هـ.
- العُمري، عبد العزيز بن إبراهيم.
- أبعاد إدارية واجتماعية واقتصادية وتقنية في السيرة النبوية، ط١ - الرياض: مطبعة سفير ١٤٢٦هـ.
- مبادئ التخطيط والإدارة في السيرة النبوية، ط١- الرياض: مطبعة سفير ١٤٢٨هـ.
- الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين، ط١ - الرياض: دار إشبيليا ١٤٢٢هـ.
- الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول ﷺ، ط٣ - الرياض: دار إشبيليا ١٤٢٠هـ.
- الفتوح الإسلامية عبر العصور، ط٢ - الرياض: دار إشبيليا ١٤١٩هـ.
- رسول الله وخاتم النبيين (خمسة أجزاء)، بيروت: بيسان ١٤٣٢هـ.
- بناء المجتمع المدني وتنميه في السيرة النبوية، ط١ - الرياض: دار إشبيليا ١٤٣٧هـ.
- الغزالي، محمد.
- فقه السيرة، ط٧ - القاهرة: دار الكتب الحديثة ١٩٧٦هـ.
- القسم العلمي بمؤسسة الدار السلفية:
- موسوعة الأخلاق، إشراف الشيخ علوي السقاف، ط٣ - الظهران، دار الدرر السنية ١٤٣٩هـ.

الكتاني، عبد الحي بن عبد الكبير.

- نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية - بيروت: دار الكتب العلمية (د. ت).

الكمداني، أديب.

- فن تعامل النبي ﷺ في الحياة الزوجية - دمشق: دار البشائر الإسلامية ١٤٢٥هـ.

النفيسي، محمد بن سليمان:

- (الحجرة النبوية عبر التاريخ) مجلة الفرقان العدد: ٤١ - ٤٥، الكويت: ١٤١٤هـ.

ثالثاً: المواقع الإلكترونية:

- <https://www.alukah.net>
- <://www.alukah.net/sharia>
- [https://almoslim.net/node /](https://almoslim.net/node/)
- <https://binbaz.org.sa> / موقع الشيخ عبد العزيز بن باز
- <https://dorar.net/akhlaq>
- <https://ar.islamway.net/>
- <http://mercyprophet.org/mul/ar/node/>

* * * * *

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة.....	٧
تمهيد.....	٩
الأدب مع الله ﷻ.....	١١
أدب الأنبياء والرسل مع الله ﷻ.....	١٦
الأدب مع كتاب الله ﷻ.....	١٩
الأدب مع الرسول ﷺ.....	٢٥
الأدب النبوي مع الخلق.....	٢٩
أدبه ﷺ في التأليف بين الناس.....	٣١
أدب المجلس.....	٥١
أدب البيوت.....	٦١
شكر الناس.....	٧١
الأدب مع الوالدين وبرهما.....	٧٥
الأدب مع الزوجات الأولاد.....	٨٢
الأدب مع الأقارب.....	١٠٢
أمانته ﷺ.....	١٠٨
الصدق.....	١٣٧
العفة في حياته ﷺ.....	١٥٥
عدله ﷺ.....	١٧٢
العهد والوفاء.....	٢٠٧
صبره ﷺ.....	٢٢٤

الصفحة

الموضوع

٢٤٩	 حلمه وعفوه ﷺ
٢٦١	 الكرم والسخاء في حياته ﷺ
٢٨٠	 شجاعته ﷺ
٢٩١	 حزمه وعزمه ﷺ
٢٩٥	 التيسير
٣٠٨	 الستر
٣١٦	 السكينة
٣٢١	 حياؤه ﷺ
٣٣٢	 مُزاحه ﷺ
٣٤١	 الخاتمة
٣٤٣	 المصادر والمراجع

